

سلسلة
مفردات التربية الإسلامية

(١)

التربية الروحية

الدكتور
عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر



التربية الروحية

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ — ١٩٩٥ م

دار التوزيع والنشر الإسلامية



٨ ميدان السيدة زينب ت : ٣٩١١٩٦١ هـ . ب : ١٩٩٦

إهداء

إلى الذين يعملون في صمت، ويحتسبون عند الله ما يقومون به من عمل
وجهد في تربية المسلمين، متخذين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
مصدرا، ورافدا يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة.

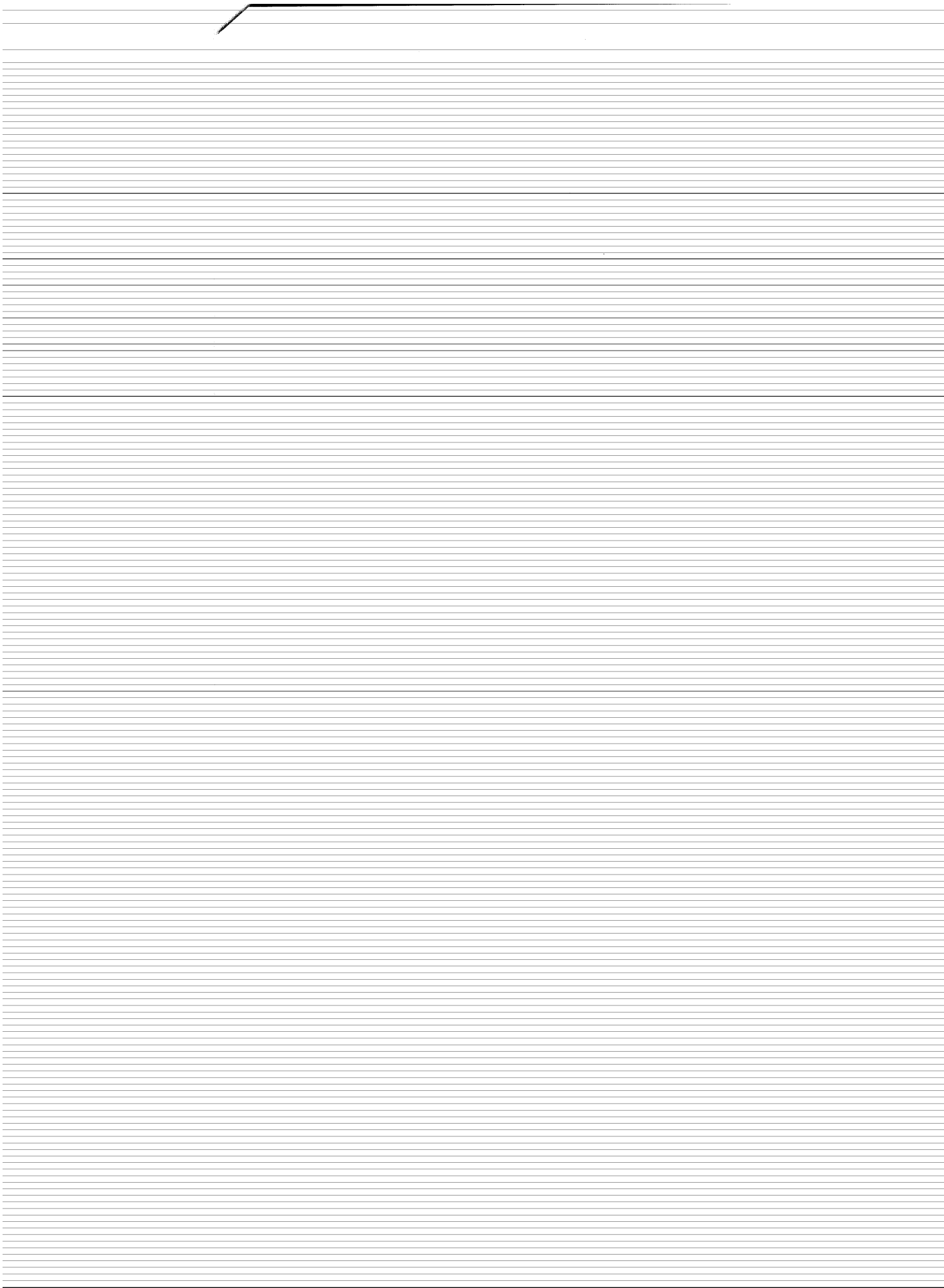
وإلى الذين يرغبون في أن يعرفوا عن التربية الإسلامية، ما لا يسع المربي
جهله.

وإلى القائمين على المؤسسات التربوية الإسلامية:

البيت والمسجد والمدرسة والنادي والمجتمع، لعلهم يجدون في هذه السلسلة ما
يعينهم على تربية المسلمين.

إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب، سائلا الله تعالى لي ولهم توفيق الله
تعالى ورضوانه.

على عبد الحليم محمود



بين يدي هذه السلسلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابه وأوليائه والسائرين على دربه إلى يوم الدين.

وبعد؛

فقد ظلت التربية الإسلامية هاجسا يشغلني ما يقرب من خمسين عاما، من يوم بدأت أعمل باختياري في مجال الدعوة إلى الله في المساجد وفي شعب «الإخوان المسلمين» وهي أندية ثقافية واجتماعية ورياضية، يجتمع الناس بها على فعل الخير وما يرضى عنهم ربهم سبحانه وتعالى، ويتفقهون من خلال أنشطتها في أمور دينهم ودنياهم، واستمر معي هذا الاهتمام بعد أكملت دراستي في كلية اللغة العربية بالأزهر وكلية التربية بجامعة عين شمس، حيث عملت مدرسا في وزارة التربية والتعليم قبل أن أعمل في التدريس بالجامعة، ولازمني هذا الاهتمام بعد أن أصبحت أبا مسئولاً عن تربية أبنائي.

هذا الاهتمام بالتربية الإسلامية جعلني أبحث عن قيم هذه التربية، وأسئلتها، وأهدافها، ووسائلها، ومبادئها، ومفرداتها، وأقارن ما أصل إليه بما درسته وتعلمته عن التربية كما يفهمها الغرب، وأخرج من هذه المقارنات بنتائج تستحق التسجيل والكتابة والنشر، وأحاول ما وسعني أن أخرج الدراسة التي توصلت إليها إلى مجال العمل والتطبيق.

وكان من توفيق الله تعالى لي أن أسهم بعدد من المحاضرات العامة، والبحوث والدراسات في مجال التربية الإسلامية، وأن أشارك في عدد من المؤتمرات الخاصة بالتعليم والتربية، وأن أفيد من كل ذلك ما أضيفه إلى ما عندي في هذا الموضوع.

كما هيا الله تعالى لى أن أولف كتاباً فى أول ميدان من ميادين التربية الإسلامية وهو ميدان البيت، وهو كتاب : «تربية الناشئ المسلم»^(١) تلقاه المهتمون بهذه القضية بقبول حسن فطبع أكثر من مرة.

وفى النية - إذا مد الله فى العمر وهياً الأسباب - أن أكتب فى الميدان الثانى للتربية الإسلامية وهو المسجد، ثم فى الميدان الثالث لها وهو المدرسة، ثم الميدان الأخير وهو المجتمع، وربما كانت هذه أمنيات عريضة، ولكنى أقول لنفسى مع كل ما أتمنى كما قال السابق :

مُنَى إن نكن حقا نكن أطيب المنسى

والأقصد عشنا بها زمناً رغداً

وهى كلها أمانى مشروعة محبة، فيها الكثير من الخير للمسلمين.

أما هذه السلسلة من الكتب :

«مفردات التربية الإسلامية» فهى تمهيد لتلك الكتب الثلاثة المرتقبة التى تحمل أسماء:

- التربية الإسلامية فى المسجد.

- والتربية الإسلامية فى المدرسة.

- والتربية الإسلامية فى المجتمع.

وكان الأصل أن تسبق سلسلة مفردات التربية الإسلامية كتاب تربية الناشئ المسلم الذى هو التربية الإسلامية فى البيت، ولكن إرادة الله تعالى شاءت، مع إلحاح الذين يحسنون بى الظن، فبدأت به قبل هذه السلسلة.

(١) نشرته دار الوفاء : ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

هذه المفردات للتربية الإسلامية، هي مكوناتها ومادتها الرئيسة التي تسهم في بناء شخصية المسلم وتتيح له أن تربي وفق قيمها ومعاييرها أن يكون المسلم الحق، القادر على الإسهام في بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية.

وهي مفردات أو أسس لا تستطيع الشخصية التي تدين بالإسلام أن تحقق أهدافها إلا إذا ربيت عليها، والأهداف - كما هو معروف - هي :

توحيد الله تعالى إليها ورياً

واتباع منهجه «الكتاب والسنة».

وإعمار هذه الأرض التي يعيش فيها وفق منهج الله تعالى.

ولابد لتحقيق هذه الأهداف من وسائل، وأبرز هذه الوسائل هي :

- التعلم.

- والعلم.

- والتعليم.

أى التربية تعلمًا وتحصيلًا، وتعلیمًا للغير، وكل ذلك من الواجبات الشرعية كما سنوضح في هذا الكتاب.

ولقد حصرت هذه المفردات «في عشر، بعد تفكير وتأمل ومعاينة لعملية التربية في البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع مايقرب من نصف قرن من الزمان. وإذا لم تكتمل هذه المفردات الأساسية في الشخصية المسلمة فسوف لا تستطيع أن تحقق تلك الأهداف جميعاً، أو تحققها منقوصة أو معيبة، مما ينعكس أثره على الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع بكثير من الأضرار، وما يؤدي بالمسلمين عموماً إلى التراجع الحضارى والتبعية لغير المسلمين في الفكر والثقافة

والاقتصاد والسياسة، بالإضافة إلى البعد عن منهج الله الذى اختاره للإنسان فى حياته الدنيا.

وهذه المفردات فى هذه السلسلة هى :

- التربية الروحية.
- والتربية الخلقية.
- والتربية العقلية.
- والتربية الجسدية.
- والتربية الدينية.
- والتربية الاجتماعية.
- والتربية السياسية.
- والتربية الاقتصادية.
- والتربية الجهادية.
- والتربية الجمالية.

ولكل واحدة من هذه المفردات كتاب مستقل إذا أذن الله، أركز فيه على توضيح أبعاد التربية الإسلامية ما وسعنى، فإن وفقت فى ذلك فمن فضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فمن قصورى وتقصيرى، والله يتجاوز عنى بفضله الواسع.

وقد جاء البدء بهذا الكتاب «التربية الروحية» لأن الروح فى الإنسان هى سر حياته ووجوده، ولأنها أشرف ما فيه من مكونات، وحسبها شرفاً أنها نفخة من روح الله تعالى.

ومما أحب أن أتبه إليه سلفاء أن هذه المفردات من التربية الإسلامية أو هذه

الأنواع يكمل بعضها بعضاً، ولا يستغنى بعضها عن بعض، وإذا اجتمعت أسهمت في بناء الشخصية المسلمة السوية.

ومع هذا التكامل في هذه المفردات لابد من تلاؤم وتنسيق بحيث لا يهتم بمفردة منها على حساب الأخرى، وإلا حدث اختلال في التربية يؤدي بالضرورة إلى اختلال في بناء المجتمع.

ومما هو جدير بأن يلحظ أن وصف التربية بأنها إسلامية يحتاج إلى أن يلقي عليه من الضوء ما يوضحه، ويكشف دلالاته، بإذن الله تعالى.

وهذه السلسلة التي تشتمل على هذه الكتب، تستطيع - بعد أن تكمل - أن ترد كل أنواع المعاناة التي يشكو منها عالم المسلمين اليوم إلى سبب جوهري هو :

«فقد المنهج الإسلامي في التربية»

تربية الفرد، وتربية الأسرة، وتربية المدرسة، وتربية المجتمع، مما اصطلح على تقسيمه إلى قسمين كبيرين هما :

- التربية المدرسية .

- والتربية المستمرة.

وليس فقد المنهج بسبب ضياعه بعد أن كان، لأنه بكل تأكيد قائم ومائل يملأ الروح والعقل والشعور ويثرى الحياة الإنسانية كلها لو طبق، وما كان له أن يضيع وقد تكفل الله تعالى بحفظه على حين استحفظ الناس على مناهجه السابقة.

وإنما فقد المسلمون منهج الله لأنهم ابتعدوا عنه، وأولوه ظهورهم باحثين عن

سواه مؤثرين الباطل على الحق، والضلال على الهدى وما عند الناس على ما

عند الله !!!

إن العالم الإسلامي عندما فقد المنهج وقع فى مآهات عديدة وأحدثت به أخطار كثيرة، أبرزها فيما أنصوّر الفارقة والتشردم التى أدت إلى الضعف والضعف.

إن العالم الإسلامى اليوم مفرق فى أكثر من خمسين دولة فى عصر تسيطر عليه دواعى الاتحادات والوحدة، حتى بين الشعوب التى لا تربط بينها أسباب قوية للاتحاد أو الوحدة، على نحو ما نرى فى الوحدة بين دول أوروبا التى لا تجمع بينها عقيدة واحدة، ولا لغة واحدة، ولا جنسية واحدة. وعلى الرغم من ذلك كله فهى تتوحد اقتصاديا وتوشك أن تتحد سياسيا، حتى لقد أصبحت بهذا الاتحاد القوة الثانية فى العالم - بعد مصرع الاتحاد السوفيتى وكشف زيف منهجه وشعاراته الجوفاء بما عرف من إعادة البناء.

إن أوروبا من أجل التوحد نسيت ما كان ولا يزال بين دولها من عداوات تقليدية - كالتى بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا، ومجموعة الدول «الاسكندنافية» وهذا عين الحكمة أو دليل بعد النظر.

يحدث هذا فى أوروبا بينما يعيش العالم الإسلامى فرقة وتمزقا على الرغم من دواعى الوحدة كلها، وبحسبه وحدة العقيدة، عقيدة التوحيد «لا إله إلا الله» ووحدة المنهج «محمد رسول الله»، ووحدة العبادة، ووحدة القبلة، ووحدة الهدف وهو إرضاء الله تعالى باتباع منهجه الذى أكمله وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينا.

إن هذا العالم الإسلامى بما يضم من أكثر من ألف مليون مسلم يجمعهم

منهج الله على أمور الدنيا والآخرة، وقد تفرد من بين المناهج بصلاحيته لكل زمان ومكان، ولكل بنى الإنسان، إن هذا العالم الإسلامى بهذا المنهج هو الذى أورثه الله الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، ليعيش وفق المنهج ومع كل مفرداته، حتى يسود الحق والعدل، ويأمن الناس من الظلم والجور، والحكم بغير ما أنزل الله .

ولابد من كلمة فى هذا المنهج توضح ما يخفى على بعض الناس فيه، فهذا المنهج يتناول جانبين :

- جانب ثابت هو ما يتصل بالعقائد والعبادات والأخلاق، وهو فى هذا الجانب نسيج وحده بمعنى أنه لم يتأثر بما سبقه من مناهج البشر، ولا هو قابل لأن تتغير ثوابته مهما تغير الزمان والمكان والناس.

- وجانب متغير، وهو ما تستوجبه مستجدات الحياة ومتغيراتها، حيث فتح باب الاجتهاد وعلى مصراعيه لكل قادر عليه من المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد ثريت الحضارة الإنسانية وأفادت ما وسعها مما تفتقت عنه عقول المجتهدين من المسلمين فى كل شعب الحياة الإنسانية.

وسوف يظل هذا المنهج قادرا على مثل هذا العطاء طالما وجد من المؤمنين به من يخلصون له ويجاهدون فى سبيل تطبيقه، وعلى قدر مستوى المجتهدين المسلمين من العلم والإخلاص والجهاد والتضحية يكون عطاء المنهج على أرقى مستوى للحياة الإنسانية.

ولابد من التنبيه على أن المجتهدين من المسلمين فى أى عصر، لهم أن يأخذوا - بغير حرج - من الحضارات الأخرى وما أنتجت عقول المجتهدين

والمبدعين وأهل الخبرة فيها، بشرط واحد هو : ألا يخالف ما أخذوه من هذه الحضارات شيئاً مما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يكون محققاً لمصلحة عامة للمسلمين أو دافعاً عنهم ضرراً.

ومخطئ من يقول لا ينبغي أن تأخذ من حضارات الآخرين، وغافل عن الفرق بين الثابت والمتغير من هذا المنهج.

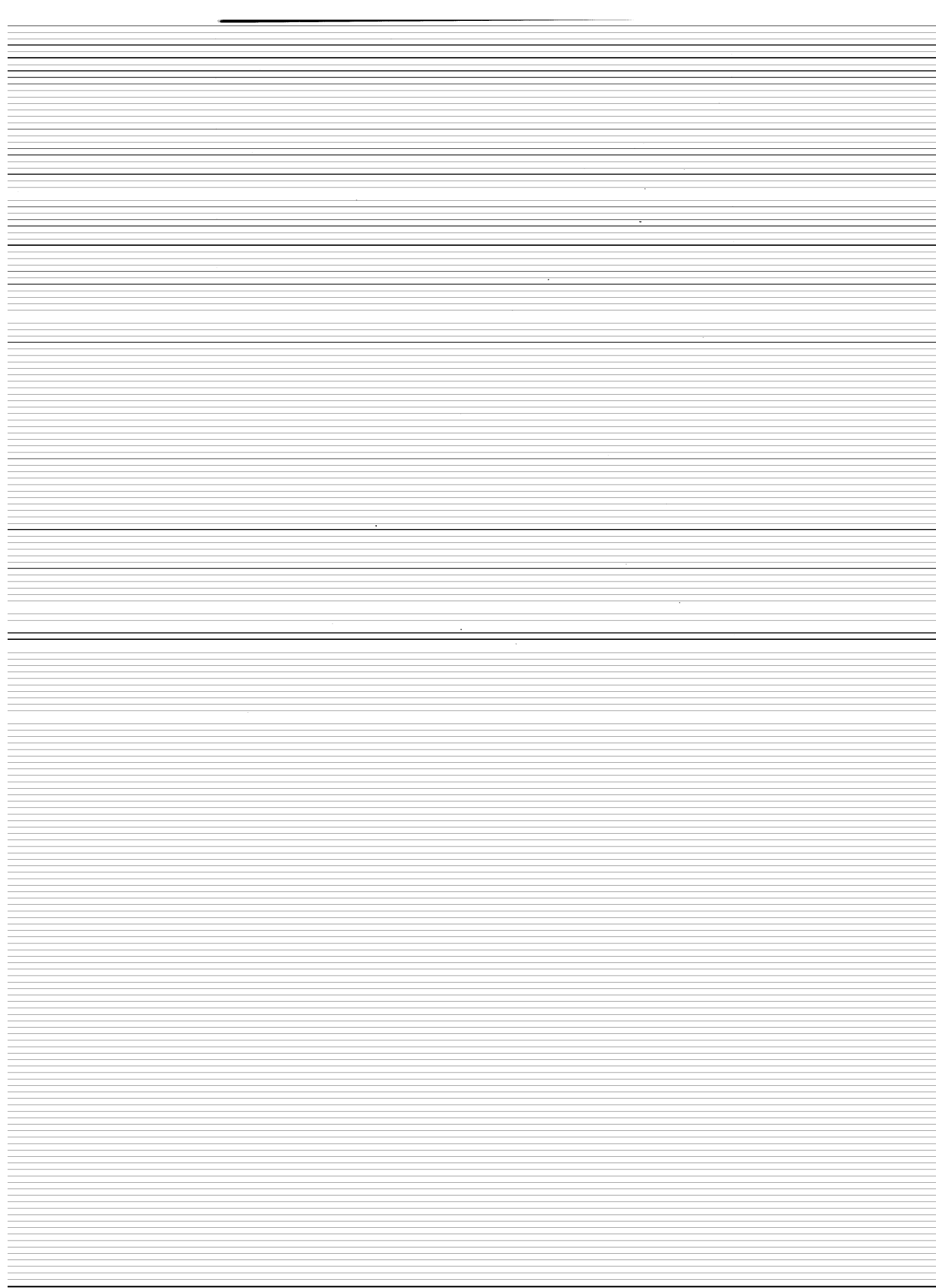
إن التحدى الحقيقي للمسلمين اليوم هو أن تكون لديهم نظرية تربية إسلامية متكاملة في تكوين الشخصية المسلمة من تلك الجوانب أو هذه المفردات التي أشرنا إلى مجملها آنفاً، وأن تكون هذه النظرية بالنسبة لهم في مجال العمل والتطبيق.

وهذا ما سنحاوله في هذه السلسلة من الكتب، سائلين الله تعالى العون والمدد والتوفيق.

ونود أن نوضح أن هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» هي «المدخل للتربية الإسلامية» الذي وعدنا به في كثير من كتبنا، وهو الذي يمهّد للتربية الإسلامية عملياً في البيت والمدرسة والمجتمع والله تعالى هو المستعان .

الباب الأول

المدخل إلى هذا الكتاب



المدخل إلى هذا الكتاب :

«التربية الروحية»

التربية الروحية إحدى مفردات التربية الإسلامية أو أنواعها ولذلك كان من المناسب أن نعرف بالتربية الإسلامية تعريفاً نتناول فيه بإيجاز عدداً من النقاط الجوهرية في التعريف بها.

وتلك النقاط هي :

١ - توضيح مفهوم التربية الإسلامية العام والخاص.

٢ - ودلالة وصف التربية بأنها إسلامية.

٣ - وتحديد أهدافها.

٤ - والتعريف بوسائلها.

٥ - والتنبيه على مصادرها ومراجعها.

٦ - وبيان ميادينها.

٧ - والإشارة إلى منهجها وطريقها في تربية الناس.

نوضح ذلك بين يدي حديثنا عن التربية الروحية التي هي - كما قلنا -
عن التربية الإسلامية.

والله المستعان .

١ - مفهوم التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية مفهوم عام وآخر خاص يميزها عن التربية عند غير المسلمين.

* والمفهوم العام لها قد لا يختلف عن المفهوم العام لأى تربية إلا فى القليل.

وأما المفهوم الخاص لها فيختلف كثيرا عن مفهوم التربية عند غير المسلمين.

* فإذا كان المفهوم العام للتربية عند معظم الناس، الذى اختاره الباحثون فى الشرق والغرب هو : «النظام الاجتماعى الذى يحدد الأثر الفعال للأسرة والمدرسة وتنمية النشء من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية، حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية فى البيئة التى يعيش فيها»^(١).

* كما يتفق الباحثون على أن هذه التربية فى ذاتها «علم يبحث فى أهداف تنمية الفرد من النواحي البدنية والفكرية والخلقية والمناهج والوسائل التى تستخدم لتحقيق هذه الأهداف»^(٢).

* وفى مجال علم الاجتماع يعتبرون التربية أدخل فى بحوثهم ودراساتهم منها فى أى علم آخر، فيقولون : علم الاجتماع التربوى علم يبحث فى النظم التربوية، وفى قوانين تطورها، وكيفية تأدية هذه النظم لوظائفها، وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية الأخرى.

* ويقول علماء الاجتماع فى المفهوم العام للتربية : إنها انتقال المعرفة من جيل إلى جيل، أو من أب لولده، أو من معلم إلى متعلم، ويضيفون : إن هذا الانتقال كلما تم بحرص وأمانة، فقد حققت التربية هدفها، وكلما كان

(١) د. أحمد زكى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ١٢٧٠ لبنان. د. ت.

(٢) السابق : ٣٠٨.

الناقل على مستوى الدقة والإخلاص وكان المتلقى عنه على هذا المستوى أيضا، كلما كانت التربية - من خلال هذه الوسائط في صورتها الجيدة الهادئة.

ويختلف المفهوم العام للتربية الإسلامية عن ذلك بعض الاختلاف، فهي تضيف إلى وسائط التربية المسجد، وتعطيه أهمية قصوى وتكلل إليه أنواعا من التربية قلما يحصل عليها المتلقى إلا فيه، هذا نوع اختلاف لأنهم هناك أهملوا دور العبادة كلها فلم يجعلوها من الوسائط التربوية.

ويمكن أن يختلف تعريف التربية الإسلامية عن تعريفهم في المفهوم العام بإضافة أخرى هي أن التربية تستهدف في الإسلام الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهم قد أهملوا الحديث عن الحياة الآخرة مطلقا.

وتبين هذه الفروق ونحن نعرض تعريفا للتربية الإسلامية على النحو التالي :

هي النظام الاجتماعي الذي جاء به الإسلام ليتحدد من خلاله الأثر الفعال للأسرة بمفهومها الضيق الذي يشمل الأبوين والأقارب والأرحام ومفهومها الواسع الذي يدخل فيه الجيران والأصدقاء والمجتمع كله، وللمسجد وما يتركه في نفوس المترددين عليه من آثار في أرواحهم وعقولهم وأخلاقهم، وللمدرسة وما يتناوله مفهومها من معلم وكتاب ووسيلة ومبنى ومنهج، وما تفعله المدرسة في نفوس النشء من التواحي الروحية «الإيمانية» والأخلاقية والعقلية والجسدية والاجتماعية لكي يعيش الإنسان سعيدا راضيا في بيئته في الحياة الدنيا ويعمرها بالخير والعمل الصالح، ولكي يحظى برضا الله سبحانه وثوابه في حياته الأخرى الأبدية.

والتربية الإسلامية بهذا المفهوم تنتقل من جيل إلى جيل، ومن أب إلى ابن،

ومن معلم إلى متعلم، ومن أمر بالمعروف ناه عن المنكر إلى مأمور بالمعروف منهي عن المنكر.

ومن خلال هذا التحديد للمفهوم العام للتربية الإسلامية يتضح ما أشرنا إليه من فروق.

وأما المفهوم الخاص عند الغرب والشرق للتربية، فيعني تلك العملية المتجهة من الكبار إلى الصغار بقصد تنشئتهم تنشئة حسنة حسب مراحل نموهم في ظل المدرسة وما يحيط بها من معطيات.

وأما المفهوم الخاص للتربية الإسلامية فهو :

تلك العملية التعليمية التربوية المتجهة من الكبار إلى الصغار، بقصد تنشئتهم تنشئة حسنة، تحقق لهم إنسانيتهم التي كرمهم الله سبحانه بها، حسب مراحل نموهم، في ظل مدرسة إسلامية في معلميتها وكتبها ووسائلها، ومنهجها ومبانيها ومعانيها، ليثبتوا على الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر، وما يستوجبه هذا الإيمان من عمل صالح، وتقيد بمنهج الله تعالى في العبادات والمعاملات والأخلاق، ليستطيعوا بذلك تحقيق سعادة المعاش والمعاد.

٢ - وصف التربية بأنها إسلامية

وصف أى عمل بأنه إسلامى يعنى أن هذا العمل قد أقرته العقيدة الإسلامية، وجاء موافقا للشريعة الإسلامية هدفا ووسيلة.

ومن هنا ندرك أن قول بعضهم «الفتون الإسلامية» يدل على غفلة عن هذا المعنى إذ فى الفتون ما لا تقره العقيدة الإسلامية ولا ترضاه الشريعة كغناء النساء للرجال ورقصهن، والأولى أن يقال : «الفتون عند المسلمين» لكى لا تضيفى تسمية العمل بأنه إسلامى شرعية فى حين قد يكون هذا العمل ليس بمشروع.

- ووصف التربية بأنها إسلامية يعنى فى صورته المجملة تحييد هذه التربية عن سواها وتحديد أبعادها وأهدافها من خلال نظرة إسلامية دقيقة، أو وزنها بميزان الإسلام فى كل مفرداتها، ونستطيع أن نفصل هذا بعض التفصيل فيما يلى :

أ - أن تكون الأسس التى تقوم عليها التربية إسلامية، وهذه الأسس فى مجالنا هذا تعنى الثوابت لا المتغيرات منها، وهى العقائد والعبادات والأخلاق، فما لم تكن هذه الثوابت من الإسلام فلا يصح أن توصف التربية بأنها إسلامية.

* فالأساس الأول فى التربية لكى تكون إسلامية هو : العقيدة، والعقيدة فى الإسلام هى عقيدة التوحيد لله سبحانه وتعالى أى الإيمان به سبحانه إلها وربا وخالقا ورازقا، له أسماء وصفاته وأفعاله التى سمى بها نفسه أوصفها بها...

وهذه العقيدة التوحيدية تستدعى الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، وتوجب على العاقل البصير أن يدخل فى دين الإسلام وشرعة محمد ﷺ كما توجب المعرفة الصحيحة التى جاء بها الإسلام عن

الإنسان، وعن الشيطان، وعن عالم الغيب والشهادة، أى الآخرة والدنيا.
هذا هو الأساس الأول الذى يجب أن تقوم عليه التربية لتكون إسلامية.
* والأساس الثانى هو: العبادة الصحيحة لله تعالى وفق ما شرع فى القرآن
الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذه العبادة تبدأ بالنطق بالشهادتين والعمل
بمقتضاهما:

« لا إله إلا الله » أى لا معبود سواه ولا خالق ولا رازق غيره. ولا يجوز التلقى
عن سواه فى أمور الدين والدنيا .

و« محمد رسول الله » أى أن شريعته واجبة الاتباع فى كل ما جاءت به أمرا
أو نهيا .

- وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه
سيلا، وفق ما لهذه العبادات من صفات وشروط ومواقيت .

- ويتسع مفهوم العبادة لله ليدخل فيه العدل والإحسان، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وتشتمل
على كل قول أو فعل أمر الله به، ولتحول بين الإنسان، وبين كل قول أو عمل
نهى الله عنه .

* والأساس الثالث هو: القيم الخلقية التى أقرها الإسلام وصنفها إلى:
فضائل دعا الناس إلى التمسك بها .

ورذائل نهى الناس عن ممارستها .

وتلتزم هذه الفضائل والرذائل فى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة
حيث الدعوة إلى التحلى بالفضائل، والتخلّى عن الرذائل^(١).

(١) سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل فى كتابنا التالى من هذه السلسلة وهو: «التربية الخلقية» إذا أذن
الله تعالى .

ب- وأن تكون التربية- لكي توصف بأنها إسلامية- مستهدفة إعداد الإنسان وتعليمه للتعامل الصحيح المشروع مع الحياة الدنيا، ومفردات هذه الحياة الدنيا كثيرة أبرزها فيما نتصور مايلي:

- الإنسان نفسه : حيث يجب أن يكون تعامل الإنسان مع نفسه تعاملًا إسلاميًا، فيلزم نفسه بكل ما ألزم الله به، وينهاها عن كل ما نهى الله عنه ويزكّيها بالعبادات وفعل الخير والتقرب إلى الله بصالح الأعمال من التواضع بعد أداء الفرائض .

- والأقارب والأرحام: ابتداء من الوالدين والأبناء وامتدادا إلى كل من تربطه به صلة قرابة، فلكل واحد من هؤلاء تعامل أمر به الإسلام في نصوصه الموثوقة وفي الكتاب والسنة .

- والجيران والأصدقاء: ولكل أسلوب في التعامل أمر به الإسلام .

- وغير المسلمين: حيث أوضح الإسلام كيفية التعامل معهم، ونفى عن هذا التعامل أى ظلم يقع عليهم، وأى إكراه لهم على الدخول في دين الإسلام .

* ولا توصف التربية بأنها إسلامية إلا إذا أعدت الإنسان هذا الإعداد الذى يمكنه من إحسان التعامل مع نفسه ومع ما يحيط به من ناس وأشياء .

ولست هذه الصورة التى تعد التربية الإسلامية الإنسان بها خيالية أو صعبة التحقيق والممارسة، لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وما جعل علينا فى الدين من حرج، فهو إعداد يكفل للناس أن يعيشوا فى أمن وسعادة وتعاون على البر والتقوى بحيث يمارسون الحياة الإنسانية الكريمة التى أرادها الله تعالى للإنسان الذى كرمه وفضله على كثير ممن خلق .

ج- ووصف التربية بأنها إسلامية يستدعي أن تكون لهذه التربية قدرة على التعامل مع المستجدات والمتغيرات، أى تلك المرونة والأفق الواسع والنظرة الشاملة العميقة لكل ما يطرأ على الحياة الإنسانية من متغيرات.

- هذه القدرة على التعامل مع هذه المستجدات تعنى النظرة فى هذه المستجدات لقبول ما لا يتعارض مع منهج الإسلام فى شىء ورفض ما يتعارض فى أى مجال من مجالات الحياة، فكريا، أو ثقافيا، أو علميا، أو سياسيا، أو اقتصاديا، أو اجتماعيا، وذلك أن الإسلام له نظام لكل مجال من هذه المجالات، نظام يجعل الحياة الإنسانية على أفضل مستوى يحقق للإنسان كل مطالبه المشروعة.

- فالتربية إذا لم تستطع أن تتعامل مع هذه المستجدات فلا يصح أن توصف بأنها إسلامية.

- ولابد من غض النظر عن مصدر هذا المستجد، وعن الدواعى التى أدت إليه، لأن علم الإنسانية كلها ملك لكل بنى الإنسان إذ هو منحة من الله للإنسان.

د - ووصف التربية بأنها إسلامية، يستوجب أن تفتح الباب على مصراعيه للعقل البشرى يبدع كما يشاء، ويكون له حضور فى كل عمل وكل أمل، العمل الذى يمارسه المسلم فى مجالى الفعل والتترك، والأمل الذى يطمح إليه فى الحياة.

- إن التربية لا تكون إسلامية ما لم تعط للعقل حق الفكر وحق العلم وحق الإبداع فى كل مجالات الحياة، مادام لم يصطدم فى ذلك مع قاعدة شرعية، وما هو بمصطدم أبدا طالما يفكر تفكيراً صحيحاً، فإن من المسلمات أن العقل لا يصطدم مع الشرع.

- والإسلام لا يقبل الحجر على العقل ولا تنقيده بتلك القيود التي قيدته بها البشرية في عصورها المختلفة، بل القيود التي فرضتها بعض الأديان قبل ظهور الدين الخاتم.

- ومن الحقائق المقررة في الإسلام، ماقرره علماء أصول الفقه في مجال عمل العقل وتوافقه أو تعارضه مع الشرع، حيث قالوا: «إذا حدث تعارض بين العقل والشرع أخذ بما استند منهما إلى دليل قطعي، فإن كان الدليلان ظنيين أخذنا بدليل الشرع فهو أولى بالاتباع، حتى يثبت الدليل العقلي أو ينهار». وتلك صورة من صور حرية العقل التي أتاحها الإسلام للإنسان تكريماً له، وللعقل الذي هو منحة من الله تعالى، بل نعمة كبرى ميزت الإنسان عن كثير من مخلوقات الله تعالى غير العاقلة أو غير المكلفة^(١).

هـ- ووصف التربية بأنها إسلامية، يحتم عليها وعلى مناهجها أن تضع في حساباتها أن الإنسان أكرم مخلوقات الله تعالى وأعظمها حرمة عنده، حتى لقد ثبت في السنة النبوية أن المسلم أعظم حرمة عند الله تعالى من الكعبة المشرفة.

- ومعنى ذلك أن التربية لكي تكون إسلامية يجب أن تقدر الإنسان حق قدره وأن تكفل له سائر حقوقه وحرياته، وأن تعينه على أداء واجباته، وذلك يتطلب أن يكون منهج التربية الإسلامية من حيث المعلم والكتاب والوسيلة والخطوة قادراً على تحقيق احترام الإنسان واحترام حقوقه كلها.

- ومن الحقائق المسلم بها في الإسلام أنه حرم الظلم، - وانتقاص الحقوق ظلم - تحريماً مطلقاً، حتى لو كان من يقع عليه أدنى ظلم مخالفاً للإسلام في عقيدته، تلك مسلمة في الإسلام لا تغيب إلا عن غافل بأحكام الشريعة، أو راغب في تشويه الإسلام وقيمه ونظامه.

وهذه الحقيقة نابعة من صميم الدعوة الإسلامية، لأن الناس أمام الدعوة

نوعان:

(١) سنفصل الكلام في ذلك في كتاب «التربية العقلية» بإذن الله تعالى.

أمة الإجابة وهم المسلمون .

وأمة الدعوة وهم غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين وعبداء الأوثان وعبداء غير الله تعالى ، وهؤلاء يجب أن توجه إليهم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وكيف يكون ذلك مع انتقاص شيء من حقوقهم فضلاً عن إيقاع أى ظلم بهم؟

- ووصف التربية بأنها إسلامية يستوجب أن تحسن التعامل مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، فلا تكلفها مالا تطيق ولا تتركها دون تكاليف- لأن منهج الله تكاليف- وبين هذين الحدين تعمل التربية الإسلامية، وهي تربي الإنسان وتوازن بين طاقاته الروحية والعقلية والبدنية، بحيث لا تطفئ حاجات طاقة على حاجات غيرها، وبحيث تعبر كل طاقة عن نفسها في شرعية رسمها الإسلام، وبحيث لا تكبت طاقة أو يحال بينها وبين التعبير عن نفسها.

- إنها تربية التوازن والانسجام بين طاقات الإنسان، التوازن الذي يحقق للإنسان تجاوبا مع الحياة الإنسانية الكريمة، فلا تسحق روحه لصالح بدنه، ولا يسحق بدنه لصالح روحه، ولا يفتن بعقله فيجمع به في الأوهام والترهات.

- إنها التربية التي تزن الإنسان بميزانه الصحيح، وتعطيه الحق كل الحق في التعبير عن رغباته كلها، في إطار ما أحل الله وتهذب له هذه الرغبات وتكبح جماحها إذا اتجهت إلى ما حرم الله تعالى.

وبعد:

فهذا ما يعنيه وصف التربية بأنها إسلامية، وليس من الصواب ولا من الإنصاف أن توصف التربية بأنها إسلامية وهي خالية من هذه النقاط التي ذكرناها.

٣- أهداف التربية الإسلامية

أهداف التربية الإسلامية كثيرة: إذ هي تناول كل جانب من جوانب حياة الإنسان تقيمه على جادة الحق وتهديه إلى الصراط المستقيم صراط الله، وتحول بينه وبين اتباع سبل أخرى تضله وتشقيه، وتورثه خسران الدنيا والآخرة.

- وهذه الأهداف لكثرتها وأهميتها جدية بكتاب مستقل، ربما أتيج لنا أن نعهده يوما إذا أذن الله، غير أنني أكتفى بجملة من الأهداف أشير إليها في صورتها المجملية دون تفصيل، وتلك الأهداف على وجه الإجمال هي:

أولا : تكوين العقيدة الصحيحة للإنسان :

التربية الإسلامية بمختلف مبادئها ومؤسساتها، والقائمين عليها في البيت والمسجد والمدرسة والنادى والمجتمع، يجب أن تعمل على تكوين العقيدة الصحيحة فى الإنسان.

- عقيدته فى الله تعالى، ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

- وعقيدته فى ملائكته وكتبه ورسله عليهم السلام.

- وعقيدته فى اليوم الآخر وما فيه.

- وعقيدته فى قضاء الله وقدره.

- وعقيدته فى الإنسان نفسه لماذا خلقه الله، وبماذا يجب أن يؤمن وإلى أين

يُصير.

- وعقيدته فى قوى الشر «الشياطين» وموقفهم من الإنسان .

- وعقيدته فى هذا الكون الذى يعيش فيه، وما يعج به هذا الكون من مخلوقات.

وذلك أن التصور الصحيح والاعتقاد السليم في هذه المفردات السبعة التي ذكرناها هو الذي يوفر للإنسان حياة إنسانية كريمة ترضيه وترضى الله تعالى عنه .

ثانيا : تعليم العبادة الصحيحة :

يجب أن تعمل التربية الإسلامية بكل مؤسساتها والقائمين عليها على تعليم الإنسان عبادة الله وحده، وتدريبه على ممارستها كما شرعها سبحانه وتعالى، فرائض كانت أو نوافل، ومستمرة كانت هذه العبادات أو موقوتة بزمان أو مكان. - وتعليم هذه العبادات يجب أن يكون نابعا من الأصول الموثقة للإسلام والنصوص الصحيحة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

- ولا يتم ذلك على وجهه إلا بتحقيق الإيمان والإسلام والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، تحقيق ذلك عمليا في الحياة بعد استيعابه نظريا وعلميا.

- وكل مؤسسات التربية الإسلامية التي أشرنا إليها آنفا مطالبة بأن تفسر ذلك للمسلمين وتدريبهم عليه وتمد لهم فيه يد العون والمساعدة.

ثالثا : بث روح التعارف بين الناس :

والتعارف مطلب قرآني أكد أن الناس جميعا من أصل واحد، وأن الله تبارك وتعالى جعلهم أمما عديدة، وإمكانات كثيرة، ليتعارف بعضهم على بعض، فيحب بعضهم بعضا، ويعاون بعضهم بعضا، فقال سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(١).

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ - .

- وهذا التعارف يعنى أن يعرف الناس بعضهم بعضاً، فإذا كان ذلك أحب بعضهم بعضاً، ومن أدبيات الدعوة إلى الله في التعارف وكسر حاجز نفور الناس بعضهم من بعض: أن يقدم الإنسان نفسه إلى من يريد التعارف، فيقدم الآخر نفسه، وكل معلومة يذكرها المتعارف عن نفسه سوف يذكر المتعارف عليه نظيراً لها وهو يقدم نفسه، فيزول الحاجز ويألف الإنسان أخاه، وأفضل ما يكون التعارف في المساجد عند الخروج منها، لأن القادم إلى المسجد قد قطع شوطاً كبيراً في طريق الإسلام، فأصبح أكثر رغبة في التعارف على أمثاله من المترددين على المسجد.

وما يتم هذا التعارف إلا وقد أصبح كل من الطرفين كالكتاب المفتوح للطرف الآخر فيكون حب في الله وأخوة فيه وتواصل بالحق وتواصل بالصبر.

وابيها : نشر روح التعاون بين الناس :

التربية الإسلامية تستهدف التعاون بين الناس، لأن التعاون أحد مظاهر التفاعل الاجتماعي، وهو تعبير مشترك بين شخصين أو أكثر لتحقيق عمل بعينه.

- وقد دعا الإسلام إلى التعاون وقيده بأن يكون على البر والتقوى فقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله﴾^(١).

والبر هو : ما أمر الله به.

والتقوى : هي اجتناب ما نهى الله :

والإثم : المعاصي كلها .

(١) سورة المائدة الآية : ٢ .

والعدوان : التعدي على حدود الله أو حقوق الناس .

وهذا هو التعاون الذي تفرسه التربية الإسلامية في نفوس الناس، وترفض ما سواه من التعاون على أى شر أو باطل .

- ومن التعاون على البر والتقوى التعاون على دفع مابضر واتقائه، سواء أكان الضرر في الدين أم في الدنيا، ولولا هذا التعاون على انقاء الشر، ماسد باب فتحه أعداء الإسلام والمسلمين، ولازالت عقبة من العقبات الكثيرة الميثوقة في الطريق .

- والتعاون واجب على مستوى الأفراد والبيوت والجماعات والجمعيات والمجتمع كله، وهو أوجب على مستوى العمل من أجل الإسلام في أى مجال من مجالات العمل .

خامساً - العمل على إعمار الأرض :

التربية الإسلامية تستهدف تعليم الناس كيف يعمرون الأرض كما طالبهم بذلك الإسلام، فالمفروض أن تعد التربية الإنسان لتسخير قوى الكون الذى يحيط به فيما يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة .

- وكل علم أو معرفة أو فن يؤدي إلى تمكين الإنسان من إعمار الأرض التى سخرها الله له هو من صميم العلوم والفنون التى جاءت بها شريعة الإسلام، يقول الإمام ابن تيمية في تلك العلوم والصناعات ووجوب تعلمها: «وتعلم هذه الصناعات هو من الأعمال الصالحة لمن يتغنى بذلك وجه الله تعالى، فمن علم غيره ذلك، كان شريكه في كل جهاد يجاهد به، لا ينقص أحدهما من الأجر شيئاً، كالذى يقرأ القرآن ويعلم العلم»^(١) .

(١) الإمام ابن تيمية: مجموعة الفتاوى: ١٣/٢٨ ط السعدية .

- والتربية الإسلامية تعلم في كل ميادينها وبكل مؤسساتها إن الإنسان مستخلف في هذه الأرض، ومطالب بأن يمشى فيها ويعمرها ويفيد منها، فلقد منَّ الله تعالى على نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخلقهم من الأرض ومكنهم من عمارتها واستثمار مافيهها والانتفاع بخيرها، وهيمنة عظيمة قال الله تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (١).

- وإنما يعمر المسلمون الأرض إذا استهدوا في إعمارهم هذا بالعلم أو بالفن أو بالصناعة، بما جاء به محمد ﷺ، فقد علمنا ﷺ أن نأخذ بالأسباب وأن نعمل للدنيا كما نعمل للآخرة، وقال الله تعالى يعلمنا الأخذ بالأسباب: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم﴾ (٢).

- إن المسلم يجب أن يحسن إعمار الأرض ليعيش فيها الحياة الإنسانية الكريمة التي أرادها له الله تعالى:

- إن تعليم الإنسان إعمار الأرض هو التربية العملية التي تخرج النظرية إلى مجال التطبيق، وتلك فاعلية وإيجابية في التعلم يحرص عليها الإسلام باعتباره رسالة حضارية يجب أن تحملها الأمة الإسلامية إلى العالم كله، ولن تستطيع ذلك إلا بالإيمان والخلق وإعمار الأرض والاجتهاد في تسخير مافيهها لصالح الإنسان.

هذا هدف من أهداف التربية الإسلامية التي تغفل عنها اليوم مؤسسات تعليمية كثيرة في بلاد المسلمين، فيخسرون بهذه الغفلة تحقيق هذا الهدف الكبير.

(١) سورة الحجرات هود : ٦١.

(٢) سورة الأنفال : ٦٠.

إننا ينبغي أن نربي المسلمين صغارا وكبارا على إعمار وإصلاح كل مكان يعيشون فيه .

سادسا : تهليم الإنسان كيف يكون ملتزما :

الإنسان الملتزم يعرف واجبه ويلزم نفسه بأدائه، وهذا الواجب ليس موضوعا لأن يجتهد الإنسان فيه، وإنما الواجب هو ما أوجبه الله تعالى في كتابه الكريم أو سنة رسوله ﷺ، وما أوجب الله على الإنسان شيئا إلا كان في القيام به صالح دينه ودنياه .

- وفي الالتزام بما أوجب الله إصلاح للنفس وتزكية لها وتقرب إلى الله تعالى ونجاح وفلاح في الدنيا والآخرة، وما لم تستهدف التربية الإسلامية ذلك فقد أخطأ القائمون عليها في البيت أو المسجد أو المدرسة أو المجتمع، أو قصرُوا لو أحسنا بهم الظن .

- والالتزام بمنهج الله في الأمر والنهي فيه صلاح للبيت والمجتمع والأمة المسلمة كلها، وفيه حسم للجريمة، ومنع للفساد، وحصار للمفسدين، وإعلاء للقيم الخلقية الفاضلة واحتمال لسواها من القيم الهابطة، ومؤسسات التعليم المدرسي أو التعليم المستمر يجب أن تضع ذلك في برامجها، وأن تجعله هدفها، فتلك ثمرة التربية الإسلامية التي لا يمارى أحد في فائدتها للفرد والمجتمع والأمة المسلمة .

- والالتزام بما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه يدرّب المسلم على فعل الخير، وعلى البذل والعطاء، وعلى التضحية والجهد، ويطرّد من قلبه النقائص والذاتل ويحول بينه وبين الانحراف عن الصواب .

- والالتزام بما أوجب يشيع في الناس حب الناس وحب الخير لهم في

الدنيا والآخرة، ويطيع المجتمع بطابع الاستقامة والطاعة، وكل ذلك ضرورى فى الحياة الاجتماعية الراشدة .

- والالتزام بغيرى غير المسلمين بالإقبال على الدخول فى هذا الدين والاستجابة لواجباته، وهذا من شأنه أن يزيد عدد المسلمين ويزيد من استمسكهم بالدين، وسوف تظل قضية العمل على زيادة عدد المسلمين الشغل الشاغل للأمة الإسلامية اقتداءً بهدى الرسول ﷺ، فقد روى النسائي بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم» وروى البيهقى فى سننه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهانية النصارى» .

إن زيادة عدد المسلمين زيادة فى عدد المؤمنين الموجودين، وهى مصدر خير وبركة وسبب جوهرى فى التقدم والتحضر والرقى، مهما قال بعض الناس ومهما زعموا أن تلك الزيادة استهلاك لموارد العالم المحدودة !!

إنها مقولات غير المؤمنين، لأن خالق هذا الكون وتلك الأرض التى نعيش عليها قد تكفل بأرزاق الناس فقال عن هذه الأرض : «وجعل فيها رواسى من فوقها، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها» ^(١) .

إن المشكلة الحقيقية فى قلة السكان لافى كثرتهم، والمشكلة الكبرى فى أن يهمل هؤلاء الناس فلا يربون تربية تجعلهم ملتزمين بما أوجب الله تعالى عليهم، فإذا فقدوا هذا الالتزام كان الكسل والتراخى وترك السعى فى الأرض، وكان الفقر وكان الاحتياج !!

(١) سورة فصلت الآية : ١٠ .

إنها مسلمات تعرفها الدول الصناعية الكبرى، وهى من مغالطات الغرب
الذى يخشى كثرة عدد السكان فى دول العالم الثالث، ويعمل فى الوقت نفسه
على زيادة عدد سكانه!!

إن التزام الأفراد بما أمر الله وبما نهى لا يجعل فى الحياة شيئاً اسمه مشكلة
زيادة السكان.

إن خبراء الغرب يقولون: إن كل غربى سوف يواجه بستة أفراد من المسلمين
فى خلال عقدين من الزمان ولو استمر الأمر على ما هو عليه، فلا بد من مواجهة
هذا الكم الكبير!!

وكيف يشكو الإنسان من زيادة عدد الناس وهم أهم أسباب الإنتاج
والرخاء!!

وكيف يصبح الإنسان عبئاً على الحياة، وما خلقت هذه الحياة إلا له؟ كيف
يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَمَجْرَى
الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

إذا التزم الإنسان بمنهج الله وعمل صالحاً وسعى فى الأرض وسخرها لصالح
دينه ودينه، فلن تضيق به بحال.

سابها - تهليم الإنسان كيف يبنو بيتا مسلما :

التربية الإسلامية يجب أن تعلم الإنسان كيف ينشئ بيتا مسلما، تبوءه القيم
الإسلامية، ويلتزم أفرادها بأخلاق الإسلام وآدابه ويسهمون فى المجتمع الذى

(١) سورة الجاثية الآية: ١٢-١٣.

يعيشون بما يستطيعون من عمل صالح وخير عام.

- إن التربية التى لتعلم الإنسان كيف يسهم فى بناء مجتمعه تربية فاشلة بل فاسدة بل غير إنسانية، فضلا عن أن تكون إسلامية .

- والتربية الإسلامية تعلم الإنسان كيف يختار الزوجة وربة البيت وأم الأولاد، وفق معايير الإسلام فى هذا الاختيار، وكيف يتعامل مع زوجه من منطلق الحقوق والواجبات ؟

- والتربية الإسلامية تعلم الإنسان كيف يربى أبنائه تربية صحيحة، وكيف يقود هذا البيت الصغير حتى يكبر ويسهم فى بناء المجتمع والحضارة الإنسانية كلها.

- والتربية الإسلامية هى التى تعلم الإنسان كيف يتعامل مع أقاربه وأرحامه وأصدقائه وجيرانه، تعاملًا إسلاميًا يقوم على البر والتقوى، إن البيت المسلم إذا قاده ربه قيادة صحيحة، كان لبنة قوية فى مجتمع إنسانى إسلامى قادر على الحياة الإنسانية الكريمة.

- ذلك هدف رئيسى من أهداف التربية الإسلامية يتعلم فى البيت وفى المسجد وفى المدرسة وفى المجتمع.

ثامنًا - تكوين الإنسان الاجتماعي :

الإنسان الاجتماعي هو الإنسان الذى يقيم وزنا صحيحا ملتزما لكل علاقة تربطه بإنسان آخر فى البيت أو فى المجتمع .

وإذا كان الفكر غير الإسلامى فى الغرب أو فنيما كان يعرف بالانحداد السوفيتى يقوم على تناقض بين الأسرة والمجتمع، من جهة أن الأسرة تقوم العلاقات فيها على الحب والولاء، وأن المجتمع تقوم فيه العلاقات على المصلحة

والعقل، وأنه كلما تقدم المجتمع تأخرت الأسرة!!

ويؤكد هذا التناقض بين الأسرة والمجتمع مقال «إنجلز وماركس» من دهاقين الفكر الشيوعي أو الاشتراكي، كما تؤكد «سيمون دى بوفوار» الكاتبة الفرنسية المعروفة، وتلخص «سيمون» الموقف المتناقض كله في كلمات وجيزة حيث تقول: «ستظل المرأة مستعبدة حتى يتم القضاء على خرافة الأسرة وخرافة الأمومة، والغريزة الأبوية»^(١).

— وإن التربية الإسلامية تقوم على النقيض من ذلك الفكر، حيث تجعل الأسرة وما يحيط بها من حب، وولاء هي المحضن الذي يتربى فيه الإنسان الاجتماعي الذي يحرص على أن تكون له علاقة حسنة بكل أفراد المجتمع، وهذه العلاقة الحسنة تعلمها من الأسرة التي تعلمتها بدورها من منهج الإسلام في الأمر والنهي والحلال والحرام.

— إن التربية الإسلامية يجب أن تزود الإنسان بمعرفة كل الوسائل التي تمكنه من الإسهام في بناء مجتمع راشد قادر على تطوير الحياة الإنسانية إلى الأحسن والأرضى لله تعالى.

— والمعالم التي تميز هذا المجتمع المسلم كثيرة، نذكر منها مايلي:

- * الإيمان بالله على نحو ما أوضحنا ذلك آنفاً .
- * والالتزام بالإسلام عباداته وأحكامه وأخلاقه .

* والاهتمام اللازم لبناء أسرة مسلمة، تسودها القيم الإسلامية في التعامل والطعام والشراب والملبس والمسكن ومحتويات البيت، ومن يترددون عليه من أقارب وأصدقاء وجيران.

(١) نشر هذا الكلام عنها في أكثر من مجلة منها مجلة :
New York Magazine Saturday Review.

* والعمل بنشاط وفاعلية في بث القيم الإسلامية في المجتمع، ومحاربة الرذائل ومقاومة أصحابها مقاومة تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

* والعمل على إرضاء الله تبارك وتعالى في كل قول أو عمل يمارسه الإنسان في المجتمع.

- إن الإنسان الاجتماعي في الفكر الإسلامي هو ذلك الإنسان المؤمن الملتزم بمنهج الله، الذي يحب الخير ويحب الناس، ويحب لهم الخير ويتعاون معهم على البر والتقوى.

وهذا الإنسان لن يأتي من فراغ، وإنما تعمل التربية الإسلامية على إعداده وتكوينه وتجعله من بين أهدافها الكبرى.

تأسيسا - تكوين الإنسان المنتم له عربيا :

ما يمارى في ارتباط الإسلام بالعرب والعربية أحد، وبحسب هذا الارتباط قوة أن الله تبارك وتعالى اختار لختام أنبيائه ورسله نبيا ورسولا من العرب، وأنه سبحانه جعل آخر كتبه وأتمها وأكملها القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فالعرب والعربية في خدمة الإسلام ونشره بين الناس، وليست العربية بديلا عنه أو موازية له أبدا، ودعاة القومية العربية إن وظفوها لصالح الإسلام فأهلا بهم وسهلا، وحبا وكرامة.

- والتربية الإسلامية يجب أن تدعم هذه المعاني وتزكيها وتعمل على غرسها في نفوس من تربى في مؤسساتها العديدة: البيت والمسجد والمدرسة والنادى والمجتمع، وما لم تفعل فهي مجرد تربية وليست تربية إسلامية.

- والانتماء إلى العرب والعربية - فيما يخص أبناء الوطن العربي جغرافيا - له

أهداف تمثل أعباء على المسلم العربي، نذكر منها مايلي:

* العمل على التمسك باللغة العربية لغة القرآن واستعمالها الفصحى في التخاطب والتعامل، فضلا عن الكتابة والتأليف، ومؤدى ذلك طرح الدعوة إلى العامية أو العاميات العربية التي أوشكت أن تكون رطانة أعاجم لكثرة ما اختلطت بلغات غير عربية، حتى إن العربي الذي يعيش في قطر بعينه يصعب عليه فهم لغة التخاطب العامية في قطر آخر، وانظر في ذلك عامية المغرب العربي وقارنها بعامية دول الخليج، وعامية مصر وقارنها بعامية الشام، والعراق، وعامية اليمن والسودان والصومال، ونحوها.

ومن المسلم به أن اللغة وعاء الفكر، فإذا اضطربت اللغة اضطرب الفكر وإذا استقرت صلح وازداد عمقا، وأى مستوى لغوى أعلى أو أرقى أو أثبت من الفصحى لغة القرآن الكريم؟

* والعمل على الاهتمام بالثقافة العربية وإعطائها الأولوية والاهتمام بتراتها والعمل على نشره وإذاعته في الناس، وبخاصة أن معظم ما كتب عن الإسلام كتب بلغة عربية، لكن ذلك لا يعنى إهمال الثقافات الأخرى، وإنما نقول: الأولوية للثقافة العربية من أجل المحافظة على الشخصية العربية والانتماء العربي.

* وجعل العربية الفصحى لغة التدريس في المدارس والجامعات بحيث يلزم كل مدرس وكل أستاذ باللغة الفصحى مهما كان المقرر الدراسي الذي يتولى تدريسه، لأن الفصحى تتسع لذلك ولما هو أكثر منه، ولا يشك في غناها وغنائها إلا جاهل بها، إن هذا يفرز الانتماء إلى العرب والعربية.

* والعمل على تحرير العالم العربي من كل تبعية تضر بقوميته الموظفة

لخدمة الإسلام، سواء أكانت هذه التبعية منظورة كسيادة لغة أجنبية وثقافة أجنبية على قطر من أقطار العالم العربى - كما هو مشاهد الآن - أو كانت تبعية غير منظورة الآن ولكنها ذات أخطار كبيرة فى المستقبل كالمدارس الأجنبية المنتشرة فى العالم العربى فإنها بقصد أو بغير قصد تقتل الانتماء العربى، بل تفرز فى نفوس كثير من المتعلمين فيها ازدراء للعرب والعربية، كما شوهد ذلك كثيرا لدى عديد ممن تعلموا فى هذه المدارس والجامعات!!

- ومالم يحدث هذا الانتماء العربى، ومالم تتحقق أهدافه فسوف يظل العالم العربى يعانى من التمزق والضيايع وفقد الهوية. وتقسيمة إلى عالم خليجى وآخر مغربى وثالث تعاونى!! وعند النظر فى بواطن الأمور دون شكلياتها فإن هذا التقسيم ينطوى على مثالب عديدة:

* منها أن مصالح هذه الكيانات لها أولوية عن مصالح العالم العربى كله!

* ومنها الاعتراف الضمنى بتباين الثقافة بين أجزاء العالم العربى وذلك ما يحرص على تأكيده أعداء الأمة العربية منذ زمن غير قريب.

* ومنها تفتيت الوحدة الاقتصادية والسياسية التى تؤمل فى العالم العربى: بخلق هذه الكيانات الإقليمية التى ما أشك أبدا - بحكم السن والتجربة - أن التفكير فيها جاء نتيجة لنصيحة من صديق أو مستشار أو وصى غير عربى.

ومن عجب أن هذه الكيانات قد شقت الصف العربى ثم لم تستطع هى أن تضم صفوفها بل اختلفت وتباينت مصالحها، بل حارب بعضها بعضا، وما أظن ذلك إلا نتيجة لهذا الناصح الذى يكن العداوة للعرب والمسلمين، ومن كان فى شك من قولى هذا فليتذكر مايلى:

* من الذى وموس لصدام بحرب إيران ؟

* ومن الذى زين له حرب بل غزو الكويت ؟

* ومن الذى أوحى بمشكلة الصحراء الكبرى فى المغرب ؟

* ومن الذى زين لتعميق الخلاف بين مصر والسودان ؟

* ومن الذى وسوس بفتنة اليمن ومحاولة عزل جنوبيها عن شماليها ؟

* ومن الذى أغرى ليبيا بهذا الوضع الفريد ؟

* ومن الذى أرث الحرب الأهلية فى لبنان ؟

* ومن الذى أغرى فلسطين والأردن فى حرب أيلول الأسود ؟

* ومن الذى وراء قصة الجزر الثلاثة أبى موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى ؟

* ومن الذى جعل العداء تقليديا بين العراق وسوريا ؟

* ومن الذى كان وراء ضياع فلسطين وانهزام سبع جيوش عربية أمام إسرائيل ؟

* ومن الذى وراء تحجيم أثر الجامعة العربية ؟ وهل هى جامعة للعرب فعلا ؟ وما القضايا التى أسهمت فى حلها بين أى دولتين عربيتين متنازعتين ؟ وهل يعد ميثاقها ميثاقا يؤدي إلى وحدة الصف والكلمة ؟ ولماذا لم يكن كذلك ؟.

- إن التربية الإسلامية وهى تربية الإنسان العربى المسلم تستهدف أن تتلافى بتلك التربية كل هذه العيوب والسلبيات ، لأنها تنظر إلى مفهوم العرب والعربية نظرة صحيحة صائبة ، وتوظفها لصالح الوطن الإسلامى الكبير ، العالم الإسلامى الذى يضم العرب وغيرهم من المسلمين ، لافضل لعربى منهم على غيره إلا بالتقوى .

عاشرا - تكوين الإنسان المنتهك إسلاميا :

الانتماء إلى الإسلام هدف رئيسي للتربية الإسلامية. وهو انتماء ضروري لتكامل شخصية المسلم القادر على التفاعل مع الناس والأحداث، وعلى الرؤية الصحيحة لما يحيط به من منظور إسلامي يقوم على فقه الكتاب والسنة.

ولا بد من أجل أن يكون هذا الانتماء صحيحا وفاعلا ومحققا للهدف من خطوات أساسية فيه نذكر منها مايلي:

- لا يجوز أن يكون هذا الانتماء مجرد شعار، وإنما يشترط أن يكون سلوكا وعملا، نابعاً من القيم الخلقية الإسلامية، والشعار قد يكون كلاماً وادعاءً، وقد يكون شارة وزياً، وقد يكون أسلوباً في تناول الحياة كما كان يفعل السلف رحمهم الله زياً ومسكناً ومطعماً ومشرباً، وهذا كله إذا خلا من روح الانتماء ومن الفقه الصحيح لسلوك المسلم في الحياة فلا وزن له ولا قيمة، ولا هو انتماء على وجه الحقيقة.

- ولا يجوز أن يكون الانتماء للإسلام حاملاً لتعصب قبلي أو إقليمي أو طائفي، لأن الإسلام لا يقر هذه التعصبات بل حاربها، ومن على المسلمين بأنه سبحانه وتعالى وحد أصل الإنسان فجعله من آدم وحواء ثم نوع الشعوب والقبائل ليتعارف الناس ويتعاونوا ويشد بعضهم أزر بعض، ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر.

- ويتطلب الانتماء إلى الإسلام معرفة جيدة بالأساسيات التالية:

* معرفة ومعايشة وقراءة مستمرة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة .

* ودراسة متأنية لتاريخ الإسلام وبخاصة تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم.

* وتعرف على تاريخ الحروب بين المسلمين وأعدائهم لأخذ العظة.

* ومعرفة بواقع العالم الإسلامى جغرافيا وسكانيا وظروفا اقتصادية وسياسية وثقافية.

* ومعرفة للأقليات المسلمة ظروفها ومحتاج إليه.

* ومعرفة بالتيارات الموالية للإسلام والتيارات المعادية له.

* وتعرفا دقيقا على مايمكن أن يقدمه هذا المنتمى للعالم الإسلامى الذى يعيش فيه.

- والاهتمام بقضايا العالم الإسلامى التى من أبرزها مانشير إلى بعضه فيما يلى:

* قضية المرأة وما يحيط بها من أقاويل وأكاذيب تنسب إلى الإسلام فيما يتصل بالمرأة.

* وقضية السكان والزيادة السكانية التى ترعب الغرب وتجعله يشجع النسل فى بلاده «ألمانيا وفرنسا والسويد» ويعمل على تقليله فى العالم الإسلامى وفى العالم النامى بصفة عامة.

* وقضية الحقوق السياسية المهضومة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى.

* وقضية الانقلابات العسكرية ومدى الأضرار والأخطار التى يخلفها الحكم العسكرى فى أى بلد يستولى فيها على السلطة.

* قضية الموارد الاقتصادية فى العالم، ومن صاحب المصلحة الحقيقية فيها؟

* وقضية الزراعة واستصلاح الأراضى.

* وقضية الصناعة والتعدين.

* وقضية التجارة والاستيراد والتصدير والأسواق.

* وقضية النفط .

* وقضية التعليم .

* وقضية الإعلام، وغيرها من القضايا .

- إن المسلم المنتمى هو الذى يعيش هموم أمته وقضاياها ويسأل نفسه دائما قائلا: ماذا أستطيع أن أقدم من أجل أمتي المسلمة؟.

- والعمل بكل مافى الوسع على تحرير أى بلد مسلم من أى عدو يحتل أرضها أو يسيطر عليها.

- والعمل الجاد على توحيد هذا العالم الإسلامى أو جمع شمله فى الاقتصاد والسياسة والثقافة الإسلامية، على اعتبار أن مستقبل العالم الإسلامى هو الاتحاد ثم الوحدة، حيث لا وجود فى عالمنا المعاصر للكيانات الصغيرة ولا للدويلات كما هو واضح ومعروف.

- إن التربية الإسلامية كفيلة بأن تولد فى المسلم هذا الانتماء والم تفع فليست بإسلامية، ولا يجوز أن توصف بذلك.

وإن الإنسان إذا شب على هذا الفقه فهو المسلم المنتمى إلى الإسلام بعمله وسلوكه لا بمجرد الشعارات.

حاشية عشر- تكوين المسلم الدائم إلى الله:

الأصل فى كل مسلم ومسلمة أن يكون داعيا إلى الله، ينشر بهذه الدعوة الخير فى الناس، ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم، بحيث يكون على بصيرة بما يدعو إليه، وليست الدعوة إلى الله واجب العلماء المتخصصين وحدهم، كما يردد ذلك بعض المغرضين.

- ومن أهداف التربية الإسلامية أن تكون المسلم الداعي إلى الله، وأن تؤهله لذلك بكل ما يحتاج إليه، وتفصيل هذا التأهيل يلتمس في مظانّه من كتب الدعوة إلى الله ^(١) ولكننا نشير هنا إلى خطوط رئيسية في هذا المجال منها:

* ثقافة عامة جيدة .

* وثقافة إسلامية متخصصة .

* ومعرفة بفقّه الدعوة إلى الله، مفهوما وأسبابها وأركانها وأهدافها وأساليبها ووسائلها ونتائجها ومراحلها.

* ومعرفة بفقّه الداعي إلى الله، ووظيفته وصفاته الفطرية، المكتسبة، وإعدادة نفسيا وخلقيا وثقافيا، وفنيا وعمليا عن طريق التدريب.

* ومعرفة بفقّه المدعوين، وأصنافهم وسمات كل صنف منهم، وواجبات الدعاة نحوه، واختيار أنسب الأساليب والوسائل للتعامل معهم.

- وللمام بتاريخ الحركات الإصلاحية الإسلامية في تاريخ المسلمين وفي العالم المعاصر، وهذا يقتضي أعمالاً على جانب كبير من الأهمية، نذكر منها مايلي:

* دراسة هذه الحركات في أقطارها ومعرفة أسباب نجاحها أو فشلها لأخذ العظة والعبرة.

* والتعاون مع هذه الحركات الإسلامية مادام التعاون متاحا ومساعد على

(١) للمؤلف في هذا المجال الكتب التالية :

- فقّه الدعوة إلى الله (جزءان) نشر دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- فقّه الدعوة الفردية، نشر دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- المرأة المسلمة وفقّه الدعوة إلى الله نشر دار الوفاء ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- فقّه الأخوة في الإسلام نشر دار التوزيع والنشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

تحقيق الهدف من العمل الإسلامى.

* وتبادل النصائح والتواصى بالحق وبالتواصى بالصبر.

* وعقد لقاءات وزيارات مهما تباعدت المسافات. لأن تلك الزيارات تدعم المحبة والأخوة فى الله وتعين على تحقيق أهداف الدعوة إلى الله.

- والتعرف على التيارات المعادية للدعوة إلى الله، لوضع الخطط لمواجهتها وإبطال كيدها.. فى هدوء الدعاء وأسلوبهم فى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

- والقيام بدراسات تقويمية لبعض الحركات الإصلاحية الإسلامية للاستفادة من هذه الدراسات فى الحاضر وفى المستقبل.

- والتربية الإسلامية لاستحق أن توصف بأنها إسلامية إلا إذا عملت على تربية الناس على هذا الوعى وذلك الفقه وجعلت هذا العمل من بين أبرز أهدافها.

ثانى عشر :

تكوين المسلم القادر على المشاركة فى العمل الإسلامى :

وكلمة العمل الإسلامى تحتاج منا إلى توضيح، وذلك أنه جرى استعمال هذا المصطلح «العمل الإسلامى» حديثاً، ليدل على كل أنواع العمل الذى يؤدى من أجل أن يتحقق الإسلام ويسود منهجه فى الناس علماً وخلقاً وعملاً وسلوكاً ونظاماً، ودستوراً يرجع إليه المسلمون فى كل شؤونهم.

* وهذا الاصطلاح نبت فى دعوات وحركات وتنظيمات إسلامية معاصرة أرادت أن تدل على العمل الواجب على المسلمين من أجل دينهم فاختارت

هذه الصيغة، وشاع هذا المصطلح، ونفذ إلى الكتب والمؤلفات وأصبح من
الوضوح بمكان .

* ونحب هنا أن نذكر ببعض مفردات هذا العمل الإسلامي على النحو

التالى:

- الدعوة إلى الله بكل ما تشتمل عليه من تفصيلات أشرنا إليها آنفاً،
وفصلنا الحديث فيها فى كتابنا فقه الدعوة إلى الله.

- والحركة من أجل الإسلام، بالاختلاط بالناس، والصبر على أذاهم وحبهم
والتحبيب إليهم، وفعل الخير من أجلهم، وتصنيفهم فى فئات عمرية وثقافية
والاستجابة لمتطلبات هذا التصنيف وتوظيفهم فى المجالات التى تلائمهم من
العمل الإسلامى.

- والتنظيم الذى يوضع من أجل المدعوين ومن شملتهم أعمال الحركة،
التنظيم بكل ما تحدثنا عنه من تفصيلات فى كتابنا: فقه الأخوة فى الإسلام.

- والتربية بكل ماتعنيه، ومالها من أهداف ووسائل ومراحل على نحو ما
أشرنا إليه إجمالاً آنفاً.

والتربية مرحلة من مراحل العمل الإسلامى، تخدمها الدعوة وتخدمها
الحركة، كل منهما يصطفى أفضل عناصره ليدفع بها للتربية لتتكون تكونا
إسلامياً صحيحاً يؤهلها لحمل أعباء العمل من أجل التمكين لدين الله فى
الأرض.

- والتطبيق العملى للإسلام على مستوى الفرد والبيت والمجتمع.

- والعمل على التمكين لدين الله فى الأرض وهو ما يتطلب الفهم

والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والتجرد والثبات والأخوة والفقه^(١).

- العمل على استمرار التمكين بالمحافظة عليه.

* وكل مسلم أو مسلمة مطالب بأن يقوم بهذه الأعمال جميعا إن استطاع، وأن يركز على واحد منها يجد في نفسه الكفاءة والقدرة على أدائه، وما لم يتم ذلك فكيف يمكن لدين الله في الأرض؟

- والتربية الإسلامية مطالبة بأن تهئ الناس وتعينهم على القيام بهذه الأعمال أو بعضها ليسهم بعمل ما في التمكين لدين الله وقيام حكومة إسلامية تحكم بما أنزل الله، وتتخذ الإسلام «القرآن والسنة» دستوراً لها.

- إن التربية الإسلامية مسئولة أن تكشف عن مواهب من تربيتهم وأن توظف طاقاتهم فيما يعرفون وما يحسنون ليسهموا بهذه الطاقات في العمل الإسلامي المؤدى إلى التمكين لدين الله في الأرض.

وبعد: فتلك أهداف التربية الإسلامية فيما بدا لي، ولا أدعى أنني استوعبتها أو حصرتها، وإنما ذلك ما أحسست بأنه أهداف وأنا أمارس هذا العمل ما يقرب من خمسين عاماً، ولا أدعى أنني وافقت الصواب كله، وإنما هو اجتهاد ومن يخطئ ويصيب.

وربما كتب غيري في أهداف التربية الإسلامية فجمع وأوعى بأكثر مما فعلت، ولكنها عندي الخبرة والتجربة وليست البحث والتنقيب في بطون الكتب والأسفار.

(١) تلك هي منظومة الإمام حسن البنا التي سماها أركان البيعة العشرة: البيعة على العمل من أجل التمكين لدين الله في الأرض، انظر رسالة «التعاليم» إجمالاً، وانظر لنا سلسلة في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا.

٤- وسائل التربية الإسلامية

الوسائل جمع وسيلة وهي : التوصل إلى الشيء برغبة.
وحقيقة الوسيلة إلى الله هي : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى المكارم الشرعية.
والوسيلة في صورتها العامة هي : كل ما من شأنه أن ييسر القيام بعمل أو يساعد على تحقيقه أو قضاؤه كما يلزم.
* وتختلف الوسيلة باختلاف الميادين التي تستعمل فيها، وعلى سبيل المثال :
- ففي ميدان الاقتصاد :

تعتبر النقود وسيلة لتيسير المعاملات .
- وفي ميدان النظم الاجتماعية :
تعتبر العقود المبنية على الإيجاب والقبول وسائل لنقل الملكية من واحد إلى آخر من الناس .
- وفي ميدان التربية والتعليم :

تعتبر الوسائل هي الوسائط التي توصل بها المادة التعليمية إلى المتعلمين
مادية كانت هذه الوسائل أو معنوية، نظرية أو عملية، وتتنوع هذه الوسيلة أنواعا عديدة نذكر منها مايلي:
* المنهج المدرسي كله ومايشتمل عليه من مفردات منها : الخطة الدراسية والمدرس والمعمل والبناء المدرسي .. الخ .

* والكتاب .

* والمحاضرة .

* والدرس .

* والحوار .

* والمناظرة .

* والخطبة .

* وأشرطة التسجيل .

* وأشرطة الفيديو .

* والبرامج المذاعة مسموعة أو مرئية .

* والندوات .

* والدورات التعليمية أو التدريبية .

* والمؤتمرات .

* والمخيمات والمعسكرات .

* وزيارة الأماكن التي لها صلة بالمادة التعليمية .

* وزيارة الصالحين .

* وزيارة أصحاب الخبرة، والتجربة، والبارزين من رجال المال والأعمال.

* والقُدوة.

تلك هي الوسائل بصورتها العامة دون استقصاء.

- أما الوسائل في التربية الإسلامية، التي يستعان بها في توصيل المعلومة أو نقل الخبرة، أو القيمة التربوية إلى الطرف الآخر، فلها - في تصوّر - تقسيم خاص نشير إليه فيما يلي:

أولاً: من حيث المكان الذى تمارس فيه التربية :

وهى بهذا الاعتبار تتنوع إلى نوعين :

- عامة: وهى المسجد والمدرسة والجامعة والنادى والمجتمع.

- وخاصة : وهى البيت والأقارب والأرحام والأصدقاء والجيران .

ثانياً: من حيث نوعها، وهى كثيرة، ولكن نقسمها إلى الأقسام التالية:

أ- شفهية منطوقة أو مسموعة أو مرئية :

وهى : الخطبة والدرس والمحاضرة والحوار والمناظرة والقصة والإذاعة، والسينما والمسرح ، والندوة والدورة والمؤتمر.

ب- وعلمية بحثية :

وهى تكليف المتعلم بإعداد بحث علمى فى موضوع بعينه مع معونه على المضى فى البحث بتيسير مصادره ومراجعته وخطته وطريقة السير فيه.

ج- وعملية تدريبية:

وهى: الصلحة للصالحين والمربين، والقدوة، والمخيم، وزيارة الأماكن، والرحلة ترفيهية أو وظيفية، والسفر والهجرة ونحو ذلك.

ثالثاً: هناك وسائل تربوية لجماعة الإخوان المسلمين لها، فعاليتها فى التربية فى مجالات الدعوة والحركة والتنظيم والتربية بعامة وهى:

- الأسرة: وهى مجموعة قليلة العدد يقوم عليها مسئول يعرف بالنقيب، وتستهدف التربية المتكاملة للفرد.

- والكتيبة: وهى مجموعة من الأسر تجتمع على العبادة والتقرب إلى الله

بالنوافل ولا بد أن تشتمل على الدعاء ، وهي تستهدف تربية الروح وترقيتها ونقريتها من الله تعالى .

- والرحلة : ويشارك فيها عدد أكبر من الأسرة، وتستهدف تربية البدن وتعويده على الصبر والتحمل ، وتقويته .

- والندوة وهي : موضوع واحد يشترك في عرضه عدد من العلماء والمختصين واشتراك المستمعين في الحوار .

- والدورة : وهي جمع عدد غير قليل من الناس ، لتلقى أنواع من المحاضرات والدراسات والبحوث والتدريبات حول موضوع يهتم به العاملون في الحقل الإسلامي .

- والمؤتمر : وهو مجتمع للتشاور والبحث في أمر ما ، وله نظام وتنظيم خاص . وهذه الوسائل الثلاثة : الندوة والدورة والمؤتمر تستهدف تربية العقل وتعميق الفكر والثقافة فهي تربية عقلية تضاف إلى التربية البدنية والروحية .

- والمخيم أو المعسكر : وهو تجمع كبير من الناس في مكان ملائم لمدة ثلاثة أيام أو أكثر ، لتطبيق برنامج خاص يتضمن التطبيق العملي للإسلام في الطعام والشراب والنوم والحركة والتعامل والنظام والعبادة... إلخ وهو وسيلة عملية لتطبيق الإسلام^(١) .

* وقبل أن ننهي الحديث عن الوسائل لابد أن ننبه إلى عدد من الأمور الأساسية في هذا المجال ، وهي :

(١) ناقشت بالتفصيل هذه الوسائل التربوية الخاصة بجماعة الإخوان المسلمين في كتاب « وسائل التربية عند الإخوان المسلمين » دراسة تحليلية تاريخية . نشر دار الوفاء بمصر ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٠ م .

- أن تكون هذه الوسائل جميعها من العمل الصالح، أى مشروعة لأن كل عمل صالح قد شرعه الإسلام.

- وأن تكون خالية من كل ما يغيظ الله تبارك وتعالى، لأن كل ما يغيظ الله يلحق ضرراً بفاعله أو بغيره من الناس، وكل ما يلحق هذا الضرر حرام.

- وأن تكون الغاية من كل هذه الوسائل إرضاء الله تعالى، باتباع أمره واجتناب نهيه، لكي يعيش الناس حياة تليق بتكريم الله للإنسان.

وبعد: فهذه هى وسائل التربية الإسلامية نرجو أن نكون قد وفقنا فى عرض أهم ما تدل عليه.

٥ - مصادر التربية الإسلامية ومراجعها

مصادر التربية الإسلامية هي: النصوص الإسلامية التي يستعين بها علماء التربية المسلمون، ويستمدون منها الأسس التي تقوم عليها العملية التربوية في مختلف ميادينها.

* وهذه المصادر هي:

- القرآن الكريم - وهو حافل بالقيم التربوية، بل لا أبالغ إن قلت: إن كل سورة من سورة الكريمة لاتخلو من قيمة تربوية أو أكثر^(١)، ولا عجب في ذلك فهو هدى للناس.

- السنة النبوية المطهرة في كتبها الموثقة كالصحيح والسنن والمسند، فهي حافلة بالقيم التربوية إذ هي شرح وتفصيل للقرآن الكريم.

- السيرة النبوية المطهرة إذ هي السنة العملية، إذا اعتبرنا الأحاديث النبوية هي السنة النظرية.

- وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم وخصوصا مشاهيرهم، وما تضمنه تاريخهم من قيم تربوية، فهم ألصق الناس برسول الله ﷺ وأعرفهم بهديه وأصدقهم في النقل عنه.

وأما مراجع التربية الإسلامية، وهي ماكتبه علماء المسلمين عن التربية الإسلامية، فأكثر من أن تحصى في هذه الصفحات، لكننا نشير منها إلى ما نرى فيه مقننا وكفاية فيما يلي:

(١) تتبعنا تلك القيم في سلسلة لنا بعنوان «التربية في القرآن الكريم» صدر منها: التربية الإسلامية في سورة المائدة والتربية الإسلامية في سورة النور؛ وكلاهما نشرته: دار التوزيع والنشر الإسلامية - بمصر.

* مراجع التربية الإسلامية :

- تاريخ التابعين وتابعيهم، وما في هذا التاريخ من قيم تربوية.
- جهود علماء التربية من المسلمين وما وصلوا إليه من حقائق ونظريات تربوية ومعارف لها وزنها وأهميتها، ومن أشهر هؤلاء العلماء :
- ١- محمد بن سحنون (٢٥٦ هـ)
وله كتاب صغير الحجم هو : «آداب المعلمين» دُوِّنه عن أبيه.
- ٢- وابن القابسي على بن محمد (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ)
وله : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين.
- ٣- ومسكويه أحمد بن محمد (٤٢١ هـ) .
وله : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق.
- ٤- ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) .
وله : جامع بيان العلم وفضله.
- ٥- وبرهان الدين الزرنوجي (٥٧١ - ٦٤٠ هـ)
وله : تعليم المتعلم طريق التعلم.
- ٦- ومحيي الدين بن عربي (٥٦٩ - ٦٣٨ هـ)
وله : رسالة في تهذيب الأخلاق.
- ٧- وعبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)
وله : المقدمة وفيها الكثير عن التعليم والتعلم.
- ٨- وأبويحيى زكريا الأنصاري (٨٢٣ - ٩١٦ هـ)

وله: اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم.

٩- وأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (٩٠٩-٩٧٤هـ).

وله: تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال.

١٠- ويدر الدين العاملي (ت ٩٣٣هـ).

وله: كتابا الكشكول والمخلاة، أودعهما كثيرا من المعلومات التربوية.

وكتاب أدب المفيد والمستفيد.

هذه نماذج فقط والمكتبة العربية زاخرة بالعشرات بل المئات من الكتب التي تناولت موضوعات تتصل بالتربية وتعد من أهمها مراجع في التربية الإسلامية^(١).

ومنها على سبيل المثال:

١- «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي أبي حامد.

٢- «المقابسات» لأبي حيان التوحيدي.

«الإمتاع والمؤانسة» له أيضا.

٣- «وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» لابن جماعة.

- وجهود علماء التربية الإسلامية المعاصرين الذين حصلوا على درجات علمية في التربية الإسلامية وما يتصل بها وهم كثير في الجامعات المصرية، وبعض الجامعات العربية.

- وجهود المصلحين من المسلمين، وما شتمت عليه من إسهامات تربوية.

(١) في المكتبات العامة في مصر وفي كثير من بلدان العالم العربي مئات المخطوطات في التربية والتعليم والتعلم، تحتاج إلى من يعنى بها وينشرها.

= وما خلفه العلماء في الشرق والغرب، من غير المسلمين من تراث تربوي تعرض بعضه للتربية الإسلامية وجهود المسلمين فيها بالمدح أو القدح، وذلك تراث إنساني مهما كان فيه من تهجم على الإسلام والمسلمين نستطيع أن نجعل من بعضه مراجع في التربية عموماً، ونأخذ منه مايفيد بشرط ألا يخالف شريعتنا ولايختلف مع قيمنا وأخلاقنا.

وإسهامات علماء التربية الغربيين في ذلك كثيرة ترجم منها إلى العربية وبقي معظمها في لغاته الأصلية، يمكن الاستفادة منه في ظل ما شرطنا آنفاً.

وبعد: فهذه صورة مجملة عن مصادر التربية الإسلامية ومراجعها لمن أراد أن يقرأ ويتعلم ويعلم ثم يعلم، لأن ذلك واجب أوجب الإسلام على كل قادر عليه.

٦ - ميادين التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية ميادين فسيحة تمارس فيها، تتسع بحيث تشمل العالم كله، وتتخصص حتى تبدأ بالإنسان نفسه، وما بين هذين الحدين ميدان التربية الإسلامية تحاول فيه أن تقيم الناس على الجادة وعلى الصراط المستقيم صراط الله.

* ونحاول هنا أن نتعرف على هذه الميادين واحدا واحدا لنلقى الضوء عليه بما يزيل اللبس والغموض بإذن الله تعالى.

ميكان الإنسان نفسه:

وهو في تصوري أوسع الميادين، وأهمها، لأن سائر الميادين التي سنتحدث عنها إنما هي من أجل الإنسان.

* والإنسان روح وعقل وبدن ودين وخلق وحس اجتماعي.. إلخ، والإسلام بتربيته له يحاول أن يقيمه على المنهج الذي اختاره الله تعالى للناس، فيربي روحه وعقله وبدنه وسائر ما فيه من قوى ومشاعر تربية إسلامية يستطيع بها أن يحقق السعادة في معاشه ومعاده.

* وليس في مخلوقات الله من هو أفضل من الإنسان لذلك أرسل الله إليه الرسل والأنبياء لإرشاده إلى ما يصلحه في دنياه وآخرته، ولتربيته ليستقيم على الدين القيم، ولذلك توجهت إليه النصوص الإسلامية ترشده وتحذره وتأمره وتنهاه، وتعلمه كل شيء حتى قضاء حاجته.

* والإنسان الموفق هو من استجاب للرسول الخاتم ﷺ إذ يدعوه لما يحيينه حياة طيبة في الدنيا والآخرة، والشقي من تنكب الطريق.

وميدان البيت المسلم:

وهو أساس المجتمع ولبنته الأساسية على الرغم من أنوف الذين يتادون بهدم الأسرة قديما وحديثا، لأن تلك من سنن الله في تكاثر الناس وتواجدهم هذه الفترة المحدودة من الحياة الدنيا.

* والبيت المسلم يقوم فيه اختيار كل من الرجل والمرأة لمن يشاركه هذه الحياة الأسرية اختيارا ينبع من إرادة حرة تستهدى بمعايير وضعها الإسلام ليتم الاختيار على أساسها.

* وأهم معايير الاختيار لبناء البيت المسلم مايلي:

- بالنسبة للرجل عليه أن يظفر بذات الدين، فإن كان مع الدين حسب أو جمال أو مال فذلك من فضل الله، وإلا فلا يجوز أن تختار المرأة لجمالها أو جمالها أو حسبها وهي غير ذات دين.

ومن خالف هذه المعايير ندم وشقى في حياته الدنيا بمن اختار، وقصص الندمانين والأشقياء بحياتهم لعدم التزامهم بالمعايير أكثر من أن تحصى قديما وحديثا.

- وبالنسبة للمرأة، أمر النبي ﷺ أولياءها إذا تقدم إليهم راغب في الزواج بمن في ولايتهم أن ينظروا إلى دينه وخلقه أولا، فإن كان مع ذلك مرجح آخر فمن فضل الله.

* وتربية الأولاد في البيت المسلم قضية كبرى أولاها الإسلام أهمية تليق بها وبمستقبل الأمة الإسلامية، وهم الأطفال، وحقق في ذلك ودق، وألزم وأحل وحرم، ورسم الحدود والأخلاق والآداب^(١).

(١) انظر لنا: تربية الناشء المسلم دار الوفاء بمصر ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م إذا أردت أن تتوسع في القراءة والله يوفقك.

* وتربية كل من في البيت من يتامى أو خدم واجب شرعى لا يستطيع المسلم أن يهمله.

* والأب له القوامة على البيت والأم تساعد ولا تنافسه في هذه القوامة وإلا اختل البيت، وضاع الأبناء، وتستطيع المرأة المسلمة أن تسهم في تربية أولادها بما أتاح الله لها من علم ومعرفة، ولا تملك أن تكون مجرد مصدر حنان للأولاد لا يعرف الحسم ولا التأديب عند اللزوم.

وميدان المسجد :

* المسجد مكان العبادة وهو بيت الله يشرف المسلمون بأن يكونوا ضيوفا فيه خمس مرات في اليوم والليلة ليؤدوا فريضة الصلاة، ويتعارفوا ويتحابوا ويتفقد بعضهم بعضا عند غياب أحدهم.

* ومن هدى النبي ﷺ أن علمنا أن المسجد يطلب فيه العلم وتعدّد فيه حلقاته، ومن هنا كان للمسجد أثر كبير في تربية المسلمين صغارا وكبارا على أيدي العلماء المخلصين القادرين على التوجيه.

* والمسجد عندنا ميدان للتعليم المستمر الذى لا يتوقف أبدا لأن الإنسان المسلم لا يتوقف عن التردد على المسجد فى صلواته حتى يلقي الله.

* ومجرد التردد على المسجد تربية للمسلم دون درس أو حلقة علم تعقد فيه، وحسبه ما يتعلمه من الصلاة ومن تسوية الصفوف ومن الإنصات خلف الإمام ومن متابعتة له، ومن تعارفه على إخوانه من المصلين.

وميدان المدرسة :

وهو ميدان يبدأ بمدرسة الحضانة ولا ينتهى إلا بالجامعة فى مرحلة الدراسات العليا فيها.

* والتربية الإسلامية تقيم أكبر وزن لهذه المؤسسات التعليمية وتحاول من خلال وسائلها ووسائطها - التي نتحدثنا عنها آنفاً - أن تربي الإنسان الصالح، الذي يسهم في بناء بيته وخدمة مسجده، وإقامة المجتمع المسلم، وتربيته على الإخلاص لله في كل عمل وعلى الإحسان لكل عمل وعلى سائر القيم الإسلامية التي تجعل منه رجلاً منتجاً أميناً على نفسه وبيته ومجتمعه قادراً على تحمل المسؤولية، مستعداً للجهاد والتضحية في سبيل الله.

* والتربية الإسلامية وإن بدأت في المدرسة الأولى إلا أنها تستمر إلى ما بعد المرحلة الجامعية، مما يؤكد استمرار هذه التربية في معظم حياة المتعلم، فإذا أنهى المتعلم تعليمه، فإنه مطالب بأن يعلم سواء في المدرسة أو في البيت أو في المسجد أو في أي مكان تتاح له فيه فرصة تعليم سواء .

* ولا تستطيع المدرسة أن تؤدي وظيفتها تلك في المتعلمين إلا إذا كانت إسلامية المنهج والمدرس والكتاب والهدف والوسيلة .

وميدان الجماعات والجمعيات :

من فطرة الإنسان التي فطره الله عليها أن يحب الاجتماع إلى غيره والاستئناس به، وتبادل المصالح معه، والتعاون معه على دفع الأخطار والمضار.

ومن لم يكن كذلك فهو مصاب بمرض، عليه أن يعالج نفسه منه، إذ الإنسان السوي اجتماعي بطبعه .

* والجماعات أو الجمعيات عدد من الناس يرتاح بعضهم إلى بعض وتجمع بينهم مصالح أو أهداف مشتركة، ويقبل الفرد على الانضمام إليها بمحض اختياره، ويجد في نفسه الدافع على أن ينخرط فيها ويضحى من أجل تحقيق أهدافها بوقته وجهده وماله وربما بنفسه إن كان جهاداً في سبيل الله لتكون

كلمة الله هي العليا .

وهذه الجماعات أو الجمعيات لابد أن تكون أهدافها ووسائلها مشروعة يقرها الإسلام إذ لا تتضمن ضرراً لأحد .

وهذه الجماعات والجمعيات ميادين جيدة للتربية الإسلامية من خلال ما تعد من برامج علمية أو ثقافية أو اجتماعية أو ترفيهية ، ومن خلال ما تمارسه من ألوان النشاط الذي أقره قانونها .

وتتنوع هذه الجماعات فنجد منها :

جماعة أو جمعية رياضية .

وأخرى ثقافية .

وثالثة اجتماعية تقدم الخدمات .

ورابعة خيرية تعين ذا الحاجة وتكفل من لا كافل له .

وخامسة سياسية فيما يعرف بالحزب السياسى .

وسادسة كشفية .

وسابعة إقليمية تضم أبناء قرية أو إقليم بعينه .

وثامنة تعليمية تنشئ المدارس والمعاهد .

وتاسعة تربوية تعنى برعاية المفاهيم التربوية الصحيحة ونشها فى الناس من خلال كتب ومجلات ومحاضرات .

وعاشرة بيئية تعنى بالمحافظة على البيئة .

وما لا أحصى من هذه الجمعيات والجماعات .

والحكومات العادلة الراغبة فى تطوير المجتمع وتحسين أداء الأفراد تشجع إنشاء

هذه الجماعات والجمعيات بل تمددها بالمعونات فى بعض الأحيان ، لأنها

تساعد الحكومة فى صميم ما يجب عليها .

وميطان النوادي :

وقد كثر النوادي في العصر الذي نعيشه ، وأصبح الانضمام إلى أحدها يحقق للإنسان مصالح هو في حاجة إليها ، وتلك العضوية في النوادي نوع من التعاون مع أعضاء النادي في الصالح الخاص أو العام .

وأشهر الأندية اليوم الأندية الرياضية التي تجعل من نشاطها الاجتماعي أحيانا مجالات لتقديم خدمات لأعضائها، خدمات ترفيهية أو اقتصادية أو اجتماعية خدمية.

وقد استولى بعض السياسيين في بعض بلدان العالم الإسلامي على هذه الأندية بقوة ما لديهم من سلطة وجعلوا من أنشطتها الدعاية للحاكم أو لوزير أو كبير فآلقوا على وظيفتها ظلالا تنفر منها المخلصين الجادين .

وتجعلها مكانا يتوافد عليه المنافقون الذين ينظرون إلى هذه العضوية من خلال ما يمكن أن يتقربوا بها إلى الحكام والوزراء.

ويستطيع الجادون المخلصون من أعضاء هذه النوادي والقائمين عليها أن يسهموا في تربية الناس تربية إسلامية من خلال ما يمارسون من أنشطة رياضية أو اجتماعية أو نحوها.

وميطان المجتمع:

والمجتمع هو الوعاء الضخم الذي يضم الأسر والأفراد الذين ليست لهم أسر، ويتضمن كل ما يسود هؤلاء الناس من قيم دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو أدبية أو فنية وهذا المجتمع بكل ما فيه له اعتبارات في منهج الإسلام، نذكر منها ما يلي:

- إنه تنظيم لمصالح الأسر والأفراد، فلا يجوز للقائمين عليه أن يهضموا أحدا حقه باسم هذا المجتمع - كما فعلت النظرية الشيوعية أو الاشتراكية ذلك فسحقت الفرد لمصالح هذا المجتمع.

- وأنه لا يجوز للقائمين عليه أن يغلبوا مصالح الأفراد فيه على مصالح المجتمع كما فعلت النظرية الرأسمالية فقدمت كثيرا من حقوق المجتمع لمصالح الأفراد.

- والمجتمع كيان يحترمه الإسلام ويعطيه من الحقوق على الأفراد ما به يرقى ويتقدم، ولكنه يفرض عليه من الواجبات ما به يرقى الفرد والأسرة، وتحقق المصالح، وتقضي الحاجات.

والمجتمع المسلم يجب أن يصطبغ بالصبغة الإسلامية في كل مرفق من مرافقه وفي كل نشاط من أنشطته، وفي كل القيم التي تسوده، والأهداف التي يسعى لتحقيقها والوسائل التي يستعين بها.

- والتربية من خلال المجتمع من أقوى أنواع التربية وأكثرها تأثيراً في الناس وأعمها وأجدرها بالقبول عند الناس.

- وتقوم التربية الإسلامية على ركائز عديدة من أهمها:

- الأمر بالمعروف - وهو كل ما أمر الله به - لكل أحد، وذلك أن الإنسان بحكم فطرته وقدرة الشيطان على الوسوسة إليه كثيراً ما يقعد عن فعل ناسياً أو متناسياً، فيحتاج دائماً إلى تذكّر، والقرآن الكريم ذكرى للمؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ لِتَتَذَكَّرُوا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)، وكما قال جل شأنه لرسوله الخاتم ﷺ وللؤمنين: ﴿وَذَكَرَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢).

- والنهي عن المنكر - وهو كل ما نهى الله عنه وأحرمه - لكل أحد كذلك، لأن الإنسان يزين له الشيطان الباطل ويتابع الشهوات ويلبس عليه الحق والباطل فيعصى الله بالوقوع فيما حرم الله، فاحتاج إلى ناهٍ عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٣).

- والإحسان: بمعنى مراقبة الله تعالى في كل قول أو عمل، وبمعنى اتفاق كل عمل يقوم به الإنسان، وبمعنى توصيل الإحسان إلى الناس، قال الله تعالى: ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤).

مكان الأمة العربية:

الأمة العربية في هذا المدى الجغرافي الفسيح التي تتحدث لغة القرآن، لها

(١) سورة الأعراف: ٢.

(٢) سورة النازعات: ٥٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٤) سورة البقرة: ١٩٥.

- تميز على غيرها بأن لسانها جاء به آخر الكتب السماوية. ولها امتياز آخر هو أن العرب هم الذين انطلقوا بالإسلام ينشرونه في العالم، لكن هذا الامتياز لا يعطى للعرب أفضلية على غيرهم من المسلمين، لأن هذه الأفضلية ليست إلا بالتقوى.
- * والتربية الإسلامية تستهدف في الأمة العربية أهدافا عديدة نذكر منها ما يلي:
- إعطاء لغة القرآن الكريم حقه في الصدارة والاهتمام، بحيث تكون لغة التعليم ولغة الصحافة واللغة الرسمية لكل دولة عربية ولغة التخاطب كلما أمكن ذلك.
 - والاهتمام بتراث هذه اللغة ببعثه من مخطوطاته ونشره لتيسيره للناس، لأن تراث الأمة هو لبابها وهو شخصيتها وبخاصة إذا كان هذا التراث قد سجل بلغة القرآن، وتضمن علوم الإسلام.
 - ومقاومة الدعاوي الكاذبة والافتراءات التي تقول بصعوبة اللغة العربية وعجزها عن مواكبة المستجدات في الحياة، والرد على تلك الأقاويل، وإبطال سمها الزعاف.
 - وتربية الناس على الاقتناع بحقيقة راسخة هي أن من يهاجم اللغة العربية أو ينتقص قدرها إنما يحارب الإسلام، لأن العربية لغة الإسلام التي نزل بها القرآن الكريم ونطقت بها السنة النبوية المطهرة.
- وحسبك بلغة لا يجوز لمسلم أن يؤدي صلاته إلا بها!!!
- إن التربية الإسلامية وهي تدعم لغة القرآن تحيي في الناس ولاءهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتزيد من تمسكهم بإسلامهم.

ميطان الأمة الإسلامية:

الأمة الإسلامية هي التي تدين بدين الإسلام، وتتبع الرسول النبي الأمي الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم قبل أن يدخلوا في الإسلام.

وهذا المفهوم للأمة الإسلامية يدخل فيه مسلموا العالم الذين أصبحوا أكثر من ألف مليون مسلم يمثلون أكثر من خمس سكان الأرض، هؤلاء جميعا - وهم خطر على الأعداء على الرغم من أنهم ممن يعيشون في عالم الجنوب عالم الفقر العالم الثالث - ومن أجل هذا الخطر يفكر الغرب في تقليص أعدادهم ويخطط للسيطرة على مصادر ثرواتهم الطبيعية، ويضع في طريق نموهم العقبات والعراقيل.

هذه الأمة الإسلامية لاسبيل أمامها إلى الخروج من دائرة نفوذ الغرب وسيطرته الاقتصادية والسياسية والثقافية، إلا إذا تدبرت أمرها وثابت إلى رشدتها فقامت بالأعمال التالية:-

- أن تعود إلى التمسك بدينها والالتزام بأحكامه وأخلاقه وأدابه، فإن ذلك سوف يوقفها من سباتها، وسوف يجلو عن قلبها وعينها خداع الغرب لها بتزهيدها في كل ما هو إسلامي، وإيهامها بأن الإسلام دين يدعو إلى التخلف والرجعية والجمود، فلو خرجت الأمة الإسلامية من هذا الخداع والوهم لاستطاعت أن تبين طريقها في الإصلاح والرقى والنماء.

- وأن تلتزم بأحكام الإسلام في كل قوانينها فتحكم الناس بمنهج الله وشريعته، فيزول عن الناس ما هم فيه من قهر حكوماتهم، وحرمانهم من

حقوقهم وحررياتهم، وعندئذ تنطلق مواهبهم لإبداعية في مجالات العلوم والفنون فما هي إلا سنوات فإذا بها خرجت من دائرة الفقر والتبعية للغرب.

= وأن تتعاون دول العالم الإسلامي بعضها مع بعض في سبيل تكامل ثقافي واقتصادي وعلمي وتعليمي، تمهيدا لتكامل في مجال السياسة وتكوين الكيان الكبير، ولن تستطيع دول العالم الإسلامي أن تفعل هذا وهي خاضعة للمستشارين الأجانب غارقة في ديون الأجانب وعاجزة عن سداد فوائد هذه الديون.

- وعندما تصل إلى هذا الحد من التعاون تستطيع أن تتكافل وأن تتناصر، وأن يكون لها رأى له وزنه في القضايا العالمية، وعلى سبيل المثال:
* تستطيع أن تعمل على رفع الاضطهاد عن مسلمي البوسنة.
* وأن تعمل على إنقاذ مسلمي كشمير وبورما.

* وأن تؤيد إحدى دولها في قضية عادلة تتحداها الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد، مثل أن نحاول إحدى الدول الإسلامية أن تطبق الشريعة فيقف العالم كله ضدها يتهمها بالإرهاب والتطرف كما هو موقف الغرب من السودان مثلاً.
* وتستطيع أن تعترض على اضطهاد المسلمين من أجل دينهم كما هو الواقع في كثير من الولايات الإسلامية التي كانت مغتصبة من الاتحاد السوفيتي السابق.

- إن التربية الإسلامية هي التي تولد هذه الرغبات عند المسلمين، ونضئ لهم طريقهم نحو التخلص من التبعية والجمود وعالم الفقر والديون وفوائد الديون، بل أن يوجهها الغرب بأن الحل في تقليص العدد وتخفيف الأسرة، وإباحة الإجهاض واللواط والسحاق!!!

* ليس كالتربية الإسلامية شيء يفتح القلب والعقل والعين على هذه الحقائق، ويساعد على التخلص منها من خلال التحاكم إلى شرع الله ونظامه.

مبدأان العالم الإنسان كله:

هذا العالم مع تطور وسائل الاتصال والمواصلات أصبح صغيرا والمسلمون مطالبون بالتعامل مع هذا العالم كله من منطلق أن الدعوة إلى الله يجب أن تصل إلى كل إنسان في أي مكان من الأرض.

وعلى الرغم مما يعاني منه المسلمون من ظلم واقع عليهم من الغرب الذي يتحكم اليوم في العالم كله بهيئة الأمم المتحدة التي يسيطر عليها، وبالنظام العالمي الجديد الذي ابتكره بعد حرب الخليج الثانية، على الرغم من ذلك كله فإن الإسلام لا يسمح للمسلم أن يحمل حقدا على أحد ولا أن يضر مشرا لأحد، وإنما يتعامل مع كل الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ويوم تسد هذه القنوات لتعنت الطرف الآخر وتصبح الحرب ضرورة فإن الإسلام يسمى هذه الحرب جهادا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، دفاعا كان ذلك الجهاد أو هجوما.

هذا الأسلوب في التعامل مع العالم كله من غير المسلمين، لا يأتي من فراغ، وإنما تقف وراءه فلسفة التربية الإسلامية تمتد بالحق وتؤيده بالحجج والبراهين، وترسم طريق العمل والتعامل وتربي النشء على ذلك منذ نعومة أظفارهم.

إن التربية الإسلامية تربية إنسانية تحترم الإنسان مهما كان دينه أو لونه أو عرقه، لا كتلك التربية التي تجعل من اليهودي أفضل الناس وتربيته على أن الناس يجب أن يكونوا في خدمته، ولا كتلك التربية التي تقيم الدنيا وتقعدها لأن عشرين من صرب البوسنة قتلوا في حرب بين المسلمين والصربيين ثم

تتجاهل أبشع ما عرفت البشرية في تاريخها من أعمال وحشية مارسها صرب البوسنة ضد مسلمات البوسنة وأطفالها وشيوخها وشبابها^(١)، مما لم يسمع له مثيل، ولك أن تتخيل امرأة مسلمة يقتصبها صربي، ثم يلقحونها بأجنة كلاب!! تخيل الحقد والنفوس السوداء التي ترتدى جلداً أبيض!!

إن التعامل مع هذا العالم الظالم المتجنى المتعصب ضد الإسلام والمسلمين المستولى على خيرات بلادهم يحتاج إلى تربية إسلامية ترشد هذا التعامل، ويحتاج إلى اتحاد إسلامي يجعل لكلمة المسلمين وزناً، ولواقفهم تأثيراً، ولرفضهم أو قبولهم اعتباراً.

إن التربية الإسلامية تسهم في بناء الرجال الذين يحسنون التعامل مع العالم كله، يأخذون منه ويعطونه في إطار ما أحل الله وما حرم، ويسالمونه طالما سالمهم ويحاربونه عندما لا يجدون بداً من حربه.

(١) أذبح نبأ قتل هؤلاء العشرين في يوم ١٠/٦/٩٤م، بينما يحدث لمسلمي البوسنة ما يشيب له الولدان من عام ١٩٩٢ بشكل متواصل، لم تحتج عليه هيئة الأم بتلك الحدة ولا ببعضها!!

٧- منهج التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية منهج يخصصها، بل تنفرد به عمن سواها من أنواع التربية، وهذا التفرد نابع من أن هذا المنهج مأخوذ من الكتاب والسنة، وليس من سواهما من المناهج تشاركها في ذلك.

هذا المنهج المتفرد لابد أن تكون له صفات أخرى تجعله على هذا المستوى من التفرد، وتلك الصفات فيما أتصور كثيرة أذكر منها ما يلي:

- أنه منهج متكامل بمعنى أن بعضه لا يغني عن بعض، وأنه قادر على بناء الإنسان المسلم، طالما أخذ به كله دون إهمال لشيء منه.

- وأنه منهج يرى الإنسان الصالح للتعامل مع الحياة الدنيا ومع الحياة الآخرة.

- وأنه منهج يعترف بكل الطاقات التي في الإنسان: الروحية والعقلية والبدنية، ويعمل على الاستجابة لحاجاتها في إطار شرعية جاء بها الإسلام.

- وأنه منهج قابل للتطبيق بمعنى أنه ليس ممعنا في المثالية التي تعجز الإنسان عن اللحاق بها أو تطبيقها.

- وأنه منهج عملي لم يكتف بوضع النظرية، ثم يتجاهل ظروف تطبيقها وملايساته.

- وأنه منهج مستمر ليس مؤقتا ولا مرحليا، ولا يناسب زمانا دون زمان ولا مكانا دون مكان، وإنما هو صالح للبشرية كلها، ومستمر معها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

- وأنه منهج يستوعب كل المستجدات في حياة الناس، ويفتح أمام المتربى عليه باب العلم والإبداع والكشف عن حقائق الكون إلى غير ماحد، أو إلى الحد الذي تطيقه قدرة الإنسان وطاقته وأنه يسخر هذا العالم لصالح كل الناس.

وإذا كان المنهج هو الطريق والخطة المرسومة، فإن للتربية الإسلامية طريقاً واضحة بينة المعالم والحدود، معروفة الأهداف والوسائل تربى الإنسان لتقديره على أن يحقق سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا المنهج وإن كان نابعا من الكتاب والسنة كما قلنا آنفاً، إلا أنه لم يمنع المسلمين في الماضي، ولا هو بما نعهد في الحاضر أو المستقبل من أن يفصلوا هذا المنهج ويستعينوا في ذلك بما شاءوا ومن شاءوا، مادام ذلك لا يخرج بهم عن أحكام الإسلام وأدابه، ويتيح لهم أن يتعاملوا مع المستجدات والمتغيرات المستمرة في حياة الإنسان.

ومنهج التربية الإسلامية ملتزم في كل محتوياته بخطوات المنهج العلمي في الإسلام، عند بحث أي ظاهرة أو مشكلة، من رصد هذه الظاهرة وملاحظتها وإجراء التجارب عليها، ووضع الفروض لها، ثم التحقق من هذه الفروض وصدقها أو بطلانها، رغبة في التوصل إلى قوانين عامة تربط بين الظواهر، وتبحث عن العلاقات بينها^(١).

ولابد أن ننبه إلى أن هذا المنهج العلمي في البحث هو من تراث الإنسانية كلها مسلمين وغير مسلمين، لكن المسلمين عندما يمارسون هذا المنهج يلزمون أنفسهم بأخلاق الإسلام وهم يوالون تحقيق خطوات المنهج العلمي من أمانة وصدق وإخلاص وموضوعية وبعد عن المجازفة والمبالغة.

(١) انظر لنا: نحو منهج بحث إسلامي نشر دار الوفاء مصر ١٤٤٠ هـ - ١٩٨٩ م.

ومنهج التربية الإسلامية نوعان:

الأول:

المنهج المدرسى، الذى يوضع للعملية التعليمية كلها ابتداء من المبنى المدرسى وما يلحق به من مرافق وما ينبغى أن يكون عليه من قدرة على أداء وظيفته، وانتهاء بكل صغيرة فى المدرسة قد يراها بعض الناس ثانوية وإن كانت فى الواقع ضرورية مثل تنسيق فناء المدرسة وتزيينه وإعطائه مسحة جمالية، لأن كل ذلك يسهم فى أن تكون العملية التعليمية على صورتها الجيدة، وهذه المباني من صميم المنهج بمعناه العام.

ومن المنهج المدرسى المعلم الذى يقوم على العملية التربوية ويتفرد فيها بأكثر نصيب، وكيف يعد هذا المعلم إعدادا علميا عمليا فنيا، حتى يقوم بأداء هذا المنهج، مما يتطلب إعادة النظر فى متطلبات كليات التربية والمعلمين فيمن يعمل بالتدريس، وإعادة النظر فى تقدير المجتمع والحكومة لهذا الذى يرى مستقبل الأمة، بحيث ينال حقوقه المادية والمعنوية، ويصبح عبء العمل بالنسبة له محتملا وعدد الطلاب فى الفصل الدراسى معقولا يتمكن معه من التعامل مع الطلاب جميعا.

أما تلك الصورة التى أصبح عليها حال المعلم وعدد الطلاب فى الفصل والتى آل إليها البناء المدرسى فى معظم بلدان العالم الإسلامى فهى بكل تأكيد صورة غير إنسانية.

وكل حكومة تستحق أن تسمى حكومة لا يجوز لها أن تهمل فى التعليم لو أهملت فى أى مرفق من مرافق الدولة، لأن الخلل فى التعليم خلل فى تركيب

المجتمع كله ينعكس على حياة الناس بأسوأ الآثار، وليس هذا موضع شك من أحد.

ومحتوى المنهج في التربية الإسلامية أو المقررات الدراسية لابد أن يتضمن أموراً على جانب كبير من الأهمية في تربية الإنسان المسلم، وعلى سبيل المثال:

– فلابد أن تكون للمنهج علاقة بكل ما هو إنساني في الحياة.

– ولابد أن يكون له ارتباط بالمجتمع وحاجاته الحالية أو في المستقبل، وأن تكون له قدرة على بث القيمة الأخلاقية الإسلامية وتعديل السلوك لينسجم مع القيم الإسلامية.

– ولابد أن تكون للمنهج علاقة بعلوم الحياة، يؤديها المعلمون للمتعلمين حسب مستوى أعمارهم، بما يحفظ للطلاب صحة المعرفة والتوازن النفسي والاجتماعي، فتلك أمانة لا يجوز التفريط فيها بحال.

– ولابد أن يشتمل المنهج على برامج ووسائل لتربية طاقات الإنسان الفطرية فيه، كتربية الروح والخلق والعقل والبدن، وحاجته الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجهادية والجمالية، وأى إخلال بشيء من ذلك هو إخلال بالإنسان.

– ولابد أن يكون منهج التربية الإسلامية ذا مستويات متدرجة يلبي بها احتياجات المجتمع، حيث يخرج المتعلمين لممارسة الحياة، ويخرج العلماء والباحثين لمواصلة البحث العلمي والإبداع والاكتشاف، ويخرج المهنيين في كل مجال من المجالات التي تحتاجها الحياة الإنسانية.

ولا يمكن لمنهج التربية الإسلامية أن يستوفي كل هذا وغيره مما لم نذكره إلا

إذا عكف على إعدادة خبراء وعلماء مهمتهم وضع المناهج وفق الأهداف التي تحدثنا عن بعضها - المطلوبة من التربية الإسلامية -.

والآخر:

منهج غير مدرسي، نستطيع أن نسميه منهج التعليم المستمر وهو المنهج الأصلي الذي تفرع عنه المنهج المدرسي، وذلك بسبب أن تعليم الناس وإثرائهم بالعلم والمعرفة طوال حياتهم هو هدف التربية الإسلامية في كل حين، وهذا يميز للتربية الإسلامية عن غيرها من أنواع التربية التي تجعل المنهج المدرسي هو الأساس.

فإذا كان تحصيل العلم والمعرفة مطلباً إسلامياً أصيلاً يلزم الإنسان طالما هو حي يرزق، وإذا كانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هي قوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم»^(١).

مادام الأمر كذلك فإن التربية المستمرة في الإسلام هي الأصل وهي القاعدة العريضة التي تضم المجتمع كله صغارا وكبارا، ثم يشتق من ذلك منهج لتعليم الصغار.

ومادامت القراءة مطلباً إسلامياً، وهي في الوقت نفسه مطلب إنساني يستطيع من خلالها الإنسان أن يرقى ويتحضر، فإنه يدخل في مفهوم القراءة التأمل والتدبر والنظر والإفادة من السير في الأرض والتعرف على العبرة والعظة من التاريخ، وكل ذلك من التربية المستمرة التي دعا إليها الإسلام في عشرات

(١) سورة العلق: ١ - ٥.

الآيات القرآنية التي تطالب بالنظر والتدبر والتفكير والسير في الأرض، وكل ذلك يدل من جانب آخر على تقدير الإسلام للعقل وإعطائه الحرية في النظر والتفكير والتدبر ليهتدى إلى الحق، وسبق أن أكدت أن العقل لا يمكن - إذا كان مستقيماً غير منحرف عن فطرته - أن يتعارض مع الشرع.

إن المنهج التربوي المستمر له ميادين يمارس فيها هي:

- البيت حيث يعلم الإنسان المشى والكلام والقيم الخلقية والمهارات المناسبة لحياته، والبيت مؤسسة مستمرة.

- والمسجد، حيث يتعلم الإنسان الاختلاط بالناس والتعامل معهم، ويتعلم النظام والطاعة والنظافة وكل فضيلة يحتاج إليها في حياته، والمسجد مؤسسة مستمرة يتردد عليها الإنسان طوال حياته ويتعلم منها اليوم ما لم يستطع تعلمه بالأمس.

والبيت والمسجد يتعاونان في إعطاء القيم التربوية للإنسان طوال حياته.

إن منهج التربية المستمرة في الإسلام عريق وأكب الخطوات الأولى للدعوة الإسلامية في حين لم يشعر بها أو بالحاجة إليها العالم إلا أخيراً في منتصف القرن العشرين على وجه التقريب حيث تنبّهت الدول الغربية المتقدمة إلى أن التخرج من المدرسة ما ينبغي أن يكون هو نهاية المطاف في التعليم، إذ يجب أن يتعلم طوال حياته.

وبعد:

فقد قدمت في هذه الصفحات السابقة مفهوم التربية الإسلامية ودلالة وصفها بأنها إسلامية، وعرفت بكثير من أهدافها وبعدد من وسائلها، وعرفت

بمصادرها ومراجعتها، وميادين التربية الإسلامية، ثم عرفت بمنهجها.
وكان هذا ضروريا على الرغم من إيجازه، للحدّث عن التربية الروحية التي
هي موضوع هذه الحلقة الأولى من سلسلة مفردات التربية الإسلامية.

الباب الثاني

التربية الروحية



الباب الثاني

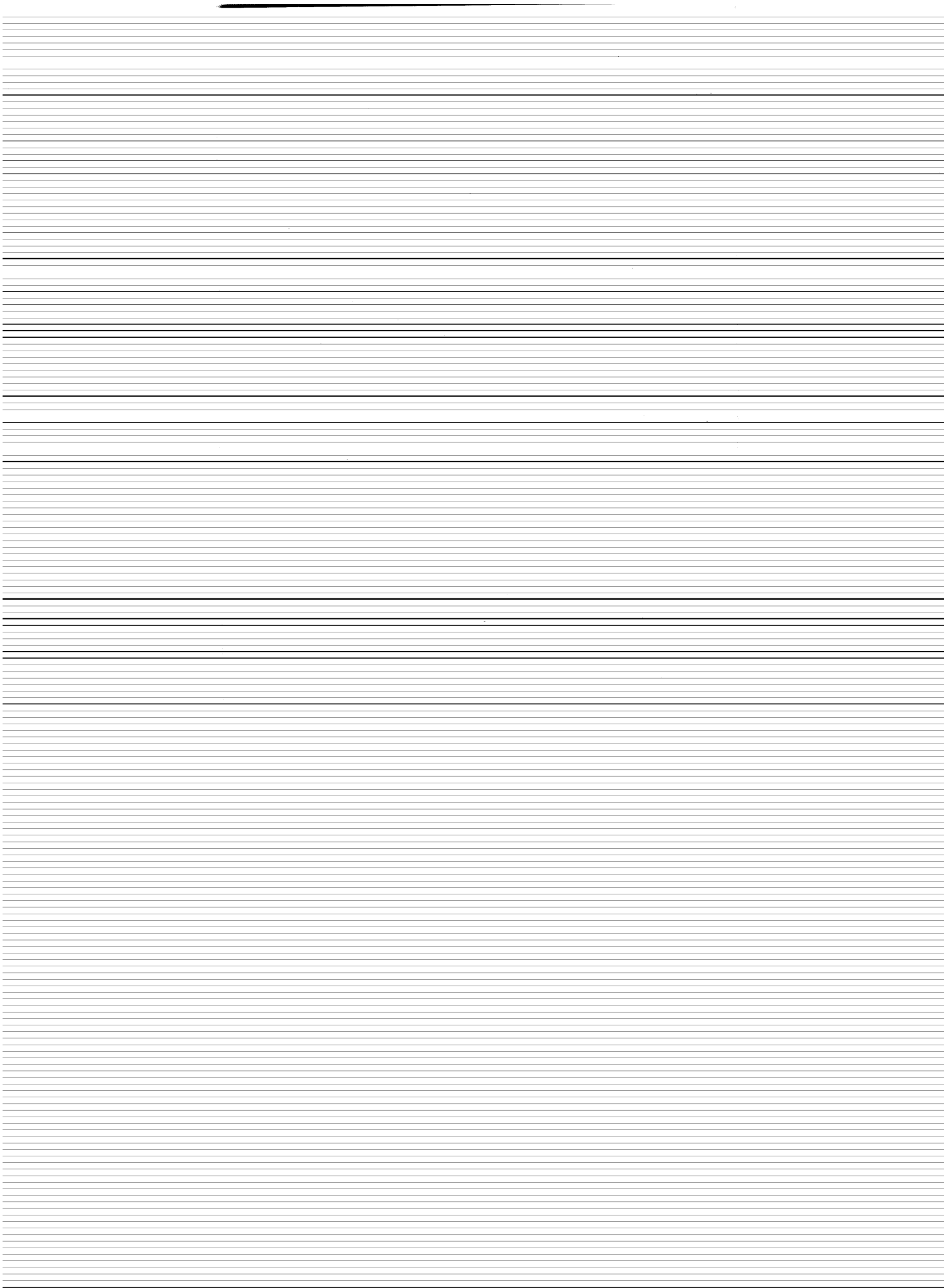
التربية الروحية

التمهيد .

والفصل الأول: ومفهوم التربية الروحية.

والفصل الثاني: مفردات التربية الروحية.

والفصل الثالث: أثر التربية الروحية في العمل الإسلامي



التمهيد:

في التمهيد لحديثنا عن التربية الروحية نقول:

التعليم والتربية يتبادلان المواقع غالباً، ويترادفان في المعنى أحياناً كثيرة، وعند التدقيق والتأمل قد يتبادلان العموم والخصوص في بعض الأحيان بمعنى أن مفهوم التربية قد يكون أوسع من مفهوم التعليم أو العكس.

والتعليم أو التربية التي نتحدث عنها هنا هي: التربية الإسلامية، وقد سبق أن تحدثنا عن ميادينها، فكان أول هذه الميادين هو الإنسان نفسه، وأوضحنا هناك بإيجاز ما تناوله تربية الإنسان من روح وعقل وخلق وبدن.. أو في مفردات عشرة ذكرناها هناك.

وقلنا كذلك: إن العناية بتربية الإنسان من هذه الجوانب كلها هي الأصل في بناء الإنسان وطبعه بطابع الإسلام وتمكينه من ممارسة الحياة والاسهام في بنائها بناءً صحيحاً، يحقق للإنسان - وهو أفضل مخلوقات الله - كرامته واحترامه وتقديره في حياته الدنيا والآخرة.

وكل أنواع التربية التي ذكرناها آنفاً، وغيرها مما غاب عنا، كل ذلك إنما يتصل بقضية إنسانية تاريخية كبرى هي: «لماذا خلق الله الإنسان وأسكنه هذه الأرض، وسخر له ما فيها، وأرسل له الأنبياء والمرسلين الذين طالبوه جميعاً بعبادة الله وحده؟ ولماذا وضع له هذا المنهج الخاتم فأتّمه وأكمله؟ وطالبه باتباعه؟ ولماذا يميت بعد هذه الحياة، ثم يبعثه للحساب والجزاء؟»

تلك كبرى قضايا التاريخ الإنساني على وجه الأرض..

ولقد تحيرت البشرية -التي لم تهتد بهدى الأنبياء والمرسلين- في توضيح أبعاد هذه القضية، والرد على التساؤلات المطروحة حولها.

- عجزت البشرية البعيدة عن هدى النبوة عن أن تعرف فضلا عن أن تحجب عن هذه الاسئلة وكان من رحمة الله بالناس أن تابع لهم إرسال الرسل وتنبىء الأنبياء، ليعينهم على المعرفة ويدلهم على الإجابة.

- كل رسل الله عليهم الصلاة والسلام أمرهم الله تعالى أن يقولوا للناس: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾^(١).

والعبادة هي أن يربى الإنسان نفسه وغيره ممن يليه أو يقوم بتربيته وفق منهج الله الشامل المتكامل الواجب الاتباع.

إن الإجابة على السؤال الأول هي أن الإنسان خلق في هذه الحياة ليعبد الله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(٢).

والإجابة على السؤال الثانى هي أن الله تعالى أرسل الرسل والأنبياء ليطالبوهم بعبادته ويدلوهم على كيفية، قال الله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله﴾^(٣).

لقد جاء الرسل بالبينات وجاءوا مبشرين ومنذرين، وجاءوا بالمنهج الصحيح -الكتاب- وبالعادل بين الناس -الميزان- وبالقوة التي تحمى الحق الذي يدعون إليه -الحديد- قال الله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم

(١) تكررت هذه الآية بنصها في سورة هود ثلاث مرات وفي سورة الأعراف أربع مرات، وتكرر لفظ واعبدوا! إحدى وعشرين مرة.

(٢) سورة الفاريات: ٥٦.

(٣) سورة فصلت: ١٤.

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب»^(١).

وأما لماذا وضع المنهج وجعل واجب الاتباع، فلأن الله تبارك وتعالى جعل منهجه هو الصراط المستقيم وحده من بين كل المناهج التي عرفها الإنسان، بدليل أنه سبحانه طالب الناس بعبادته وعقب على ذلك وأشار إليه بأنه الصراط المستقيم قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ»^(٢) وأوجب اتباع هذا المنهج بقوله تعالى: «وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَقَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(٣).

وأما لماذا يميته ويحييه ويحاسبه فلنكي يختبر إيمانه واتباع رسله وعمله الصالح وجه للخير «يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»^(٤). وقال جل شأنه: «قُلِ اللَّهُ يَحْكُمُ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ، وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ»^(٥).

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة آل عمران: ٥١ وتكررت بنفس اللفظ في سورة مريم: ١٦، وفي سورة الزخرف: ٦٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٤) سورة الزلزلة: ٦ - ٨.

(٥) سورة الجاثية: ٢٦ - ٣١.

ولتحرير معنى عبادة الله سبحانه وبيان دلالتها نذكر بما قال أسلافنا من العلماء وهم يشرحون معنى العبادة:

– معنى العبادة لله: هو غاية التذلل له سبحانه.

– ومن معانيها: العبودية له وحده وتوحيده إلها وربا، والتلقى عنه وحده في كل ما أمر به أو نهى عنه في كل شئون الدنيا والآخرة.

– ومن معانيها أنها نوعان:

عبادة تسخير: وهي للإنسان والحيوان والنبات والجماد وكل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا ۖ لَهُ الْغُدُوُّ وَالْآصَالُ﴾^(١)، فكل هذه المخلوقات عابدة لله تسخيرًا لا تملك غير ذلك.

وعبادة تخبير: وهي خاصة بالإنسان وحده دون مخلوقات الله تعالى، فهو مخير إن شاء عبد الله فأمن به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإن شاء رفض فكفر وعصى، وإنما كفر وعصى لأن الله تعالى أمره بعبادته ونهاه عن عبادة غيره.

– ومن معاني العبادة في الإسلام دلالتها على ما هو أوسع وأعم من أداء الفرائض، بحيث تشمل أداء النوافل والقربات، بل تشمل الأعمال العادية إذا صاحبته نية العبادة عند أدائها، ويدخل في ذلك القول والصمت والفعل والترك، وكل ما يمارسه الإنسان في حياته.

– والعبادة هي المنهج الشامل للحياة الإنسانية الذي جاء من عند الله سبحانه، مع اتخاذ هذا المنهج دستورًا للحياة عمومًا والتربية على وجه الخصوص، ذلك المنهج الذي يتيح للإنسان أن يرضى عن ربه بألا يكره ما

(١) سورة الرعد: ١٥.

يجرى به قضاءؤه، وأن يرضى ربه عنه حيث يراه مؤتمرا بأمره منتهيا عن نهيه، كما فى قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وبعد: فتلك معانى التربية الإسلامية ومدى ارتباطها بمنهج خاص بها ومدى ارتباط هذا المنهج بعبادته وحده: لا شريك، ليكون المتبع لهذا المنهج من حزب الله فيرضى عن ربه ويرضى عنه ربه ويكون من المفلحين.

ولعلنى بذلك قد مهدت لحديثى عن التربية الروحية التى هى فرع من فروع التربية الإسلامية، بل هى أهم الفروع لأن الروح أشرف وأفضل ما أودع الله فى الإنسان من طاقات وحسبها فضلا وشرفا- كما أسلفنا- أنها نفخة من روح الله تبارك وتعالى، كما فى قوله تعالى عن أبى البشر آدم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢).

والى الحديث عن مفهوم التربية الروحية والله ولى التوفيق.

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة الحجر: ٢٨-٢٩.



الفصل الأول:

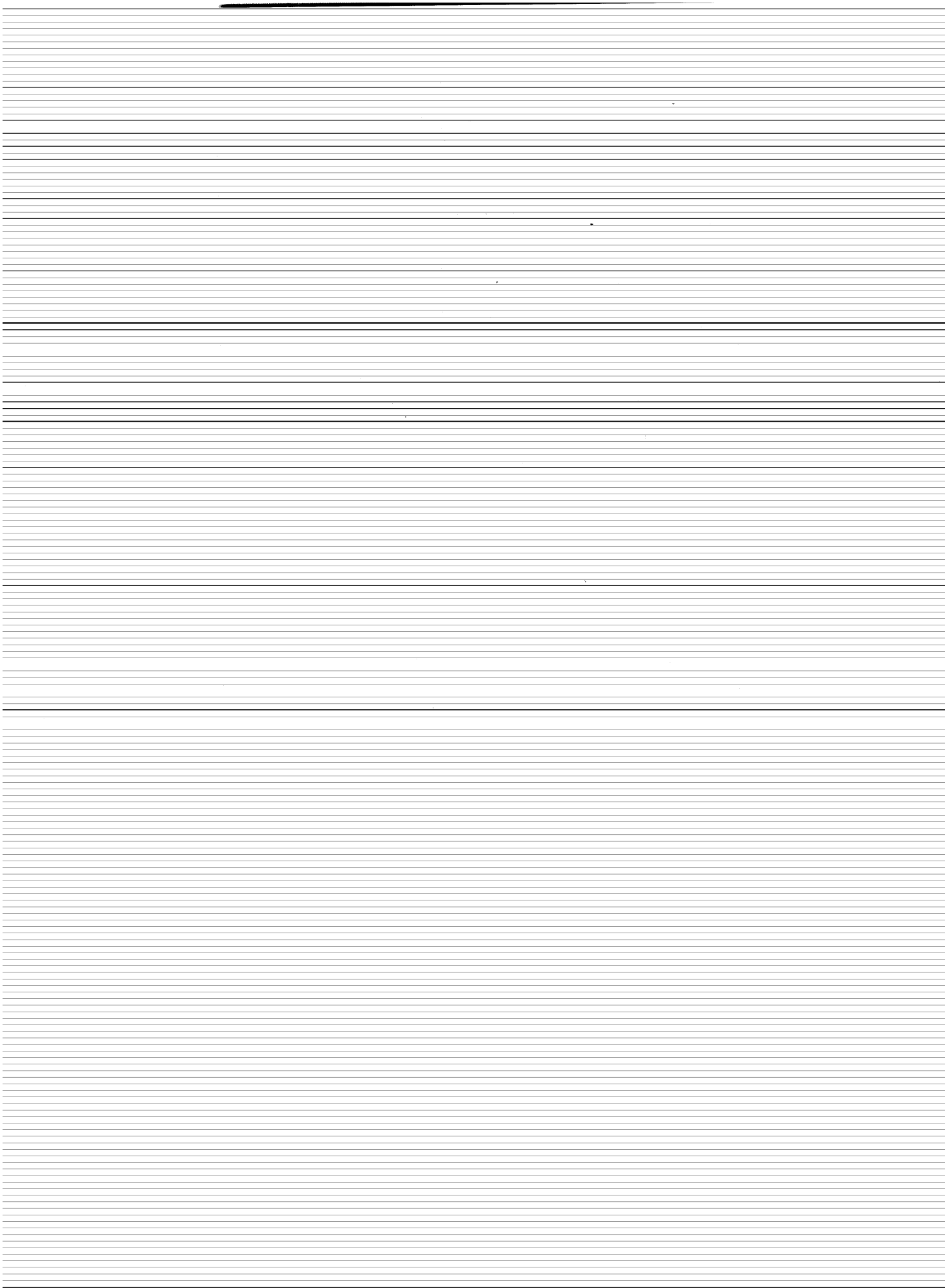
مفهوم التربية الروحية . ويشمل:

١ - التداخل بين القلب والنفس والعقل والروح

٢ - ماهية الروح؟

٣ - لماذا تربى الروح؟

وكيف تربى؟



١ - التداخل بين مفاهيم القلب والنفس والعقل والروح

هذه الكلمات الأربعة:

القلب.

والنفس.

والعقل.

والروح.

تداخل مفاهيمها وتشابه، ولا يدرك الفوارق الدقيقة بينها إلا جهابذة العلماء
ممن رزقهم الله تفقها في الدين، وعلمهم التأويل.

والذين لا يدركون هذا التداخل والتشابه كثيرا ما يقعون في أخطاء، قد
يؤدى بعضها إلى ضلال وفساد في العقيدة، كما حدث ممن يسمون «أهل
الباطن» فإنهم أتوا من سوء فهمهم لهذا التداخل والتشابه وما في هذه
الكلمات.

ومن تتبع آيات القرآن الكريم التي وردت فيها هذه الكلمات ونظر إليها نظر
المؤمن الذي لا يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، استطاع أن يهتدى
إلى الصواب، وأن يكون مع الحق.

ومن هؤلاء العلماء الذين نظروا تلك النظرة الصائبة الإمام أبو حامد الغزالي
رحمه الله.

وسوف نستعرض ما قال في ذلك في موسوعته الإسلامية «إحياء علوم
الدين» .. مع اختصار منا وتصرف لا يخل بالمعنى الذي أراد. والله المستعان:

– القلب: «قد يراد به العضو الخاص في جسم الإنسان الذي يضخ الدم فيه،

وليس هو مقصودنا، هنا.

وقد يراد به: تلك الطيفة الربانية الروحانية التي لها بهذا القلب العضوى تعلق، وهو مقصودنا هنا.

وهذا القلب بهذا المعنى هو حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب المكلف المحاسب المعاقب والمعاقب...»

ويقول الراغب الأصفهاني في «المفردات في غريب القرآن» القلب يعبر به عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك وقوله تعالى: «وبلغت القلوب الحناجر»^(١) أى الأرواح، وقال: «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب»^(٢) أى علم وفهم. وقوله: «ولتطمئن به قلوبكم»^(٣) أى تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم، وقوله: «ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور»^(٤) أى الروح

- والنفس:

كما يقول الإمام الغزالي:

وقد يراد بها المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان وهذا المعنى هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للمصفات المذمومة من الإنسان، فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها..

وقد يراد بالنفس: اللطيفة الربانية الروحانية التى هى القلب أو هى الإنسان على وجه الحقيقة.

(١) سورة الأحزاب: ١٠

(٢) سورة ق: ٣٧

(٣) سورة الأنفال: ١٠

(٤) سورة الحج: ٤٦

وعلى هذا فالقلب والنفس بمعنى واحد.

وهذا هو التداخل والتشابه الذى أشرنا إليه فى العنوان الذى اخترناه.

قال الراغب الأصفهاني فى مفرداته:

النفس: الروح فى قوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) وفى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(٢) وقد وصف النفس فى القرآن الكريم بصفات متعددة منها:

وصفها بأنها أمانة بالسوء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٣) أى تأمر صاحبها بالشر.

ووصفها بأنها لوامة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا أَقْسَمُ بِالْغَمَّةِ﴾^(٤) أى التى تلوم صاحبها على ارتكاب الذنوب.

ووصفها بأنها مطمئنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾^(٥).

والنفس الموصوفة بهذه الصفات هى الروح .

– والعقل:

قال الإمام الغزالي:

قد يراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب.

(١) سورة الأنعام: ٩٣

(٢) سورة البقرة: ٢٣٥

(٣) سورة يوسف: ٥٣

(٤) سورة القيامة: ٢

(٥) سورة الفجر: ٢٧-٢٩.

وقد يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أو النفس، وهو اللطيفة الربانية الروحانية التي هي الإنسان المخاطب المكلف.

وهذا هو التداخل والتشابه بين القلب والنفس والعقل.

وقال الراغب الأصفهاني:

«العقل: يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم.

والى ذلك المعنى أشار رسول الله ﷺ بقوله:

«ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل»

وقد يقصد بالعقل العلم الذي يستفيد به الإنسان بتلك القوة المتهيئة لقبول العلم، وإلى ذلك أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرد عن ردى».

- والروح :-

قال الإمام الغزالي:

قد يطلق ويراد به جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن، وفيضان أنوار الحياة، والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج، الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستفيد منه.

والحياة مثالها: النور الحاصل في الحيطان.

والروح مثالها: السراج.

وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله: حركة السراج في جوانب البيت

بتحريك محركة.

والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان.

فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين، فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً.

وقد يراد بالروح: اللطيفة العالة المدركة من الإنسان وهو القلب، وهو الذى أراده الله تعالى بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١) وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته.

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته:

الروح اسم للنفس، لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس، وإضافة الروح إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٢) إضافة ملك، وتخصيصه بالإضافة تشريف به وتعظيم.

وسمى القرآن الكريم روحاً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٣) وذلك لكون القرآن سبباً للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْزِلَ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(٤).

وأقول: ولكونه سبباً في التوفيق في الحياة الدنيوية لتضمنه الهدى، وأمره

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) سورة الحجر: ٢٨.

(٣) سورة الشورى: ٥٢.

(٤) سورة النكيت: ٦٤.

بالمعروف ونهيه عن المنكر، ومطالبته بالعدل والإحسان ونهيه عن الظلم ومطالبته بعدم قبوله .

وهو حقا الكتاب الخاتم الذى دعا البشرية إلى ما يحييها الحياة الإنسانية الكريمة الملائمة لتكريم الله للإنسان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١) أى صدقوا بالحق وأذعنوا له، وأجيبوا الله وأجيبوا الرسول ﷺ إذا دعاكم الرسول إلى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم.

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

٢- ماهى الروح؟

الروح: اسم للنفس التى تحصل بها الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار.

والروح هى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(١)

وفى قوله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾^(٢)

وسمى أشرف الملائكة أرواحاً كما فى قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾^(٣)

وسمى جبريل عليه السلام روحاً، قال الله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾^(٤) كما سمى روح القدس كما فى قوله تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾^(٥).

وسمى عيسى عليه السلام روحاً، كما فى قوله تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه﴾^(٦).

والروح يطلق على الموجود الخفى المنتشر فى سائر الجسد الإنسانى حين يكون جنيناً، بعد أن يمضى على نزوله نقطة فى الرحم مائة وعشرون يوماً، وهذا

(١) سورة الإسراء: ٨٥

(٢) سورة الحجر: ٢٨٩

(٣) سورة النبأ: ٣٨

(٤) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤

(٥) سورة النحل: ١٠٢

(٦) سورة النساء: ١٧١

الإطلاق يفهم من قوله تعالى: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي...»

وقد سئل رسول الله ﷺ عن الروح، سواء أكان السائلون هم مشركو العرب بإيعاز من اليهود الذين كانوا على صلة بهم، أم من اليهود أنفسهم، وقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: «ويسألونك عن الروح» وقد أجابهم بقوله ﷺ كما أمره ربه: «قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

وموضوع الروح وبيان ماهيتها قد شغل الفلاسفة وحكماء المشتريين، لظهور أن في الجسد الحي شيئا زائدا على الجسم، به يكون الإنسان مدركا، وبزواله يصير الجسم مسلوب الإرادة والإدراك، فعلم بالضرورة أن في الجسم شيئا زائدا على الأعضاء الظاهرة والباطنة، غير مشاهد، إذ قد ظهر بالتشريح أن الجسم الميت لم يفقد شيئا من الأعضاء الباطنة التي كانت له في حال الحياة.

وإذ قد كانت عقول الناس قاصرة عن فهم حقيقة الروح وكيفية اتصالها بالبدن، وكيفية انتزاعها منه، ومصيرها بعد ذلك الانتزاع، أجبوا بأن الروح من أمر الله، أي أنه كائن عظيم من الكائنات المشرفة عند الله، ولكنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

فلنفظ «من أمر ربي» يحتمل أن يكون مرادف الشيء، فالمعنى: الروح بعض الأشياء العظيمة التي هي لله، فبإضافة كلمة «أمر» إلى الله تعالى على معنى لام الاختصاص، أي أمر اختص بالله اختصاص علم.

ويقول في هذا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله:

«والذين حاولوا تقريب ماهية الروح من الفلاسفة والمشتريين بوساطة القول الشارح لم يأتوا إلا برسوم ناقصة مأخوذة فيها الأجناس البعيدة والخواص التقريبية غير المنضبطة وتحكيم الآثار التي بعضها حقيقي وبعضها خيالي، وكلها

متفاوتة في القرب من شرح خاصاته وأماراته بحسب تفاوت تصوراتهم لماهيته،
المبنية على تفاوت قوى مداركهم، وكلها لا تعدو أن تكون رسوماً خيالية
وشعرية معبرة عن آثار الروح في الإنسان.

وإذ قد جرى ذكر الروح في هذه الآية وصرف السائلون عن مرادهم بفرض
صحيح اقتضاء حالهم وحال زمانهم ومكانهم، فما علينا أن نتعرض لمحاولة
تعرف حقيقة الروح بوجه الإجمال فقد تهيأ لأهل العلم من وسائل المعرفة ما
تغيرت به الحالة التي اقتضت صرف السائلين في هذه الآية بعض التغير.

وقد تتوفر تغيرات في المستقبل تزيد أهل العلم استعداداً لتجلى بعض ماهية
الروح، فلذلك لا تجارى الذين قالوا: إن حقيقة الروح يجب الإمساك عن بيانها
لأن النبي ﷺ أمسك عنها فلا ينبغي الخوض في شأن الروح بأكثر من كونها
موجودة.

فقد رأى جمهور العلماء من المتكلمين والفقهاء، منهم:

أبو بكر بن العربي في كتابه: العواصم من القواصم.

والنووى: في شرح صحيح مسلم.

أن هذه الآية لاتصد العلماء عن البحث عن الروح لأنها نزلت لطائفة معينة
من اليهود، ولم يقصد بها المسلمون.

فقال جمهور المتكلمين: إنها من الجواهر المجردة، وهو غير بعيد عن قول
بعضهم: هي من الأجسام اللطيفة.

والأرواح حادثة عند المتكلمين من المسلمين وهو قول «أرسطاليس».

وقال قدماء الفلاسفة هي قديمة وذلك قريب من مرادهم في القول بقديم العالم، ومعنى كونها حادثة أنها مخلوقة لله تعالى.

فقيل: الأرواح مخلوقة قبل خلق الأبدان التي تُنفَخ فيها، وهو الأصح الجارى على ظواهر كلام النبي ﷺ^(١) فهي موجودة من الأزل كوجود الملائكة والشياطين.

وقيل: تُخلق عند إرادة الحياة في البدن الذي توضع فيه.

واتفقوا على أن الأرواح باقية بعد فناء أجسادها وأنها تحضر يوم الحساب^(٢).

هذه هي الروح كما تحدث عنها القرآن الكريم، وكما أوضح مفهومها العلماء الأئمة.

فلماذا تُربى، هذه الروح؟

وكيف تُربى؟

(١) يشير إلى الحديث الصحيح الذي رواه مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا يؤمر بأربع كلمات: ويقال له: اكتب عمله ووزقه وأجله، وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة» رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ١٥/١٩٩ - ٢٠٠ نشر الدار القومية للنشر د. ت.

٣ - لماذا تُربى الروح؟ وكيف تُربى؟

الروح - كما أوضحنا - جزء من الإنسان، بل أشرف جزء فيه، والإنسان كما قلنا أنفـاً^(١)؛ هو موضوع التربية الإسلامية، سواء أكان فرداً أم عضواً في أسرة أم عضواً في المجتمع كله.

وتربية الإنسان مطلب شرعى، لأنها تستهدف إقامة الإنسان على الصراط المستقيم صراط الله، لتصح له حياته الدنيا فيجيا فيها أهلاً لتكريم الله تعالى له، ولتصح له حياته الأخرى فيحظى برضى الله وحسن مثوبته.

هذا الإنسان لابد أن يربى وأن يُعلّم وأن يرشد إلى الحق... والإنسان - كما قدمنا أنفـاً - روح وعقل وجسد، ولابد من التنسيق بين مطالب هذه الطاقات الثلاثة وإعطائها القدرة والفرصة لكي تعبر عن هذه الطاقات في ظل شرعية معينة.

وفي اختصار شديد، ونبسط لأبعاد هذه القضية نقول سائلين الله العون والسداد:

إن الروح وهى أشرف ما فى الإنسان لأنها نفخة من الله، لابد لها من تربية تستهدف تيسير السبيل أمامها لمعرفة الله تعالى، وتعويدها وتدريبها على القيام بأعباء العبودية له سبحانه وتعالى - كما سنوضح ذلك مفصلاً فى هذا الكتاب بإذن الله تعالى -

ولابد للعقل من تربية إسلامية كذلك، تستهدف أن تعلمه كيف يفكر وكيف ينظر وكيف يتدبر ليصل بذلك إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه

(١) أشرنا إلى ذلك ونحن نتحدث عن مبادئ التربية الإسلامية فى مدخل هذا الكتاب.

ورسله، واليوم الآخر والقضاء والقدر، والاهتداء بما فى الكون من مخلوقات
وسنن، فإذا اهتدى العقل حيل بينه وبين الشرود والجنوح والضلال، والتخبط
فى ظلمات الحيرة فى الدنيا ليضل عن الحق فيخسر الآخرة كذلك.
ولا بد أن يربى الجسم تربية إسلامية تضبطه مع أحكام شرع الله فيمارس ما
أحل الله، ويتجنب ما حرم.

ومطالب الجسم من شهوات البطن والفرج هى التى توقع الإنسان فى الحرام،
فلولم يرب تربية إسلامية عصى ربه فاستحق العقاب.

والأصل فى التربية الإسلامية أن تساعد الإنسان على هجر ما يغضب الله
تعالى، وأن يقبل على ما يرضيه سبحانه وتعالى، وما يغضب الله تعالى هو:

الشرك، بعبادة غير الله أو بعبادة آلهة متعددة.

والكفر، وهو جحود الوجدانية أو النبوة أو الشريعة.

والفسوق، وهو ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها.

والعصيان، وهو الخروج عن طاعة الله تعالى.

وما يرضى الله تعالى هو:

التوحيد، بعبادة الله وحده لا شريك له.

والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

والالتزام، بالمنهج، وهو توفر أركان الإسلام كلها.

والطاعة، وهى الاستجابة لأمر الله تعالى ونهيه.

وذلك هو الذى عبّرت عنه آيتان اثنتان فى القرآن الكريم، هما قوله تعالى:

«ففرّوا إلى الله إني لكم منه نذير مبين».

﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين﴾^(١).

أى سارعوا إلى طاعة الله باتباع أمره واجتناب نهيه، وإيثار ما عنده على ما عند غيره، والإقبال عليه بالعمل الصالح وحب الخير للناس، ولا تجعلوا مع الله آلهة أخرى تشركونها في العبادة وتؤثرون باطلها على الحق.

إن تربية الروح تربية إسلامية تستهدف أن تتعلم هذه الروح كيف تحسن صلتها بالله عن طريق التعبد له والتذلل، والطاعة والاستسلام لمنهجه، وذلك أصل أصيل في تربية الروح.

وإن إهمال تربية الروح أو التقصير فيها إفساد للإنسان كله وروحه وعقله وجسده وكيانه الاجتماعي كله، لأن الروح -كما قلنا أهم ما في الإنسان- وما دمتا قد قلنا إن الروح قد تكون بمعنى القلب، فإن صلاح القلب صلاح للإنسان وفساده فساد له، وذلك هو الكلم الطيب الذي قاله المعصوم ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» ورواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

لهذا يجب أن تربى هذه الروح تربية إسلامية ليصلح بهذه التربية الإنسان كله، فإذا انصلح الإنسان انصلح المجتمع.

(١) سورة الفاتح: ٥٠ - ٥١.

وأما كيف تربي هذه الروح؟

فذلك هو موضوع هذا الكتاب، حيث نفصل ذلك ونوليّه من العناية ما هو
جدير به.

ونشير هنا إلى مجمل ما يجب أن تتضمنه التربية الروحية على النحو التالي:

- أن يكون لهذه الروح أوراّد وأذكار ونظام.
- وأن تُدرَّب وتُعلَّم وتراض على ما يقوى صلتها بالله تعالى.
- وأن تلتزم سمت المؤمنين في الصمت والقول والفعل والترك ولكل واحدة
من هذه النقاط المجملة شرح وتفصيل، ونسأل الله تعالى العون والسداد.

الفصل الثاني

دعائم التربية الروحية ويشمل:

1- الأذكار والأوراد والأدعية وآدابها.

٢- التربية العملية للروح وهج:

(أ) أداء الفرائض مع حضور القلب.

(ب) والإكثار من أداء النوافل.

(حـ) وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(عـ) ومحاولة الوصول إلى منزلة الإحسان.

(هـ) والممارسة لأعمال الدعوة إلى الله.

(و) وممارسة لقاءات ليلية للعبادة.

(ز) وزيارة القبور.

٣ - والتزام سميت المؤمنين، وذلك بما يلي:

(أ) قوة الإحساس بوجود الله تعالى.

(ب) والشعور بمراقبة الله لنا.

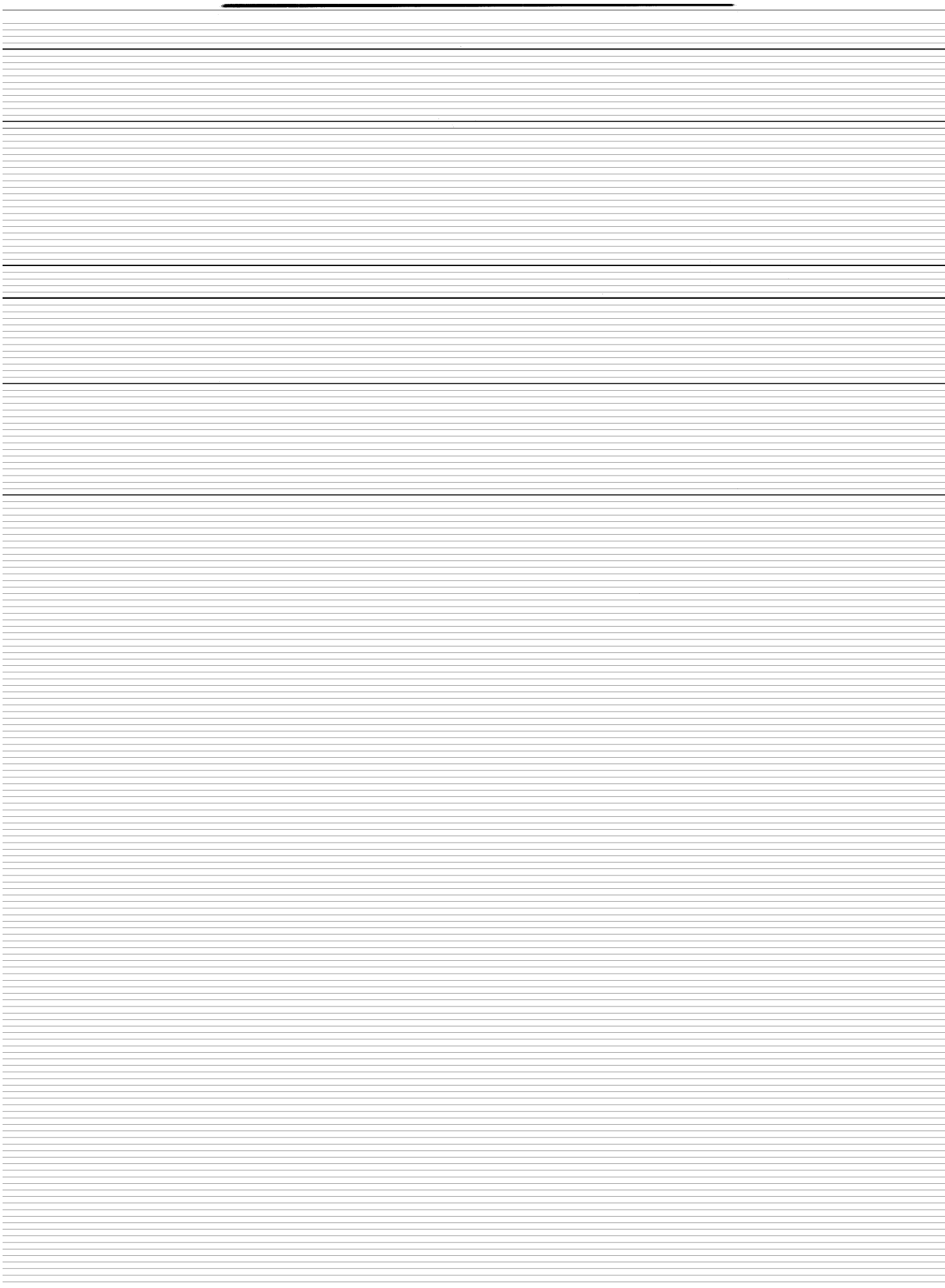
(حـ) وضرورة مراقبتنا نحن لله تعالى.

(د) والتقرب إلى الله بالنوافل.

(هـ) والإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم.

(و) وحب الله والثقة فيه وفي بره بنا واستجابته لنا.

(ز) والرضا بقضاء الله وقدره.



١ - الأذكار والأوراد والأدعية

الأذكار جمع ذكر وهو: الصلاة لله والدعاء إليه.

والذكر هنا ذكر الله تعالى بتسبيحه وتحميده والثناء عليه بذكر أسمائه
الحسنى وصفاته العليا، بشرط حضور القلب.

والذكر نوعان:

ذكر بالقلب.

وذكر باللسان.

وكلاهما مطلوب لتجلية الروح وتصفيتها من الشوائب.

والأوراد جمع ورد وهو: الذكر، فهو مرادف له، أو هو الجزء من الليل يكون
على الإنسان أن يصلّيه أو يحييه بالعبادة، أو هو النصيب من القرآن الكريم.

أو هو الوظيفة التي يوظفها الإنسان على نفسه من قراءة في القرآن الكريم.

وهو ضروري لتصفية الروح أو القلب عن الشوائب التي ترين عليها.

والأدعية جمع دعاء وهو: في هذا المجال سؤال الله أو الاستغاثة به.

وكل هذه الأذكار والأوراد والأدعية مطالب شرعية لما لها من أثر في تقرب
الإنسان من ربه، وتنقية روحه وقلبه مما علق بها من وسوسات الشياطين.

وقد أمر الله تعالى بالذكر أمراً في بعض آيات القرآن الكريم، وحجب فيه في
بعضها، وأثنى على الذاكرين في بعضها وكذلك فعل الرسول ﷺ.

وآيات القرآن الكريم في هذا المجال كثيرة نذكر منها:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبِتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١). وذلك في مجال الجهاد في سبيل الله، حيث طالب المجاهدين، بل أمرهم بأمرين:

- الثبات أمام العدو.

- وذكر الله كثيرا من أجل أن يفلحوا.

- وقوله جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

فالآية الكريمة تخبر خيرا مؤكدا أن الاقتداء بالرسول ﷺ، عمل من اتصف بصفتين عظيمتين هما:

- رجاء رحمة الله ونعيم اليوم الآخر.

- وذكر الله كثيرا خوفا ورجاء.

- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣).

هاتان الآيتان الكريمتان أمر مباشر بشيئين من الذكر هما:

- الثناء على الله بضروب الثناء والإكثار من ذلك.

- وتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به سبحانه.

وهذا الأمر ينبغى أن يكون في أول النهار وآخره أى دائما.

(١) سورة الأنفال: ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) سورة الأحزاب: ٤١ - ٤٢.

- وقوله عز وعلا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

وفى الآية الكريمة توجه بالانتشار فى الأرض بعد أداء فريضة الجمعة أى ممارسة الأمور العادية بعد العبادة.

وتتضمن الآية الكريمة ثلاثة أوامر هى:

- الانتشار فى الأرض أى السعى على المصالح عامها وخاصها.

- وطلب فضل الله فيما يسعون فيه.

- وذكر الله كثيرا بالقلب واللسان، لعل ذلك يجعل هؤلاء الناكسين يفلحون أى يفوزون بخيرى الدنيا والآخرة.

- وقوله تعالى فى وصف عباده الصالحين بصفات عظيمة جليلة القدر من تحلى بها أفلح وفاز، وهذه الصفات هى عشر من حيث العدد، لكنها من حيث ما يرضى الله تعالى أكثر من أن تحصى وتلك الصفات هى:

* إسلامهم وخضوعهم لله وانقيادهم لمنهجه.

* وإيمانهم به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

* وقتوتهم أى قيامهم بالطاعات.

* وصدقهم فى النية والقول والعمل.

* وصبرهم على تحمل المشاق فى سبيل الله تعالى.

* وتواضعهم لله تعالى، ولأهل الصلاح من الناس.

(١) سورة الجمعة : ١٠.

* والتصدق من مالهم على المحتاجين.

* صومهم الفريضة والنافلة تقرّباً إلى الله.

* وحفظهم فروجهم مما لا يحل لهم.

* وذكرهم الله كثيراً بقلوبهم وألسنتهم.

من كانوا على هذه الصفات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً.

وذلك في الآية الكريمة ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ، وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾^(١).

ومما هو جدير بأن يلحظ في هذه الآيات الكريمة التي ذكرنا من القرآن الكريم أن الذكر فيها وصف أو قيد بأنه كثير وأنه غير مقيد بزمان ولا مكان ولا ظرف بعينه، وإنما هو مطلوب دائماً وعلى كل حال، بينما العبادات الأخرى كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها لم تقيد بأنها يجب أن تكون كثيرة، وذلك لأنها عبادات بدنية موقوفة بزمان معين ومكان معين، وهي بذلك قد يصعب على الإنسان أن يكثر منها مع انشغاله بأمور حياته اليومية من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وسعى في الأرض، أما الذكر فهو عبادة غير بدنية فلا صعوبة في الإكثار منه.

والذكر مطلوب على كل حال، وتردده في جميع الأحوال يوحى أيضاً بأنه مطلوب كثيراً، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

جنوبهم»^(١). أى دائما أى كثيرا.

هذه بعض آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن الذكر، وما طالبت به كثيرا
إلا لما له من فائدة فى تربية الإنسان وروحه وقلبه ولسانه وحاله كله.
وكذلك كان شأن السنة النبوية مع الذكر، فقد جاء فيها عشرات الأحاديث
التي تحث على ذكر الله، وتحبب فيه، وتوضح آثاره الطيبة فى الدنيا والآخرة،
بل توضح آثار تركه وهجره وما يحدثه ذلك من حسرة وندامة.
ونسوق من هذه الأحاديث النبوية الشريفة ما يلى:

- روى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنه رأس كل شىء، وعليك بالجهاد
فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك
فى السماء، وذكرك فى الأرض».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم،
وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة والورق، وخير لكم من أن تلقوا
عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، ذكر الله».

- وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن بسر رضى الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» ورواه ابن ماجة والحاكم وابن حبان
بأسانيدهم عن عبدالله بن بسر رضى الله عنه أيضا.

- وروى ابن حبان والبيهقى والطبرانى بأسانيدهم عن معاذ رضى الله عنه

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

قال: قال رسول الله ﷺ: «خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله».

- وروى الترمذى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا».

- وروى الإمام أحمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل آدمي عملاً أنجي له من عذاب الله، من ذكر الله».

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل البيت الذى يذكر الله فيه، والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحيتى والميت».

- وروى النسائى بسنده من جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شئ ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة:

ملاعبة الرجل امرأته.

وتأديب الرجل فرسه.

ومشى الرجل بين الغرضين.

وتعليم الرجل السباحة».

والغرضان مشى غرض وهو الهدف، ومعناه تعلم الرجل إصابة الهدف تدريجاً على الجهاد فى سبيل الله، ويعزز ذلك أن الحديث ورد فى رواية أخرى وفيه «ورميه بقوسه» وهى رواية الترمذى وابن ماجه والدارمى فى باب الجهاد.

- وروى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَلَّى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة، تامة تامة، تامة» .
- وروى أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة» .

وبعد:

فهذه الأحاديث النبوية التي ذكرنا، قليل من كثير مما جاء في السنة النبوية من الأمر بالذكر والحث عليه، وبيان فضله، والتنفير من تركه، بل التنفير من أى مجلس يجلسه المسلم ثم يقوم منه دون ذكر الله، حيث يكون هذا المجلس حسرة وندامة يوم القيامة على كل من جلس فيه ولم يذكر الله تعالى.

بل إن علماء الحديث النبوي عقد كثير منهم باباً في كتابه تحت عنوان: فضل الذكر والدعاء، ذكروا فيه أحاديث نبوية عديدة، وبعضهم عقد باباً لفضل أذكار بعينها.

ومن مجموع هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي ذكرنا يتبين لنا أن المسلم لا يستطيع أن يغفل عبادة الذكر والدعاء مما يدل على أهمية الذكر لله تعالى في حياة المسلم.

ومن أجل أن الأذكار والأوراد والأدعية عبادة مطلوبة بكل حال، ومطلوبة كثيراً أكثر من أى عبادة أخرى، فإن أسلافنا من علماء الحديث النبوي، والفقهاء ألفوا في الأذكار كتباً برأسها.

ومن هؤلاء:

١ - الإمام النسائي صاحب السنن (٢١٥ - ٣٠٣هـ).

فى كتابه: عمل اليوم والليلة.

٢ - وابن السنى الدينورى المتوفى (٣٦٤هـ)

فى كتابه: عمل اليوم والليلة وهو أجمع من كتاب الإمام النسائى وأشهر.

٣ - والإمام الحافظ المنذرى المتوفى (٦٥٦هـ)

فى كتابه: عمل اليوم والليلة.

٤ - والإمام ابن تيمية المتوفى (٧٢٨هـ)

فى كتابه: الكلم الطيب.

٥ - ومحمد بن محمد الجزرى (٧٥١ - ٨٢٣هـ)

فى كتابه: مفتاح الحصن الحصين.

٦ - وعبد الرحمن البسطامى المتوفى (٨٥٨هـ)

فى كتابه: الفوائى المسكية فى الفوائى المكية.

٧ - والإمام السيوطى المتوفى (٩١١هـ)

فى كتابه: تحفة الأبرار بنكت الأذكار.

٨ - وابن علان الصديقى المتوفى (١٠٥٧هـ)

فى كتابه: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية وهو أكبر شروح الأذكار النووية.

ومن أهم هذه الكتب وأشيعها عند الناس ما ألفه الإمام محبى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (٦٣١ - ٦٧٦هـ). وهو كتابه: الأذكار النووية

وله اسم طويل هو: «حلية الأبرار، وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحجة في الليل والنهار».

ولأني سوف أنقل بعض هذه الأذكار والأدعية عن كتاب النووي: الأذكار، أود أن أنقل عنه كلمات مما جاء في مقدمة الكتاب تكشف عن هدفه من التأليف وتبين قيمة هذه الأذكار في حياة المسلم، يقول:

«وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في عمل اليوم والليلة والدعوات والأذكار كتباً كثيرة معلومة عند العارفين ولكنها مطولة بالأسانيد والتكرير، فضعفت عنها همم الطالبين، فقصدت تسهيل ذلك على الراغبين، فشرعت في جمع هذا الكتاب مختصراً مقاصد ما ذكرته تقريباً للمعتنين.. فأردت مساعدة أهل الخير بتسهيل طريقه، والإشارة إليه، وإيضاح سلوكه والدلالة عليه..»

وأقتصر في هذا الكتاب على الأحاديث التي في الكتب المشهورة التي هي أصول الإسلام وهي خمسة:

«صحيح البخاري»،

و«صحيح مسلم»،

و«سنن الترمذي»،

و«سنن أبي داود»،

و«سنن النسائي»، وقد أروى يسيراً من الكتب المشهورة، وغيرها^(١).

بل إن بعض العلماء اعتبروا الأذكار والأوراد والأدعية علماً قائماً بذاته

(١) الإمام النووي: الأذكار منشورات دار الملاح بدمشق ١٣٩١ - ١٩٧١ م بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

متفرعا عن علم الحديث النبوى الشريف، كما صنع أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (٩٠١ - ٩٦٨ هـ) فى فهرسه الموسع: «مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم» فقال عن علم الأذكار:

«هو علم يبحث فيه عن الأدعية المأثورة والأوراد المشهورة بتصحيحها وضبطها، وتصحيح روايتها، وبيان خواصها وعدد تكرارها، وأوقات قراءتها وشرائطها..»

والغرض منه -أى من هذا العلم- معرفة تلك الأدعية والأوراد على الوجه المذكور لينال باستعمالها الفوائد الدينية والدنيوية^(١).

وهذه الأذكار والأوراد والأدعية، تناولت كل ما يمارسه الإنسان من عمل فى اليوم والليلة، ابتداء من استيقاظه من نومه إلى أن ينام، سواء أكانت أعماله عبادات أو أمورا حياتية، وكل ذلك وردت فيه أحاديث نبوية شريفة.

وقد يوب بعض العلماء هذه الأذكار والأوراد والأدعية أبوابا كثيرة مثل:

- الأذكار فى تلاوة القرآن الكريم.

- والأذكار فى حمد الله والصلاة على رسوله ﷺ.

- والأذكار فى الأمور العارضات.

- وأذكار المرض والموت.

- والأذكار فى الصلوات المخصوصة.

- وأذكار الحج.

- وأذكار الجهاد.

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة... ٥٩٥/٢ - ٥٩٦ ط دار الكتب الحديثة مصر.

- وأذكار السفر .

- وأذكار الطعام والشراب .

- وأذكار السلام، والاستئذان وتشميت العاطس .

- وأذكار حفظ اللسان .

- وأذكار الاستغفار.

وبوبوا بابا جامعاً سموه: «باب جامع الدعوات» جمعوا فيه آداب الدعاء وأنواعه واستجابة الله تعالى له.

وأما آداب الأذكار والأوراد والأدعية، فكثيرة تحدث فيها العلماء وأسهبوا، غير أن ما كتبه الإمام النووي في ذلك فيه غناء ولذلك رأيت أن أستعين به في التعرف على تلك الآداب فأقول وبالله التوفيق:

١ - وجوب الإخلاص لله تعالى في الذكر وفي كل عمل بدليل ما رواه البخاري بسنده من عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» .

٢ - وينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة ليكون من أهله، لقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وأئمة الحديث: «وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم» رواية مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣ - وقال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن شديد الضعف أو موضوعاً.

٤ - والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً.

٥ - وفضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى، كما قاله سعيد بن جبير وغيره من العلماء، وقال عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام....

٦ - وأجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء، وذلك في التسبيح والتهليل والتكبير، والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء وغير ذلك.

ولكن قراءة القرآن الكريم حرام على الجنب والحائض والنفساء سواء قرأ قليلاً أو كثيراً ويجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير لفظ.

٧ - وينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات وقوراً خاشعاً متذللاً لله تعالى، وذلك هو الأفضل.

٨ - وينبغي أن يكون الموضع الذي يمارس فيه ذكر الله نظيفاً خالياً (أى مما يشغل الذاكر)، ولهذا مدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة.

٩ - ويكره الذكر في حالة قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الاستماع إلى الخطيب وحالة النعاس...

١٠ - والمراد من الذكر حضور القلب، فليحرص الذاكر على ذلك بتدبير ما يذكر الله به وتعلقه ومعرفة معناه.

١١ - ومن كانت له في الذكر وظيفة في وقت من ليل أو نهار أو عقيب صلاة ففاته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها، فقد روى مسلم بسنده عن

عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كَتَبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ».

١٢- ويستحب في الذكر الجلوس في خلق أهله، فقد روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا، قَالُوا وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذَّكَرِ، فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سِیَارَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذَّكَرِ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ».

١٣- وقد أثنى رسول الله ﷺ على الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وسماهم: المفردون، روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمَفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ».

١٤- والأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها، واجبة كانت أو مستحبة لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له.

وبعد فتلک آداب الأذكار والأوراد والأدعية التي إذا توفرت فيها كانت أفضل وأحظى بالقبول عند الله إن شاء الله.

وهذه الأذكار هي أولى دعائم التربية الروحية للمسلم، وهي تربية تقوم -كما قلنا- على حضور القلب والتلفظ باللسان وهي تسهم في تصفية روح المسلم من الشوائب والعوائق التي تحول بين الإنسان والقرب من الله.

ولكى تكتمل في نظرى صورة الأذكار لابد من ذكر نماذج منها، ليكون

المسلم على علم بصيغها - والله الموفق -.

نماذج من الأذكار والدعوات :

جمعت هذه النماذج من كتاب: «سنن الترمذى» وهو الجامع الصحيح وهو من الكتب المشهورة في الحديث النبوى، ويعد من الكتب الخمسة التى وصفها العلماء بأنها أصول الإسلام، وقد اخترت منه هذه الأحاديث فى الذكر والدعاء. وقد بوبها تحت عنوان «أبواب الدعوات» عن رسول الله ﷺ، وسوف أذكر منها ما يلى:

١ - روى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الدعاء هو البعاده»، ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين»^(١).

٢ - وروى بسنده عن الأغر أبى مسلم أنه شهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى -رضى الله عنهما- أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من قوم يذكرون الله إلا حَفَّتْ بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

٣ - وروى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كَفَّ عنه من سوء مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».

وفى مجالات الحياة كلها هناك أذكار ودعوات نذكر منها ما يلى:
فى دعاء الصباح والمساء:

٤ - روى الإمام الترمذى بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: «بسم الله

(١) سورة غافر: ٦٠.

الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء».

٥ - وروى بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له: «ألا أدلك على سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأعترف بذنوبى فاغفر لى ذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. لا يقولها أحدكم حين يمسى فيأتى عليه قدر قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح فيأتى عليه قدر قبل أن يمسى إلا وجبت له الجنة».

* وفى الدعاء إذا أوى لفراشه

٦ - وروى بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له: «ألا أعلمك كلمات تقولها إذا أويت إلى فراشك، فإن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبحت وقد أصبت خيراً؟ تقول اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، وألجأت ظهرى إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، أمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيلك الذى أرسلت».

قال البراء: فقلت: وبرسولك الذى أرسلت؟ قال: فطعن بيده فى صدرى ثم قال: ونبيلك الذى أرسلت».

* وفيما يقرأ من القرآن عند المنام:

٧ - وروى بسنده عن عائشة رضى الله عنها «أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشة كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع

من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات».

* وفي التسييح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة وعند النوم.

٨- وروى بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خلتان لا يحصيها رجل مسلم إلا دخل الجنة. ألاوهما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشراً، ويحمده عشراً، ويكبره عشراً، قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده قال: فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعتك تسبحه وتكبره وتحمده مائة، فتلك مائة باللسان، والألف في الميزان، فأياكم يعمل في اليوم واللييلة ألفى وخمسمائة سيئة؟ قالوا: فكيف لانحصيها؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر كذا، حتى يفتل، فلعله أن لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال يتومه حتى ينام».

* وفي الذكر والدعاء إذا انتبه من الليل :

٩- وروى بسنده عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن عزم فتوحاً ثم صلى قبلت صلاته».

* وفيما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة:

١٠- وروى بسنده عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: اللهم لك الحمد أنت نور

السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن
أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق والنار حق، والساعة
حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك
خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت
وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»
* وما جاء فيما يقول في سجود القرآن:
أى سجدة التلاوة.

١١- وروى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقول في
سجود القرآن بالليل: سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره
بحوله وقوته»

* وفيما يقول إذا خرج من بيته :
١٢- وروى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ
: من قال: يعني إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول
ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وتنحي عنه الشيطان.
* وفيما يقول إذا دخل السوق:

١٣- وروى بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ
قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك
وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل
شئ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة،
ورفع له ألف ألف درجة»
* وفيما يقول إذا رأى ميتلى :

١٤- وروى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
« من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به،

وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا، إلا عوفي من ذلك البلاء كاتنا
ماكان ما عاش».

* وفيما يقول إذا قام من مجلسه :

١٥- وروى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من
جلس في مجلس فكثر فيه لفظه، فقال قيل أن يقوم من مجلسه ذلك:
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب
إليك، إلا غفر له ماكان في مجلسه ذلك».

* وفيما يقول عند الكرب :

١٦- وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ كان يدعو
عند الكرب: «لا إله إلا الله الحليم الحكيم، لا إله إلا الله رب العرش
العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم».

* وفيما يقول من نزل منزلا :

١٧- وروى بسنده عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنهما عن رسول
الله ﷺ قال: «من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر
ماخلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» .

وفيما يقول من خرج مسافرا :

١٨- وروى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا
سافر فركب راحلته قال بإصبعه ومد شعبة إصبعه قال: اللهم أنت الصاحب
في السفر والخليفة في الأهل، اللهم أصبحنا بنصحك وأملنا بدمعة،
اللهم ازولنا الأرض وهون علينا السفر، اللهم إني أعوذ بك من وعشاء
السفر وكآبه المنقلب».

* وفيما يقول إذا رجع من سفره .

١٩- وروى بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر قال: «أتيون تائبون عابدون لربنا حامدون».

* وفيما يقول إذا ودع إنسانا .

٢٠- وروى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو يدع يد النبي ﷺ ويقول: أستودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك».

٢١- وروى بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إني أريد سفرا فزودني، قال: زدك الله التقوى، قال، زدني: قال: وغفر ذنبك، قال زدني بأبي أنت وأمي: قال ويسر لك الخير حيث ما كنت».

* وما جاء فيما يقوله من ركب دابة :

٢٢- وروى بسنده عن علي بن ربيعة قال: شهدت عليا رضي الله عنه أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى بنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله ثلاثا، الله أكبر ثلاثا، سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقلت من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك، فقلت من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك».

* وفيما يقول إذا هاجت الريح

٢٣- وروى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ إذا رأى الريح قال : « اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » .

* وفيما يقول إذا سمع الرعد

٢٤- وروى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك » .

* وفيما يقول إذا رأى الهلال

٢٥- وروى بسنده عن طلحة بن عبيد الله أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : « اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلام والإسلام، ربى وربك الله » .

* وفيما يقول عند الغضب

٢٦- وروى بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : استب رجلان عند النبي ﷺ حتى عرف الغضب في وجه أحدهما، فقال النبي ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

* وفيما يقول إذا أكل طعاما

٢٧- وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد، على ميمونة - رضي الله عنها - فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله، فقال لي : الشربة لك، فإن شئت أثرت بها خالدا، فقلت : ما كنت أؤثر

على سُورِكٍ أحدا، ثم قال رسول الله ﷺ : «من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»، وقال رسول الله ﷺ «ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن».

* وفيما يقول من فرغ من الطعام

٢٨- وروى بسنده عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفعت المائدة من بين يديه يقول : «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مُودَّع ولا مستغنى عنه ربنا».

٢٩ - وروى بسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال : «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»

* وما جاء فى انتظار الفرج

٣٠- وروى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج».

وبعد... فلعل هذه الأذكار والأدعية التى ذكرتها فى بعض المواقف، تغرى القارئ بالتعرف على هذه الأذكار والأدعية فى كتب السنة النبوية المطهرة، ففيها أبواب للدعاء أو الدعوات، أو كتب الأذكار والدعوات التى أشرنا إليها آنفا فإن روح المسلم لا تربي على شيء بمثل ما تربي على النظر والتأمل فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فكيف تربي هذه الروح عمليا؟

ذلك ما نأمل فى توضيحه فيما يلى، والله المستعان.

٢ - التربية العملية للروح

تعدّ التربية العملية للروح هي الميدان الذي تتحرك فيه فتفيد من كل حركة فائدة كبرى، تقربها إلى الله تعالى وتعمق صلتها به سبحانه.

* والتربية العملية للروح تطبيق وتنفيذ للجانب النظري من تربيتها، وقد سبق لنا أن قلنا : إن الجانب النظري لتربية الروح هو التفكير والتدبر، والنظر في ملكوت الله تعالى، والسير في الأرض لأخذ العظة والعبرة من أخبار الذين مضوا..

ونقول هنا: إن الجانب العملي لتربية الروح هو ممارسات وأعمال وخبرات وتجارب تمر بها الروح عمليا، لتتزكى وتزداد صفاء، فتقترب من الله تعالى وتقبل عليه بما يحب.

* والمسلمون يعلمون من تدبر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن العمل والممارسة هما ترجمان الإيمان، بشرط أن يكون هذا العمل صالحا، وأن معنى صلاحه أن يكون مما أمر الله به أو ندب إليه، ولذلك كانت تربية الروح عمليا هي دفعها لممارسة العمل الصالح وفعل الخير.

* وليس يربى الروح عمليا مثل الاستجابة لكل ما أمر الله تعالى به، ولكل ما طالبنا به رسوله الخاتم محمد ﷺ، وما أمر الله تعالى ولا طلب رسوله منا إلا الخير لنا ولغيرنا من الناس: خيري الدنيا والآخرة.

* وجملة ما أمرنا به وطولتنا بعمله لتصبح لنا الدنيا والآخرة يمكن أن يصنف في أمور سبعة هي :

١ - أداء الفرائض،

٢ - والإكثار من النوافل،

٣ - وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

٤ - والوصول بالعمل إلى منزلة الإحسان،

٥ - وممارسة أعمال الدعوة إلى الله،

٦ - وممارسة الاجتماع على ذكر الله بقيام الليل،

٧ - وزيارة القبور.

وكل واحدة من هذه السبعة تنضج الروح وتربّيها على الحق وعلى الهدى، وتزيدها صفاء ونقاء، وتقربها من الله تبارك وتعالى ولكن ذلك كله مشروط بحضور القلب أثناء الممارسة.

* وحضور القلب مصطلح في تربية الروح يعنى طرد الخواطر التي تشغل الإنسان عن عبادة ربه سبحانه وتعالى.

وهذه الخواطر التي يجب طردها ودفعها نوعان - كما قال الأسلاف من العلماء رحمهم الله - :

- شواغل خارجية، أي تأتي للإنسان من خارج نفسه وهي : المرئيات والمسموعات، وهذه تتجنب بغض البصر عنها، ومنع السمع عن الانتباه إليها. والخلوات أثناء العبادة هي العلاج لكف الصبر والسمع عن تلك الشواغل.

- وشواغل داخلية، أي تأتي للإنسان من داخل نفسه وعقله، بسبب تعلقه الشديد بالحياة الدنيا وأسبابها، وهذه تتجنب بصرف الروح عن التعلق الشديد بهذه الحياة الدنيا، ويكفى التعلق الذي تقوم به الحياة المرضية لله تعالى، مع التفكير في الحياة الآخرة وما فيها، وتذكر الموت دائماً.

* وسوف نحاول أن نفرّد لكل واحدة من هذه السبعة حديثاً وجيزاً يلقي عليها من الضوء ما يوضح أهميتها ومكانتها في تربية روح الإنسان وقلبه، والله المستعان.

* غير أنني أنه إلى حقيقة في هذا المجال وهي أن حصر وسائل التربية العملية للروح في هذه السبعة اجتهاد مني أرجو أن يأجرنى الله عليه بما يشاء، وليس بمنع اجتهادى هذا عن أن تكون هناك وسائل أخرى ذات أهمية وفعالية في تربية الروح.

وعلى سبيل المثال : فإن تلاوة القرآن والتدبر فيه من أهم الوسائل في تربية الروح، وهي عالم متراعى الأبعاد ولا يتسع له هذا الكتاب، فضلاً عن هذا الفصل من الكتاب.

وكذلك شأن السنة النبوية بمعناها الواسع الذى يدخل فيها السيرة النبوية، فهذا عالم فسيح في تربية الروح، لا نستطيع أن نستوعبه في هذا المجال. وإلى الحديث عن هذه الوسائل العملية في تربية الروح.

أولاً: أداء الفرائض

فرض الله تعالى علينا الفرائض لما يصلح لنا ديننا ودنيايا، وطالبنا بأن نؤدي هذه الفرائض، ونهانا عن أن نضيعها.

* وفرض الله علينا كذا... أى أوجب علينا العمل به، كالمعنى للفرض من قوله تعالى: «سورة أنزلناها وفرضناها»^(١) وفي قوله: «إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»^(٢) وهو الوجوب.

* وكل ما فرض الله علينا لا يجوز لنا أن نضيعه بحال، فقد روى الحاكم في مستدركه بسنده عن ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ذكره قد فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها». وراه الدار قطني، كما رواه النووي في الأربعين حديثا.

* والفرائض والشرائع والحدود والسنن هي الإيمان نفسه، فقد روى البخارى بسنده عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عدى بن عدى: «إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان».

* والفرائض كذلك هي مفردات الإسلام وأسهمه، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان»^(٣) قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: «الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والعمرة سهم،

(١) سورة النور: ١.

(٢) سورة القصص: ٨٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٨.

والجهاد سبهم، والأمر بالمعروف سبهم، والنهي عن المنكر سبهم، وقد خاب من لا سبهم له»^(١).

* وفرائض الإسلام وشرائعه وحدوده كثيرة، يمكن إجمالها في القول بأنها تتناول العمل بكل ما أمر الله تعالى به، واجتناب كل ما نهى عنه، ويدخل في ذلك ما أمر به الرسول ﷺ وما نهى عنه، لأنه المبلغ عن ربه، وله أن يأمر بما أوحى الله إليه من غير القرآن الكريم.

وعلى سبيل المثال: فقد أمر رسول الله ﷺ بالجماعة والسمع والطاعة وغيرها. فقد روى الترمذى والنسائى والبخارى في تاريخه وابن حبان وأحمد والحاكم بأسانيدهم عن الحارث بن الحارث الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكانه أبطأ بهن، فأوحى الله إلى عيسى: إما أن يبلغهن أو تبلغهن، فاتاه عيسى فقال له: إنك أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإذا أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال له: يا روح الله، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي، فجمع بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد فقعده على الشرفات فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن.

وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل من أشرك بالله كمثّل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، ثم أسكنه داراً، فقال: اعمل وارفع إليّ، فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكّم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣/٢ ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر: القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧.

وأمركم بالصلاة: وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يقبل بوجهه على عبده ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام: ومثل ذلك كمثله رجل معه صرة مسك في عصابة كلهم يجسد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة: ومثل ذلك كمثله رجل أسره العدو فشددوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله كثيرا: ومثل ذلك كمثله رجل طلبه العدو سراعا في أثره، فأتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى.

وأنا أمركم بخمس أمرني الله بهن:

الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جناء جهنم، وإن صام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله.

فهذه فرائض فرضها الرسول ﷺ كما أوحى الله تعالى إليه بها، فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

* ومن هذه الفرائض ما هو رئيس وأساسى.

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن زياد بن نعيم الحضرمي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع فرضهن الله في الإسلام، فمن جاء بثلاث لم

يغني عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا؛ الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت».

* ومن هذه الفرائض ما هو دون ذلك، كبقية ما فرض الله. وإنما كانت هذه الأربع هي الأساس لأنها أركان الإسلام، وأما غيرها فلم توصف بأنها من أركان الإسلام، وإن كانت واجبة لا يجوز التقصير في أدائها.
* والتربية العملية للروح:

هي أن يلتزم الإنسان بأداء هذه الفرائض جميعا، لأنه لا يغني بعضها عن بعض ولا جلها عن كلها، كما فهمنا هذا من حديث الرسول ﷺ الذي ذكرناه آنفا.

* ومما فرضه الله على عباده: الطهارة.

روى الترمذي بسنده عن علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور».

روى مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان»

وقد جعل العلماء والمربون المسلمون الطهارة أربع مراتب:

المرتبة الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث، وعن الأخبات والفضلات.

والثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

والثالثة: تطهير القلب- الروح- عن الأخلاق الذميمة والذائل الممقوتة.

والرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وطهارة الصديقين.

* والطهارة في كل مرتبة من هذه المراتب عمل مطلوب من المسلم ليتقبله الله ويتقبل منه أعماله.

* وهذه الطهارة بمراتبها الأربعة تربية للروح وتطهير لها مما يعلق بها أحياناً من أدران، ومن أجل هذا فرض الله تعالى الطهارة لاستباحة الصلاة وليس المصحف الشريف وغير ذلك مما شرع الله تعالى لعباده.

* وكذلك الشأن في فريضة الصلاة:

فهى تربي الروح والقلب والجوارح على الابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغى، لقوله تعالى: «وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»^(١).

* وبحسب المسلم أن يتأمل في نعمة الله علينا بالصلاة، ليجد أنه سبحانه قد شرعها لنا وفرضها علينا ليفتح لنا بها باب الوقوف بين يديه، ويزيل بيننا وبينه الحجاب، ويمكننا من مناجاته بما تضمنته من أقوال، في خلواتنا وفي جماعاتنا.

* والصلاة عماد الدين وعموده، وهى رأس القربان إلى الله تعالى، ومن فائدتها للروح والقلب أنها تغسل الذنوب والخطايا، ومع تكرارها يتكرر غسل الذنوب.

روى الإمام مسلم بسنده عن جابر رض الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لا شئ، قال صلى الله ﷺ: فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن».

— وروى الإمام مسلم بسنده عن عثمان رض الله عنه قال: سمعت رسول

(١) سورة النكيت: ٤٥.

الله ﷻ يقول: «ما من أمرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وكذلك الدهر كله».

* والصلاة المكتوبة في جماعة هي الأصل وهي أفضل ثواباً من صلاة الإنسان وحده في بيته أو سوقه خمساً وعشرين أو سبعاً وعشرين مرة.

- روى البخارى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلى عليه ما دام في صلاة ما لم يحدث: اللهم صلى عليه اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة».

- وروى البخارى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ فقد ناساً في بعض الصلوات، فقال: «لقد هممت أن أمر رجلاً يصلى بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم».

- وروى أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض، لم تقبل منه الصلاة التي صلى».

- وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى^(١) فقال: يا رسول ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له يصلى في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: هل تسمع

(١) هذا الرجل هو عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه، وهو رجل من قريش وهو الذى نزل فيه قوله تعالى: «عسى وتولى أن جاءه الأعمى».

النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب»

- وروى الإمام مسلم بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة، ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة».

* وكذلك الشأن في فريضة الزكاة:

فهى تربية جيدة للروح والقلب لأنها تتضمن معانى تربوية عميمة منها مانشير إليه فيما يلى:

- أنها امتحان من الله لعباده المؤمنين فى أموالهم التى يحبون، ليؤدوا منها حق الله وحق العباد من فقراء ومساكين.... إلخ فمن أدى نجح فى هذا الامتحان وأجدت معه هذه التربية.

- وأنها تطهر النفس من صفة بخل - وهو إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود، وتطهير لها من الشح - وهو البخل مع الحرص فيما كان عادة - فمن أداها فقد برئ من هذين المرضين.

- وأنها تطهير للمال بإخراج حقوق الناس منه.

- وأنها فرصة لشكر الله على نعمة المال.

- وأنها تزكية للنفس ورفع لقدرها عند الله، إذ تقترب إلى الله تعالى بأداء ما فرض عليها.

* وحسب الزكاة أهمية وعلو منزلة أن الله تبارك وتعالى قرن بها بالصلاة فى معظم الآيات القرآنية التى وردت فيها الزكاة.

– قال الله تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها»^(١).
فهى – كما تدل على ذلك الآية الكريمة – تحدثت فى نفس المَرْكُزِ أثَينِ
هامين:

أولهما: أنها تطهره من الذنوب ومن العيوب كالبخل والشح.

والآخر: أنها تزكى الإنسان وترفع درجته عند الله.

– وروى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول
الله ﷺ: «ثلاث أحلف عليهن:

* لا يجعل الله من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم
الإسلام ثلاثة: الصلاة والصوم والزكاة.

* ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيؤليه غيره يوم القيامة.

* ولا يحب رجل قوما إلا جعله الله عز وجل معهم».

قال عروة بن الزبير راوى الحديث عن عائشة رضى الله عنها:

«والرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا أتم: لا يستر الله عبدا فى الدنيا
إلا ستره يوم القيامة».

* وللزكاة شروط وآداب تلتزم فى كتب الفقه الإسلامى.

* وكذلك شأن صيام رمضان:

فهو تربية روحية عالية المستوى يتدرب الإنسان فيها على ترك أقوى شهواته
شهوة البطن والفرج من أجل إرضاء الله تعالى، ولذلك كان جزاؤه أعظم جزاء،
وكان جنة وحصنا للمسلم.

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

- ومن المعروف لدى المسلمين أن الصوم ربع الإيمان، لأنه نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان، بهذا وردت أحاديث النبي ﷺ.

- روى الترمذى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ:

«الصوم نصف الصبر».

- وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصبر نصف الإيمان».

* وأجر الصيام أعظم أجر أو لا يضاهيه أجر في الأعمال الصالحة كلها، لأن تقدير أجره متروك لكرم سبحانه وتعالى، وهو سبحانه لم يحدد له قدرا معيناً كما حدد لسواه من الأعمال.

- روى الطبراني في الأوسط بسنده، والبيهقي في شعب الإيمان بسنده كلاهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الأعمال عند الله عز وجل سبع:

* عملان موجبان.

* وعملان بأمثالهما.

* وعمل بعشر أمثاله.

* وعمل بسبعمائه.

* وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل.

* فأما الموجبان: فمن لقي الله يعده مخلصاً لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة.

ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار.

* ومن عمل سيئة جزى بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها.

* ومن عمل حسنة جزى عشرةا.

* ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته: الدرهم بسبعمائة، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل.

* والصوم مدرسة كاملة لتربية الروح، بل الروح والجسد لأنه كف للإنسان عن شهوات بطنه وفرجه، بل كف بصره وسمعه ولسانه وسائر جوارحه عما يغضب الله، كما هو كف للقلب والروح عن هموم الدنيا.

* وكذلك شأن حج بيت الله للمستطيع:

الحج عبادة العمر ونمام الإسلام وكمال الدين، وقد أوجب الله على المستطيع، وشدد في أدائه، فقد روى ابن عدى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا».

* والحج في حياة المسلم يأتي ثالثا بعد الإيمان والجهاد في سبيل الله، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

- والحج كفارة للذنوب، روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

* والحج مدرسة لتربية الروح من أول عمل يقوم به الحاج حتى آخر عمل،

وتبدأ تربية الروح فى الحج بانعقاد النية على أداء الفريضة، والشوق إلى تلك الأماكن التى قدسها الله وأمرنا بالحج إليها، وقطع العلائق المانعة من أدائه، والاستعداد له والإحرام من الميقات ، والتلبية والطواف والسعى والإقامة بمنى والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ورمى الجمار والنحر، وفى كل تحمل شاق بدنية وتحمل لتزاحم الناس على أداء المناسك، وتلك هى التربية العظيمة للروح.

وبحسب الإنسان فائدة من الحج لروحه وقلبه وبدنه أن يلقى الله، وأن يكبره على كل شرف وأن يدعو، وأن يقدم له الهدى ليطلع منه المسلمون!!

وبحسب الحج أنه يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن، فقد روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن جراد ورضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن».

* وهكذا تربي الفرائض روح المؤمن وتنقيها وتصلقها وتقربها من الله تبارك وتعالى تربية عملية مسلكية لا يغنى فيها العلم عن العمل ولا النظريات عن التطبيق.

ثانياً: الإكثار من النوافل

النوافل: جمع نافلة وهي الزيادة على الفرض أو الواجب.

* ومن رحمة الله بالمسلمين أن جعل لهم نافلة من جنس كل فريضة فرضها عليهم، ليزدادوا بأدائها قرباً من الله تعالى، إذ كلما أقبل الإنسان على النوافل كلما كان موضعاً لرضا الله وتوفيقه ونصره، واستجابته لما يطلب منه عبده المتفضل.

- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيْدَنَهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

* ومن أجل توضيح النوافل التي هي من جنس الفرائض نقول وبالله التوفيق:

- النوافل التي هي من جنس فريضة النطق بالشهادتين «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هي ذكر الله بجميع صورته المشروعة، وذلك باب رحمة للمؤمنين.

- والنوافل التي هي جنس فريضة الصلاة كثيرة: منها خمس هي رواتب الصلوات الخمس.

* ومنها ثلاثة وراءها هي: صلاة الضحى، وإحياء ما بين العشاءين والتهجد.

* ومنها صلوات أيام الأسبوع جميعا، أيامه ولياليه.

* ومنها صلاة العيدين.

* ومنها صلاة التراويح أو قيام شهر رمضان.

* ومنها صلاة رجب وشعبان.

ومنها الصلوات العارضة: كصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتا الوضوء، وركعتا ما بين الأذان والإقامة، وركعتا الخروج من المنزل أو دخوله، وصلاة الاستخارة وصلاة التسابيح.

وكل تلك الصلوات تقرب إلى الله يقبله إن شاء ويستجيب لمن قام به من عباده مخلصا له فيه.

- والنوافل التي هي من جنس الزكاة هي الصدقات:

* كصدقة الفطر.

* وصدقات التطوع.

- روى الحاكم بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى الله بين الناس».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه فيريها لأحدكم كما يرى أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد، وتصديق ذلك في

كتاب الله: «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات»^(١)، و«يمحق الله الربا ويربي الصدقات»^(٢).

- وروى ابن ماجه بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا».

* هذه النوافل إذا أدت بحضور قلب وإخلاص نية لله تعالى كانت طريقا إلى رضا الله تعالى عن عباده الذين يتقربون إليه بالنوافل بعد الفرائض، وإذا أحب الله عبده كان معه يؤيده ويعينه ويوفقه إلى كل ما يصلح له دينه ودنياه.

* وفى أداء النوافل تربية روحية جيدة إذا روعيت عدة اعتبارات نشير إلى بعضها فيما يلى:

- أن تكون هذه النوافل خالصة لوجه الله تعالى.

- وأن تكون هذه النوافل عملا يتكرر فى اليوم أو فى الأسبوع أو فى الشهر حسب كل عبادة.

- وأن تكون هذه النوافل موافقة للسنة وليس فيها من الابتداع شئ.

فذلك تعويد للروح على فعل الخيرات، وإقبال على الله بأداء هذه النوافل، على النحو الذى ذكرنا.

* إن الروح التى تتربى على أداء النوافل، تستطيع أن تمضى فى طريق البذل والتضحية فى سبيل الله، وكلما أثمرت فيها هذه التربية، كلما زاد عطاؤها

(١) سورة التوبة: ١٠٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٦.

وعظمت تضحيتها من أجل هذا الدين، حتى يكون طلب الشهادة في سبيل
الله أملاً لها تعيش رغبة في تحقيقه.

* وإن الروح التي تربي على أداء النوافل هي الروح التي تتدرب على الصبر
والاحتمال، والتواصي بالصبر فيما يصيبها في طريق الدعوة إلى الله من
متاعب، وما يث في هذه الطريق من عقبات وعراقيل.

* وإن أداء النوافل وتكرر هذا الأداء يعود على التسامح وحسن التعامل مع
الناس، فالمتنفل يعطى أكثر مما عليه، وبالتالي فهو يأخذ أقل مما له، وتلك هي
السماحة التي تضمن لمن يدعو إلى الله أن يجذب المدعويين وأن يؤثر فيهم،
ويشجعهم على الانتماء لهذا الدين والالتزام بأحكامه وأخلاقه وأدابه.

ثالثاً: ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو لب الدعوة إلى الله وجوهرها، وهو الذى يحفظ للمجتمع استقراره وأمنه، ويشيع فى الناس الرضا والطمأنينة والانصراف إلى أداء الأعمال وتحسينها وتجديدها وجعلها على أحسن مستوى يرضى الله ويرضى الدنيا والآخرة.

* وقد كان ولا يزال وسوف يظل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذى يقيم على الجادة وعلى الهدى وعلى الصراط المستقيم، فيزيل من بينهم أسباب التعادى والتخاصم، واقتراق الكلمة وذهاب الريح، وهو القادر على أن يجعل الناس إخوة فى الله متحابين متعاونين يذكر بعض من نسى منهم، ويعين بعضهم من كان على ذكر بما أوجب الله.

* ولقد ميز الله الأمة المسلمة بأنها الأمة التى عدها خير أمة أخرجت للناس بسبب ما تمارسه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تبارك وتعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله...»^(١).

* وقد أوجب الله على الأمة المسلمة أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وجعل ذلك فى صيغة الأمر، قال الله تبارك وتعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»^(٢) والذى يفهم من هذه الآية الكريمة أن يكون من المسلمين على الدوام أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الخير، بحيث لو تعطل هذا فقدت الأمة المسلمة صفتها.

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

* وقد جعل الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة من صفات المؤمنين والمؤمنات، تقف إلى جانب سائر صفاتهم التي تميزهم عن سواهم كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، تلك الصفات التي تستجلب رحمة الله لهم، قال الله تعالى: «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، يطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»^(١).

– الولاية: النصرة والتعاون بعد القرب في الدين والاعتقاد والولاية بين المؤمنين – كما توحى بذلك الآية الكريمة – تفسر بأمر خمسة تميز المؤمنين

عن المنافقين وهي:

* الأمر بالمعروف ،

* والنهي عن المنكر ،

* وإقامة الصلاة ،

* وإيتاء الزكاة ،

* وطاعة الله ورسوله ،

ولهذا الولاء بين المؤمنين والمؤمنات نتيجة وهي أن الله سيرحمهم والسين هنا للتأكيد والمبالغة، ونظائر لما قوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا»^(٢)

وقوله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى»^(٣) وقوله جل شأنه: «والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما»^(٤).

(١) سورة التوبة: ٧١

(٢) سورة مريم: ٩٦

(٣) سورة الضحى: ٦

(٤) سورة النساء: ١٥٢

* وقد وعد الله - ووعد الصديق - بأن ينجي الذين ينهون عن المنكر، من عذاب الآخرة، وتوعد الذين ظلموا وفسقوا بترك النهى عن المنكر والسوء، توعدهم بعذاب شديد، يصيبهم بالبؤس، قال الله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾^(١).

* وكذلك أمرت السنة النبوية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم تعف أحدا من أن يمارسهما على قدر استطاعته، ولو كانت تلك الممارسة إنكارا بالقلب، وما ذلك إلا لأن ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تربي روح المسلم على فعل الخير والأمر به، وعلى مقاومة الشر والنهي عنه.

- روى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليسهه، فإن لم يستطع فليقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

* وتوضح السنة النبوية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل الأنبياء والصالحين من أتباعهم، وأن غير الصالحين يخالفون الصالحين عادة، بل يزيحونهم لو استطاعوا، وأن هؤلاء يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ويطلب الرسول ﷺ بجهد هؤلاء بكل وسيلة ممكنة من الجهاد، بحيث لا يعفى أحد من المسلمين من الجهاد إلا إذا كان عاجزا عنه.

وهذه سنة الله في الأنبياء والمرسلين وفي الأمم التي أرسلوا إليها، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(١) سورة الاعراف : ١٦٥ .

«ما من نبي بعثه الله في أمة من قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» .

* وتوضح أحاديث النبي ﷺ أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موجب لعقاب الله في الدنيا، وعدم استجابته لدعوات من يدعونه.

- روى الترمذي بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ :
«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» .

* وإنما كانت ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تربية للروح، لأنها جهاد ومعاناة في سبيل الله، يجب أن يعود الإنسان نفسه عليه، ومالم يرب المسلمون أنفسهم على تحمل أعباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضرب الله بقلوب بعضهم على بعض، ثم لعنهم كما لعن اليهود من قبل حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- روى أبو داود بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ماتصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشربه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم » ثم قال: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا

منهم يتولون الذين كفروا، لبس ما قدمت لهم أنفسهم ﴿ إلى قوله ﴾ فاسقون ﴿
ثم قال : ﴿ كلا والله، لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد
الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن
الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم ﴾.

* إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تربية لروح المؤمن وتربية للمجتمع
كله، وهى تربية عملية تقوم على الممارسة والتطبيق.

رابعاً : استهداف الوصول إلى منزلة الإحسان

الوصول إلى منزلة الإحسان غاية نبيلة، إذا بلغها الإنسان في حياته الدنيا، فقد عاش حياة دنيوية حافلة بالعمل الصالح، التابع عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وبلغ بذلك منزلة ترضى الله تبارك وتعالى عنه في الدنيا والآخرة.

* فالوصول إلى منزلة الإحسان هدف المؤمن الذي يعمل الصالحات، وليس هدفا يختاره الإنسان لنفسه، وإنما هو هدف دعا الله إليه وحب فيه، وكتبه على عباده الذين يستجيبون لمنهجه، وما جاء فيه من أمر ونهي.

* والإحسان في حقيقته هو لب الإيمان وجوهره، فإذا كان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر هو القاعدة الراسخة التي يقوم عليها الإسلام لله تعالى ولمنهجه، فإن الإحسان مطلب في كل من الإيمان والإسلام، إذ من المطلوب أن يحسن الإنسان إيمانه وأن يحسن إسلامه، بمعنى أن يكون كل منهما على الوجه الذي شرعه الله تعالى وأوضحه رسوله ﷺ .

* وفي مجال التربية الإسلامية .

من ربيت روحه على الإيمان والإسلام يحتاج إلى أن تربي على الإحسان لتقطع باقي الشوط أو الطريق إلى الله تعالى، بأمن وأمان، أمن من الانحراف عن الطريق، وأمان من أن يتعثر - وهو يسعى - في عقبات وعراقيل يبشها شياطين الإنس والجن ليحولوا بين المؤمن والمسلم وبين الإحسان الذي هو نهاية طريق الإيمان والإسلام .

* والإحسان قد أمر الله تعالى به مع أمره بالعدل قبله وبإيتاء ذي القربى

بعده. وفي الجمع بين هذه الثلاثة: العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى عبارة للمعتبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾^(١).
والعبارة هنا أن الإنسانية في أى مكان وفي أى زمان، لا تستطيع أن تعيش آمنة هائلة إلا إذا انصف الناس فيها بهذه الصفات الثلاثة.

- العدل :

فى القول وفى الفعل، ومع الله ومع النفس ومع الناس أولياء وأعداء، إذ العدل هو المساواة فى المكافأة إن خيرا فخييرا، وإن شرا فشر، وبغير العدل يختل نظام المجتمع وتضيع الحقوق، ويعم الفساد وينتشر الظلم، وكل ذلك حرمه الله تعالى، ولذلك أمر بالعدل.

- والإحسان :

يقال على معنيين مشهورين :

أحدهما : الإنعام على الغير .

والآخر : إحسان فى الفعل وتجويد له .

وبكل معنى من هذين المعنيين طالبتنا الآية الكريمة. وبغير ممارسة الإحسان بهذين المعنيين لا تستقيم حياة الناس ولا يستقر المجتمع .

وللإحسان معان أخرى مطلوبة شرعا كذلك ومنها مايلى :

* الإحسان بمعنى إتقان عبادة الله تعالى ومراعاة آدابها مع استحضار عظمتة تعالى وجلاله فى حالة الشروع فى العبادة وفى حالة الاستمرار فى أدائها، وهذا المعنى هو الكامن فى قول جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ : «الإحسان أن تعبد

(١) سورة النحل : ٩٠ .

الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

* والإحسان بمعنى الزيادة في الطاعات وفي فعل الخير، قال الأسلاف عليهم رحمة الله : الإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه.

* ومن معاني الإحسان: التوحيد، كما ورد ذلك على لسان النبي ﷺ ، فقد روى أن النبي ﷺ قرأ : «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»^(١) ثم قال : «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا : «الله ورسوله أعلم قال يقول: «هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » .

وأوضح ابن عباس رضي الله عنهما هذا المعنى للإحسان بأن فسر هذه الآية الكريمة بقوله - في قول الله تعالى: «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»- هل جزاء من قال : لا إله إلا الله، وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة ؟ .

- وإيتاء صدق القريب :

ومعناه أن يعطي المسلم أقاربه ما يحتاجون إليه دعماً للروابط الأسرية، سواء أكان هذا الإعطاء واجباً كالنفقة على من تجب عليه نفقته، أم كان الإعطاء مندوباً إليه كالبر وصلة الأرحام .

تلك هي الصفات الثلاثة التي تجعل الحياة الاجتماعية مستقرة آمنة، وبغيرها لا يكون استقرار ولا أمن، وقد جاء الإحسان في هذه الصفات بين العدل وإيتاء ذي القربى، فتدبر أيها الإنسان وتخذ العبرة والعظة .

* والإحسان الذي نستهدف الوصول إلى منزلته، بكل معنى من معانيه التي ذكرنا، ذلك الإحسان تربية للروح والقلب والنفس، وتربية لكل معنى إنساني في الإنسان، ولا تربي روح الإنسان تربية إسلامية حتى يصبح الإحسان من

(١) سورة الرحمن : ٦٠ .

عملها الدائم حتى تلقى الله عليه.

* وتربية الروح على الإحسان تعنى أموراً كثيرة منها: -

- أن تحسن هذه الروح باتباع كل ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، اتباعاً عملياً.

- وأن تلزم نفسها بهذا الاتباع في كل حين، وألا تفتر عنه، فضلاً عن أن تفقد عنه.

- وأن تحسن إلى الناس بتوصيل الخير لهم، احتساباً للأجر على ذلك عند الله، ودون انتظار شيء من الناس، ولا خير ينقذ الناس مثل دعوتهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وتمهيد الطريق إلى ذلك أمامهم.

- وأن تحسن هذه الروح تقديرها لنفسها فتتعامل بالإحسان بمعنى أن تأخذ أقل مما لها، وأن تعطى أكثر مما عليها.

* إن تربية الروح على هذا الإحسان بتلك المعاني لتصل بها إلى منزلة الإحسان هدف كبير من أهداف التربية الإسلامية، بل دعامة أساسية من دعائمها، لأن المجتمع لا يمكن أن يسلم من عيوبه، وينقى من أخطائه إلا إذا كان الإحسان بمعانيه تلك شائعاً فيه يمارسه المسلمون جميعاً تقرباً به إلى الله تعالى.

* وإن الممارسة العملية للإحسان بهذه المعاني التي ذكرنا هي الترجمة الصحيحة للإيمان بكل مفرداته، وللإسلام بكل أركانه، وللعدل بكل معانيه.

أرأيت مجتمعاً إنسانياً يسوده الإحسان، كيف يكون؟

خامسا: ممارسة أعمال الدعوة إلى الله

التربية الإسلامية للروح والقلب، تستهدف أن تشغل الروح والقلب بأعمال الدعوة إلى الله، لأن ممارسة الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة على بصيرة لما يدعو إليه.

* وأعمال الدعوة إلى الله كثيرة متنوعة، ودقيقة عميقة تحتاج إلى إعداد وصبر واحتساب، واستمرار ودأب.

* ونحاول هنا أن نرصد أعمال الدعوة إلى الله من خلال ما أتيج لنا بفضل الله من ممارسة نظريا وعمليا، فنقول :

- بداية أعمال الدعوة إلى الله هي التعلم، ويصاحبه العلم والتحصيل، للوصول إلى الفهم أو الفقه لما يدعو إليه الداعي وإقامة الأدلة والبراهين عليه، وذلك التعلم والعلم هو البصيرة التي يجب أن تتوفر في الداعي إلى الله، قال الله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾^(١).

والتعلم والعلم يتبعهما التعليم وهو الدعوة إلى الله.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله التلطف في التعامل مع الناس أثناء عرض الدعوة عليهم، وهذا التلطف هو الالتزام بما أمر الله به في عرض الدعوة على الناس، في قوله تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾^(٢).

(١) سورة يوسف : ١٠٨.

(٢) سورة النحل : ١٢٥.

والحكمة تلتطف،

والموعظة الحسنة تلتطف،

والجدال بالتى هى أحسن تلتطف .

وإنما كان هذا التلطف فى هذه الأساليب كلها، لأنه لا يجوز أن يكره أحد على الدخول فى الدين، وعلى الدخول فى أعمال الدعوة إلى الله .

- ومن أعمال الدعوة إلى الله ارتياد المساجد لأداء الفرائض أساسا وللتعرف على صالحى المسلمين، وعقد الصلوات بهم، وتفقدهم إذا غابوا، والتودد إليهم وإفهامهم، لأن المؤمن مألّف أى يألف ويؤلف، كما جاء ذلك فى السنة النبوية المطهرة.

* روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أقل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، الموطنون أكفأ الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

* وروى الدارقطنى فى الأفراد بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس».

إن التعرف على الناس وحبهم والتحبب إليهم والعمل على نفعهم هو روح الدعوة إلى الله وجوهرها الحقيقى وهو القادر على أن يجذب الناس إلى ركب الصالحين .

- ومن أعمال الدعوة إلى الله تعليم الناس التعاون على البر والتقوى، والبداية الطيبة المباركة المقبولة فى هذا التعاون هو تعهد المسجد وتنظيم ما فيه وتنظيفه، وتزويده بمكتبة، وتنظيم دروس دينية فيه إذا لم يكن به دروس، وحسن

التعامل مع شيوخه وسائر العاملين فيه والمترددین علیه - كما أسلفنا - بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله، بل من أهم أعمالها، أن يتوسم الداعي إلى الله في أحد المصلين المواطنين صلاحا واستجابة لما يأمر به الله تعالى فيعقد معه علاقة وصداقة قوية تتدرج حتى تصبح تأخيا في الإسلام.

* وفي أثناء ذلك يزوره ويستزيره ويتلطف إليه ويقدم له الهدايا والخدمات.

* ويعرفه على بعض الصالحين في الحي الذي يقيم فيه.

* ويصبره بشعون دينه وواجبات المسلم نحو نفسه ووالديه وأهله وأقاربه وجيرانه وسائر الناس.

* ويتعاون معه على القراءة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبعض الكتب التي يرى أنها تفيده في دينه أو دنياه.

* ويتدارس معه بعض قضايا المسلمين في الحي الذي يعيش فيه، ثم في وطنه ثم في العالم كله.

* ويندبه على العطاء والتضحية ببعض وقته وبعض جهده لصالح المسلمين، وكل ذلك في سبيل الله.

* ويشجعه على المشاركة في رعاية اليتامى والأرامل، والفقراء والعاجزين عن العمل، لأن هذه الأعمال هي لب الإسلام وجوهره إذ هو دين ونظام للإنسان.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله أن يكون للداعي المسلم مجموعة صغيرة من الناس يتعهدوا ويرعاها، بعد أن يكون قد اختارها من أصلح الأفراد الذين عمق بهم صلته، حتى وصل معهم إلى مرحلة التأخي في الإسلام.

* وهذه المجموعة المنتقاة، يرتب معها لقاء أسبوعيا، يجتمعون فيه على
مدرسة في القرآن والسنة والسيرة النبوية، وفقه العبادات والمعاملات، وممارسة
النوافل.

* ويكون لهذه المجموعة برنامج ثقافي يتناول :

- ثقافة إسلامية،

- وثقافة عامة،

- وثقافة متخصصة في بعض العلوم والمعارف.

* ويكون لهذه المجموعة إطار زمني تنفذ فيه هذا البرنامج.

* ولابد لهذه المجموعة من أنشطة عملية كالرحلات والزيارات للناس
وللأماكن، والحوارات والندوات ونحوها.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله أن يذب المسلم نفسه على قيادة غيره من
الناس في الخير ونحو ما يرضى الله تبارك وتعالى للوصول بمن يدعوهم إلى
مستوى خاص فيما يلي :

* فهم الإسلام دينا ومنهجيا ودعوة وحركة وتنظيما وتربية.

* والإخلاص في العمل من أجل هذا الدين.

* والتشوق إلى الجهاد في سبيل الله، وجهاد أعداء الله.

* والتدرب على التضحية في سبيل الله بكل ما من شأنه أن يضحي به
المسلم من جهده ووقته وماله.

ولا يستطيع أن يكون قائدا لغيره إلا إذا توفرت لديه الأسباب التالية :

* قدر من القرآن الكريم حفظا وفهما وحسن تلاوة.

* وقدر من السنة النبوية حفظا وفهما وتطبيقا.

* ودراسة جيدة للسيرة النبوية المطهرة.

* ومعرفة بتاريخ الأنبياء والمرسلين.

* ومعرفة بالفقه الإسلامي عموما.

* ومعرفة دقيقة بفقه العمل الجماعي.

* ومعرفة بأهم قضايا العالم الإسلامي.

* ومعرفة كافية بحركات الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي المعاصر.

* ومعرفة جيدة بالتيارات الموالية أو المعادية للعمل الإسلامي ولحركات الإصلاح والتجديد.

* وتمثل مستمر لحياة الرسول ﷺ، وكيف كان يرى الناس ويتعامل معهم ويقودهم إلى الخير. إن ذلك هو الذي يمكنه من أن يمارس الدعوة إلى الله، وأن يقود غيره من الناس، وأن يسهم في تربيتهم تربية إسلامية تصلح لهم دينهم ودنياهم، وتصلح بهم غيرهم من الناس. وذلك كله فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله عقد صلات طيبة بسائر الدعوة إلى الله، والتفاهم معهم، والتعاون على أداء واجبات الدعوة إلى الله، والتواصي فيما بينهم بالحق والصبر، وإنما يجدي هذا التعاون ويعطى أعظم الثمر إذا كانت هناك لقاءات بين الدعوة: ندوات أو مؤتمرات تبحث فيها قضايا الدعوة إلى الله فيما يتصل بمحاور ثلاثة:

* الدعوة نفسها،

* والدعاة،

* والمدعوون.

وتتبادل فيها الآراء والخبرات والتجارب في هذه المحاور الثلاثة حتى يتمكن الدعاة من أداء عملهم على النحو الذى يحقق النجاح والفلاح بإذن الله تعالى.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله تقويم العمل فى الدعوة، بحيث ينظر الداعية فيما قدم من عمل خلال سنة، ليرصد النتائج ويقوم الأداء ويتعرف على ما وقع فيه من أخطاء ليتجنب الوقوع فيها ثانية ويستغفر الله منها، وعلى ما وفقه الله إليه من عمل صالح ناجح فيحمد الله عليه ويستزيد من هذا العمل ما وسعه.

* وهذا النوع من التقويم تقويم ذاتى شخصى.

* وهناك تقويم عام يقوم به عدد من الدعاة، يطرحون فيه القضايا العامة، والعمل العام، محاولين التعرف على أسباب الفشل أو النجاح لأخذ العظة والاعتبار.

* وهناك تقويم على مستوى أكبر، ربما يتم فى مؤتمر للدعاة تناقش فيه قضايا الدعوة إلى الله ما لها وما عليها، وينتهى هذا المؤتمر بتوصيات يفيد منها سائر الدعاة إلى الله فى العالم كله، بحيث تكون برنامج عمل للدعاة، مع مراعاة الفروق بين إقليم وإقليم فى المدعوين والدعاة والتيارات الموالية أو المعادية لهم.

- ومن أعمال الدعوة إلى الله تبادل الزيارات بين الدعاة، طالما كان هذا متاحاً، لأن الحركة من أجل الدعوة بركة، وتعميق الاتصال برجال الدعوة، والتعرف عليهم فى أماكن دعوتهم عمل مفيد نافع بإذن الله تعالى.

ونقل خبرة إقليم إلى إقليم فى مجال الدعوة تنفيذ أكبر فائدة للدعاة الذين قد ينتقلون إلى إقليم غير إقليمهم. فقد تدانت أطراف العالم بعد يسر المواصلات وسرعتها، ولا شك أن المدعويين أنفسهم يفيدون من هذه الزيارات، ونحن نؤمن إيماناً راسخاً أن العالم الإسلامى كله بالنسبة للدعاة إلى الله وحدة واحدة بل أمة واحدة مهما تناءت المسافات وتعقدت إجراءات الانتقال من إقليم إلى آخر. إن هذه الإجراءات مصيرها إلى الزوال.

* وبعد : فقد ذكرت من أعمال الدعوة عشرة أعمال وهى قليل من كثير، ولكنها أعمال تسهم فى تربية روح المسلم وقلبه وحسه الإسلامى كله، وسلوكه الفردى والاجتماعى. وهى كلها من التربية الإسلامية العملية، التى تذكى الروح وتشجذ العزم وتحبى القلب، وتعطى المسلم مزيداً من الإحساس بالرضى عن الله تعالى، إذ يجد نفسه مع أمر الله وندبه وما حجب فيه.

إن ذلك يصقل الروح ويزيل عنها صند الكسل والفتور ويدفع بها فى الطريق إلى الله تعالى، طريق الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه.

سادسا : ممارسة الاجتماع على ذكر الله بقيام الليل

قيام الليل، أى إحيائه بالعبادة، مطلب شرعى، دعت إليه آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ.

وهو من النوافل التى تزيد الإنسان قربا من الله تعالى، وتوصله إلى درجة حبه تعالى له.

– قال الله تعالى : ﴿إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً، إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قيلاً﴾^(١).

* والقول الثقيل هو القرآن الكريم، لما يشتمل عليه من أوامر ونواه وتكاليف تعد شديدة على النفس بمنعها من كثير من شهواتها، وإن كان أداؤها مرضاة الله تعالى ومصلحة للإنسان فى دنياه وآخرته.

*ومن أنجح وسائل الاستعانة على العبادة قيام الليل، لأن من هيا نفسه ليقوم الليل عابدا لربه كان أقدر على أداء ما أمر الله به، وعلى اجتناب ما نهى الله عنه.

وقيام الليل بعبادة الله تعالى أقرب إلى القبول، وأدعى إلى الاستجابة، فالله تعالى أقرب ما يكون إلى عبده فى جوف الليل.

– وقال عز وجل : ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾^(٢) فقد وصفهم الله تبارك وتعالى بهذه الصفة وهى بياتهم لله ساجدين قائمين، بين وصفه تعالى لعباده عباد الرحمن بثلاث مجموعات من الصفات هى :

(١) سورة المزمل : ٥ – ٦ .

(٢) سورة الفرقان : ٦٤ .

* صفات التحلى بالكمالات، ومنها هذه الصفة: قيام الليل لله تعالى بالسجود والقيام، وما فى هذا القيام من ذكر وتسييح وقراءة ودعاء

* وصفات التخلّى عن الضلالات، ومنها رفض شهادة الزور، «واذا مروا باللغو مروا كراما».

* وصفات التطلع إلى المقامات، ومنها قولهم : «واجعلنا للمتقين إماما»^(١). والمفسرون للقرآن الكريم يقولون : إن معنى يبيتون لربهم سجدا وقياما أى يقومون الليل متعبدين يذكرون الله كثيرا.

- وقال جل وعلا : «أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل هى يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب»^(٢).

* والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع لله تعالى.

* وآناء الليل : ساعاته،

* ويحذر الآخرة : أى يخاف ما فيها من حساب،

* ويرجو رحمة ربه : يظن حصولها له.

* ويفهم من الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى لا يسوى فى الجزاء بين الخاشعين - الضارعين بجوارحهم لله تعالى والذين امتلأت أرواحهم وقلوبهم خشية له سبحانه - آناء الليل فى سجد وقيام يخشون يوم القيامة ويعملون له،

(١) انظر للمؤلف : «التربية الخلقية» حيث فصلنا كل مجموعة من هذه الصفات تفصيلا دقيقا - وهو كتاب أعد وينظر الطباعة بعد إعادة النظر فيه - وهن ثانى كتاب من سلسلة : مفردات التربية الإسلامية.

(٢) سورة الزمر : ٩ .

ويأملون في رحمة الله تعالى لهم، لا يسوى سبحانه وتعالى بين هؤلاء ومن لا يفعلون ذلك، فيقصون ليلهم نائمين كأنهم جيف كما وصفهم رسول الله ﷺ.

* روى البيهقي في السنن بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله يفيض كل جعظري جواظ، سخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بالدنيا جاهل بالآخرة».

* وقد وصف الله سبحانه قُوراء الليل بأنهم الذين يعلمون، ووصف من لا يقومونه بأنهم لا يعلمون.

والذين يعلمون هم أصحاب العقول وأولوا الأبواب، وعلم هؤلاء يتمثل في اتصافهم بجملة صفات هي :

* أنهم يذكرون الله فيما وقعوا وعلى جنوبيهم أى في كل حال.

* وأنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض قائلين سبحانه ما خلقت هذا باطلا، ويدعونه بأن يقيهم عذاب النار.

* وأنهم عندما سمعوا نداء الإيمان ومناديه استجابوا له، وطلبوا مغفرة الله لذنوبهم وتكفير سيئاتهم، ووفاتهم وحشرهم مع الأبرار.

* وأنهم يسألون الله ما وعدهم على السنة رسله من نعيم، وما وعدهم من وقاية من خزي يوم القيامة.

* وأنهم قد استجاب الله لهم.

إن هؤلاء هم القانتون لربهم آناء الليل، كما جاء وصفهم في الآيات الكريمة التالية :

وهي ما فسرنا بها وصف الله لهم بأنهم يعلمون : ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ
قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ
أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا
بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا، رَبَّنَا فَارْحَمْنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا
مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رِسْلِكَ وَلَا تَخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فاستجاب
لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض
فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي، وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنهم سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَوَابَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ»^(١).

* ومما جاء في السنة النبوية في قيام الليل ما نذكر بعضه فيما يلي :

- روى الترمذى بسنده عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : «عليكم بقيام الليل، فإنه أَدَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
وَمُكَفَّرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ».

- وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه بأسانيدهم عن أبي
هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يعقد الشيطان على قافية رأس
أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل
فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة،
فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس، ولا أصبح خبيث
النفس كسلان».

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩٥.

وقال ابن ماجة فى روايته : فيصبح نشيطا طيب النفس قد أصاب خيرا، وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيرا.

- وروى ابن حبان فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسى وقرت عيني، انبغنى عن كل شيء. قال : كل شيء خلق من الماء، فقلت : أخيرنى بشيء إذا عملته دخلت الجنة؟ قال : «أطعم الطعام وأفش السلام وصل الأرحام، وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة سلام».

ورواه أحمد فى مسنده،

وابن الدنيا فى كتاب التهجد،

ورواه الحاكم وصححه.

- وروى الطبرانى والبخارى بسنديهما عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : «أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلى بالليل ما قل أو أكثر، ونجعل آخر ذلك وتراً»

- وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنهما قال : «جاء جبريل إلى النبى ﷺ، فقال : يا محمد : عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

- وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

- وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن

قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين».

ورواه ابن خزيمة في صحيحه.

والمقنطرون هم أصحاب القناطر من ثواب الله تعالى لهم.

* من خلال هذه النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نعلم أن قيام الليل فضيلة وقربى من الله ندب إليها الله تعالى وشجع عليها ، ودعا إليها رسول الله ﷺ وأشاد بها.

* ونستطيع من خلال هذه النصوص الكريمة أن نستخلص الحقائق التالية عن قيام الليل :

- أنه من أدب الصالحين المخلصين من قبلنا، ويحسن منا معشر الأمة الإسلامية أن نتأدب بقيام الليل.

- - وأنه قربى إلى الله تعالى، وكل ما يقربنا من الله خير لنا، وسعادة لنا في دنيانا وآخرانا.

- وأن قيام الليل يكفر عنا سيئاتنا،

- وأنه ينهانا عن الآثام والذنوب،

- وأنه من صفات الذين يعلمون، الذين لا يساويهم الله بالذين لا يعلمون،

- وأنه يحل عَقْدَ الشيطان التي يعقدها على رأس النائم،

- وأنه مدعاة للنشاط وطيب النفس وإصابة الخير،

- وأنه مع غيره سبب في دخول الجنة «وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام»،

- وأنه من شرف المؤمن،

- وأن قيام الليل خير يستحق من يقوم به أن يغبط عليه،

- وأنه سبب للحصول على ثواب الله تعالى، بحيث لا يكتب القائم بعشر

آيات من الغافلين، ويكتب من قام بمائة آية من القانتين، ويكتب من قام بألف آية من أصحاب القناطر من ثواب الله.

- وتربية الروح عن طريق قيام الليل، وسيلة مشروعة قادرة بإذن الله على

صفية الروح من شوائبها، وما يعلق بها من أدران.

- وما يرى الروح أفضل من أن يضع الإنسان نفسه بحيث يكون الله تعالى

أقرب ما يكون منه، فقد روى الترمذى والنسائى بسنديهما عن عمرو بن عبسة

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أقرب ما يكون الرب من العبد في

جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة

فكن».

- وليس يرى الروح وينقى القلب مثل قيام الليل وما يحفل به قيام الليل

من ذكر وتلاوة وتهجد ودعاء وقرب بذلك من الله، وقرب من الله للقائم في

جوف الليل.

* ولقد دأب بعض الصالحين في عصرنا هذا على أن يحيوا سنة قيام الليل

متعبدين، يملأون ليلهم بالذكر والتلاوة والصلاة ويستمرّون في ذلك إلى قبيل

صلاة الفجر - السحر - وعندئذ يقبلون على الله بالدعاء وطلب النصر، ثم

يصلون فريضة الصبح ويقرأون البورد، ثم ينصرفون إلى أعمالهم^(١).

(١) هذا ما تسميه جماعة الإخوان المسلمين بالكتيبة، وهي إحدى الوسائل للتربية، وانظر للمؤلف :

وسائل التربية عند الإخوان المسلمين - نشر دار الوفاء بمصر ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

* وفي ختام الحديث عن تربية الروح بقيام الليل أقول :

إن قيام الليل من أفضل أعمال الخير والبر لو خلصت النية وحسن التوجه
بذلك إلى الله تعالى وحده.

وهو يضيء على صاحبه رضا ورحابة صدر ورجاحة عقل، وإثارة للعمل من
أجل الإسلام في هدوء وسكينة وبعد عن الشهوات والترهات.

ولا أبالغ إن قلت : إن قيام الليل يضيء على صاحبه بهاء وتقبلا عن الناس.

اللهم اجعلنا من الصوامين القوامين.

سابعا : زيارة القبور

زيارة القبور مستحبة، وهي سنة عن رسول الله ﷺ، وما يسرّ رسول الله ﷺ للمسلمين قولاً أو عملاً إلا إذا كان مفيداً لهم محققاً لمصالح الدين والدنيا.

– فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾^(١).

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم».

* هذا شأن كل سنة سنّها النبى ﷺ، ومن هذه السنن زيارة القبور.

ونستطيع أن نجد فى زيارة القبور فوائد جليّة للمسلم فى دينه ودنياه، نذكر منها ما يلى :

– أنها تذكر الإنسان بالموت،

– وأنها تذكر بالآخرة وتزهد فى الدنيا،

– وأنها عبرة وعظة للمؤمن.

* وسوف نذكر الأحاديث النبوية الشريفة التى دلت على ذلك أو أشارت

إليه، ومن ذلك :

– ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : زار النبى

(١) سورة الأحزاب : ٢١.

ﷺ قبر أمه، فبكى، وأبكى من حوله، فقال : «استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكروا الموت».

* وتذكر الموت تربية للإنسان، إذ الإنسان بحكم فطرته ومطالب جسده يتعلق بأسباب الحياة الدنيا وما فيها، ويتقبل على ما يشبع له هذه المطالب والرغبات، ويبذل في سبيل الحصول على هذه الرغبات معظم وقته وجهده، ووسط هذا الجهد ومع هذا التعلق ينسى الآخرة وينسى الحساب وما يترتب عليه، فإذا زار قبراً فإنه يتذكر الموت، ويفيق على أن ذلك مصيره، ومصير كل حي، فعندئذ يقلل من رغبته ويهذب من حاجاته، وينفق من وقته وجهده لما بعد الموت، ويقل تكاليفه على رغبات الحياة الدنيا.

* إن زيارة القبور تجعل الإنسان يفكر فيما بعد الموت فيستعد له بالعمل الصالح، ويتذكر ما عند الله يوم القيامة فيصرف همه في أن يستنقذ نفسه من عذاب النار، وعندئذ يلوم نفسه على كل تقصير وتفريط في جنب الله.

- روى الإمام أحمد بسنده، والترمذي وابن ماجه والحاكم بأسانيدهم عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى».

* إن زيارة القبور تذكّر الإنسان بالموت، والموت من أكبر الحقائق التي تنتهي إليها حياة الإنسان، وقد خلق الله تبارك وتعالى الموت والحياة كليهما ليختبر الإنسان ويرى إن كان من أصحاب العمل الصالح في الدنيا، ليجزى عليه الجزاء الحسن في الآخرة، أو كان من الغافلين، قال الله تعالى : «الذى خلق الموت

والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور»^(١).

وقال جل شأنه : «كل نفس ذائقة الموت، ونبلوكم باخير والشر فتنة والينا ترجعون»^(٢).

* وأما أن زيارة القبور تذكر بالآخرة وتزهد في الدنيا، فتلك حقيقة يشعر بها كل من زار قبرا.

ولقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ . روى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة».

- أما أن زيارة القبور تزهد في الدنيا، فلما تحدثه تلك الزيارة في النفس والقلب والعقل من اقتناع بأن التعلق الزائد بالدنيا غفلة وضلال، وأن تناول أسباب الدنيا وأعراضها يجب أن يكون في حدود شرع الله، وشرع الله تعالى يعلمنا أن نقبل على الدنيا ونعيمها بحساب ولا نوغل في الإقبال عليها. كما أن شرع الله لا يبيح لنا أن نهمل كل أسباب الحياة وما فيها من نعم وزينة، ونعيش على هامشها - كما ضل في ذلك من لبسوا المرقعات وعاشوا في الخلوات وطلقوا الدنيا وأسبابها - فلقد تحدث القرآن مستذكرا على هؤلاء الذين يدعون إلى أن يحرم الإنسان نفسه من طيبات الحياة الدنيا باسم الزهد، فقال جل شأنه : «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الزرق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون، قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها

(١) سورة الملك : ٢.

(٢) سورة الأنبياء : ٣٥.

وما بطن والإثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»^(١). ففي هذه الآيات تتضح حقيقة الزهد
المشروع، ومدى الإقبال على الدنيا.

إن زيارة القبور تطلع الإنسان على مصيره، وتريه رأى العين ما يكون غافلا
عنه، فيجد ويجتهد وينشط إلى عمل الصالحات.

- وأما أن زيارة القبور تذكر بالآخرة، فتلك حقيقة أيضا بل من أكبر
الحقائق كذلك، وذلك أن آخرة كل منا تبدأ يوم يموت، والموت أقرب إلينا من
أى عارض آخر وألصق به وهو مدركه لا محالة، ولا يستطيع أحد أن يجد منه
مهربا، قال الله تعالى: «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج
مشيدة...»^(٢).

وزيارة القبر تذكر بالآخرة لأنها تذكر بالموت، وتذكر الآخرة وما فيها من
حساب وثواب وعقاب، وأهوال وزحام وعناء.

ومن تذكر ذلك، فكر فى أن يعمل لهذا اليوم العظيم، حتى يكون من
الناجين فيه.

- روى الترمذى بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن
لم ينج منه، فما بعده أشد منه».

- وروى الحاكم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات والمهلكات، وأهل المعروف فى

(١) سورة الأعراف: ٣١ - ٣٣.

(٢) سورة النساء: ٧٨.

الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة».

- وروى الحاكم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها ترقى القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً».

* ومن تذكر الآخرة جعلها همه ومن كانت الآخرة همه أغناه الله وجمع شمله وأعطاه من نعم الدنيا ما يشاء . فقد روى الترمذي بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له».

* وأما أن زيارة القبور عبرة وعظة، فإنها في الحق أكبر عبرة وأعظم عظة لمن فكر وتدبر، وكان له قلب أو ألقى النظر إلى ما يرى وهو يزور القبر . أكدت ذلك أحاديث النبي ﷺ .

- روى أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة».

* والعبرة إنما تكون بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، والذين يستفيدون من العبر ويتعظون إنما هم أولوا الأبصار، وأهل الكياسة والعقل والفطنة.

- روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت» بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصال فقال : يا نبي الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : «أكثرهم ذكراً للموت».

وأكثرهم استعداداً للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة.

- وروى ابن ماجه بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بلّ الثرى، ثم قال: يا إخواني : «مثل هذا فأعدوا»

- وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

وفى رواية للترمذى أن كلمة ابن عمر هذه هى من قول الرسول ﷺ.

* زيارة القبور إذن تربي الروح وتبصرها بحقائق الحياة والموت، وتثير فيها الرغبة فى العمل الصالح، وتذكرها بالموت، وباليوم الآخر، وتجعلها تزن الدنيا بميزانها الصحيح وتضع أمامها أكبر العظات وأعظم العبر.

* ومن أجل هذا تخرص التربية الإسلامية على أن تربي المسلم تربية عملية بزيارة القبور.

وبعد : فإن هذه الوسائل السبعة التى ذكرنا فى تربية الروح تربية عملية وهى : أداء الفرائض،

والإكثار من النوافل،

وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

والوصول بالعمل إلى منزلة الإحسان،

وممارسة أعمال الدعوة إلى الله،
وممارسة الاجتماع على ذكر الله بقيام الليل،

وزيارة القبور .

كل هذه الوسائل إذا مارسها الإنسان ممارسة عملية صفت روحه وشفقت،
فازدادت بذلك من الله قربا، وأقبلت بهذه الوسائل على الله عابدة خاشعة
ضارعة، مخلصه عملها كله لله، فوصلت بذلك إلى منزلة الرضا المتبادل بين
العبد وربه، وهى أعلى منزلة يمكن أن يصل إليها الإنسان فى الدنيا والآخرة،
وقد وصف الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنهم خير
الخلق، وأن جزاءهم عند الله هو خير الجزاء، لأن الله تعالى رضى عنهم ولأنهم
رضوا عنه، وكان ذلك نتيجة لخشيتهم لله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ،
جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾^(١) .

(١) سورة البقرة : ٧ - ٨ .

٣ - والتزام سمت المؤمنين

تحاول التربية الإسلامية - وهى تصقل الروح والقلب - أن تجعل ذلك منعكسا على شخصية المسلم، فيصبح لها سمت المؤمن فى ظاهره الذى يراه الناس، وفى باطنه الذى يطلع عليه الله تبارك وتعالى، ويعرفه الإنسان من نفسه.

* والمؤمن مطالب بأن يكون سمته الظاهر سمت المؤمنين وبأن يكون باطنه نقيا نظيفا من شوائب النفاق والرياء وكل ما يفضب الله تبارك وتعالى.

* وظاهر المؤمن الذى يميزه عن غيره من الناس يتمثل فى صفات عديدة يجب أن يتحلى بها المسلم، وصفات أخرى يجب أن يتخلى عنها؛ وصفات يجب أن يتطلع إلى الانتصاف بها دائما، ومن مجموع ذلك يتجلى سمت المؤمن.

- ومجمل القول فى هذه الصفات التى يجب أن يتحلى بها هى الصفات التى وصف بها المؤمنون المتقون عباد الرحمن فى القرآن الكريم، وما تطبيقه بشرته من الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه فى القرآن الكريم أو فى سنة النبى ﷺ.

- ومجمل الصفات التى يجب أن يتخلى عنها المؤمن هى الصفات التى وصف الله بها المشركين والكافرين والمنافقين والفاسقين والفجار.

- ومجمل الصفات التى يجب أن يتطلع إليها المؤمن ليتحلى بها هى صفات النبى ﷺ وأخلاقه الكريمة^(١).

* من توفرت له هذه الصفات تحليا وتخليا وتطلعا ، فقد استوفى سمت المؤمن.

(١) من أحسن الكتب فى ذلك كتاب : « أخلاق النبى ، لأصبهاني.

* وسمات المؤمن أو صفاته الظاهرة تتمثل فيما يلي :

- في كلامه :

لأن الكلمة التي ينطقها المؤمن لها وزنها، وهو محاسب عليها، ولها في الإسلام شروط وآداب^(١).

فالمؤمن لا يتكلم إلا بطيب الكلام وأرفقه بالناس، ولا يتكلم إلا أن تكون هناك للكلام حاجة، وإذا تكلم أسمع بغير ازعاج، وأقنع بغير رغبة في غلبة الخصم أو السامع، واستعان على تقبل كلامه عند الناس بما يحفظ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأعاد ما يتكلم به ليؤكد به ويذكر به، ولخصه ليعين السامع على حفظه.

* وخير كلام المؤمن أن يكون دعوة إلى الله ومقرونا بالعمل الصالح، قال الله تعالى : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾^(٢).

* وكلام المؤمن يجب أن يخلو من الفحش والبذاء .

- روى الترمذى بسنده عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : حدثني بأمر اعتصم به، قال : «قل ربى الله ثم استقم» قلت : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : « هذا ».

- وروى الترمذى بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال : «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك».

- وروى البيهقي بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال

(١) سنن هذا بإذن الله في كتابنا: «التربية الخلقية» من هذه السلسلة.

(٢) سورة فصلت : ٣٣.

رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل ، فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله ».

* والمؤمن في كلامه يتمثل منطق رسول الله ﷺ وكلامه فلا يثرثر ولا يتشدق ولا يتفاصح ، فقد روى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة : الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفهبون » قالوا يا رسول الله ما المتفهبون ؟ قال : « المتكبرون ».

- وفي صمته :

وذلك أن للمؤمن سمنا وهو صامت ، إذ ينبغي أن يكون هذا الصمت للتفكير والاعتبار ، والتأمل في مخلوقات الله تعالى ، لأخذ العظة والعبرة من عظيم صنع الله فيها وجليل حكمته سبحانه في خلقها ، فقد قال تعالى : « يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار »^(١).

* والأصل في المؤمن أن يقول خيرا أو يسكت .

روى النسائي بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت ».

- وللمؤمن سمت في طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه بحيث يتجنب في كل ذلك الإسراف والمخيلة ويتناوله بقصد واعتدال .

- وللمؤمن سمت في مشيته وحركته وسكونه ، بحيث لا يتجلى عن وقار

(١) سورة النور : ٤٤ .

المسلم ولو كان ساعيا إلى المسجد للصلاة.

- وللمؤمن سمت في تعامله مع أهله وأبنائه وأقاربه وأرحامه، وأصدقائه وجيرانه، وكل ذلك يجب أن يكون معه الإحسان وتقوى الله تبارك وتعالى.

- وللمؤمن سمت في تعامله مع أصدقائه وجيرانه، وفي تعامله مع غير المسلمين من أهل الكتاب أو سواهم، وكل ذلك مقيد بشروط وآداب أوضحتها شريعة الله.

- وللمؤمن سمت في التعامل مع الناس أثناء رضاه وغضبه ومخاصمته لسواه، بحيث لا يبالغ في ذلك ولا يخرج به عن الحق الذي شرعه الإسلام.

* كل ذلك له سمت خاص به أوضحتها السنة النبوية الشريفة، وعلى المسلم أن يحرص عليه، حتى يحرز سمات المؤمنين الصالحين إن شاء الله.

* وسمات المؤمن الباطنة، فلا يعلم حقيقتها إلا الله، والمؤمن أمين على هذا الباطن ينبغي أن يجعله دائما نقيا صافيا، لا يختلف عن الظاهر الملتزم بشروط الإسلام وأدابه، وهدى النبي ﷺ وتوصياته، في السنة والسيرة النبوية. «
- ولأن هذه السمات باطنة لا يطلع عليها إلا الله تبارك وتعالى، كانت مرتبطة بالإخلاص.

- والإخلاص هو التبرى من كل من دون الله تعالى، لا يكون ذلك إلا إذا كان المؤمن لا يطلب بعمله أن يتزين به أمام الناس ليمدحوه أو يشنوا عليه، أو ينفعوه.
والعمل الخالص ما كان لله بشرط أن يكون صوابا أى موافقا لسنة النبي ﷺ.

والأصل أن يكون الباطن أعمر من الظاهر.

- وقد تضافرت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة نقاء الباطن وخلوص النوايا التي لا يطلع عليها أحد إلا الله تبارك وتعالى، ومن ذلك ما نذكر بعضه فيما يلي:

* روى البخارى بسنده عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».
* وروى الطبراني بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملا نار في قلبه نور».

* وروى الحاكم بسنده في تاريخه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى
الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا
بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سِرِّيَّتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ».

وبعد هذه المقدمة في توضيح سمت المؤمنين الذى هو من صميم تربية
الروح، فإن علينا أن نحدد لهذا السمت مفردات تدل عليه.
وذلك ما سنحاول في الصفحات التالية، والله المستعان.

أهم الصفات في سَمَتِ المؤمنين

إن روح المؤمن التي تربي تربية إسلامية لها صفات خاصة أحصيت منها هنا سبع صفات هي أبرزها فيما أتصور وهي:

- إحساس هذه الروح بوجود الله تعالى،

- وشعورها بمراقبته سبحانه لها،

- ومراقبتها هي الله تبارك وتعالى،

- والإقبال عليه بالنوافل،

- وحب الخير للناس وحب الناس،

- والثقة في استجابة الله لدعواتها،

- والرضا بقضاي الله وقدره.

ولتأصيل هذه الصفات بربطها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتوضيح أثر الانصاف بها في حياة الفرد والمجتمع، نحاول أن نؤكد ذلك في هذه الصفحات، والله تعالى هو المستعان.

وتحقيق هذه الصفات في روح الإنسان هو التربية الروحية التي تعنى على وجه الإجمال صقل هذه الروح وإزالة العوائق والشوائب التي قد تصيبها بالصدأ والفساد.

ولا يرى الروح تربية إسلامية مثل توثيق صلتها بالله تعالى عن طريق تحقيق هذه الصفات فيها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أولاً: قوة الإحساس بوجود الله تعالى

الإحساس بوجود الله تبارك وتعالى فطرة في الإنسان، وتقوية هذا الإحساس بوجوده سبحانه هو من التربية لروحه ووضعها على بداية طريق الحق والهدى.

والأصل في هذه القضية أن الإنسان قد أمر أن يعبد الله على وفق ما شرع الله له من منهج يتناول بالتنظيم كل أموره في الاعتقاد والعبادة والعمل.

ومادام الأمر كذلك فإن الإنسان عليه أن يؤدي هذا الواجب على وجهه وعلى أكمل صورته إذا كانت صلته بالله تعالى قوية ووثيقة، ولاشئ في حياة الإنسان يعدل عبادته لربه سبحانه وتعالى، لأن الله تبارك وتعالى خلقه ليعبده فقال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

ولاتكون العبادة خالصة له سبحانه إلا إذا قوى إحساس الروح بوجوده جل وعلا، وتعمقت صلة هذه الروح بخالقها سبحانه، واستمرت هذه الصلة بالله قوة تعلق على كل صلة له بالناس والحياة، إلى أن يخرج من هذه الحياة بأمر الله كما قد كان دخلها بأمره..

هدف التربية الإسلامية تقوية الإحساس بوجود الله تعالى طاعة له سبحانه وتجاوزاً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فكيف يقوى الإحساس بوجود الله تعالى؟

وما التأصيل الشرعى لوجوب أن يقوى هذا الإحساس؟

هذا ما نحاول الإجابة عنه ليتضح لنا موضوع «قوة الإحساس بوجود الله تعالى».

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

[١] كيف يقوّد الإحساس بوجود الله تعالى؟

في البداية أقول:

إن الإحساس بوجود الله تعالى ضروري لأمر جوهري في حياة المسلم وهي:

* صحة الإيمان،

وسلامة الإسلام،

والأخذ عن الله والتلقى عنه وحده.

كيف يصح الإيمان ويخلو من الشوائب والثرهات والأباطيل إذا لم يكن الإحساس بوجود الله تعالى قويا؟

أليس الله تعالى هو المكلف من خلال ما أنزل على رسوله ﷺ من أمر ونهي؟ ومالم يحس الإنسان بوجوده سبحانه فعلام الامتثال؟ ولماذا قبول التكليف؟ بل كيف يسوغ التكليف؟

ولابد أن أتبه بدءاً إلى أن الإحساس القوي بوجود الله ليس هو عدم إنكار وجوده، لأن الحقيقة أن أحداً من العقلاء لا ينكر وجوده حتى الذين أشركوا وعبدوا الأوثان، ولم يلقوا عن الله منهجا، وإنما أخذوا مناهجهم من طواغيت، حتى هؤلاء لم ينكروا وجود الله ولا أنكروا أنهم يتقربون إليه بهذه المعبودات من دونه قال الله تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(١).

* بل إن هؤلاء المشركين لم ينكروا أن الله تبارك وتعالى هو خالق السموات والأرض، وخالقهم هم. قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات

(١) سورة الزمر: ٢٠

والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يوفكون^(١) وقال جل شأنه:
«ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله، فأنى يوفكون»^(٢).

* ليس الإحساس القوى بوجود الله هو عدم إنكار وجوده، لأن الناس جميعاً مؤمنين وكافرين ومشركين لا ينكرون وجوده، إلا قلة ضئيلة لا يؤبه لها من طمست بصائرهم وضلت عقولهم، وهم قلة لا يؤبه لها في فترة من فترات التاريخ، كانوا يشبهون الشيوعيين الذين انهاروا في عصرنا هذا!!

* وربما كان الإقرار بوجود الله تعالى لا يترتب عليه عند بعضهم عبادته وحده، وإنما يعبدون معه إلهاً أو آلهة غيره، وليس شرطاً أن يكون الإقرار بوجوده سبحانه مترتباً عليه توجيه لسلوك، ولا التزام بطاعة ولا إلزام بالتلقى عنه وحده، ولا يوجب اتباعاً لآخر مناهجه الذى أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ.

وإنما الذى يؤدى إلى ذلك كله ويلزم به هو الإحساس بوجود الله تبارك وتعالى، بل قوة الإحساس بوجوده سبحانه فى كل حين، وعلى كل حال.

* ومن أجل هذا كان من صميم تربية الروح فى الإسلام أن يتعمق إحساس هذه الروح بوجود الله تعالى، وجوداً مرتبطاً بذاته وأسمائه وصفاته، كما عرّف هو بذاته وكما ذكر أسمائه وصفاته دون تجاوز فيها بالزيادة أو بالنقصان.

* ومعنى ذلك أن تحس روح المؤمن إحساساً عميقاً بوجود الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، الواحد الأحد القادر العالم المريد السميع البصير الذى ليس كمثله شئ، وبكل اسم من أسمائه أو صفة من صفاته.

(١) سورة العنكبوت: ٦١.

(٢) ورة الزخرف: ٨٧.

- ولنضرب على ذلك مثالا يتضح به الحال والمقام:

صفة قدرة الله تعالى

* عندما يتدبر الإنسان فيها، وفيما توحى به وتدل عليه، ويتأملها في كلمات القرآن الكريم حيث وردت في تسع وخمسين آية كريمة وصف الله تعالى فيها نفسه بأنه ذو قدرة كقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) وقوله جل شأنه:

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) وقوله سبحانه:

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٣).

* عندما يتدبر الإنسان في هذه الآيات الكريمة، توحى إليه، بل تعلمه أن يتوكل على الله وأن يلتجئ إليه، فيزيده ذلك إيمانا بالله واعتمادا عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٤). ومن زاد إيمانه وتوكل على ربه سبحانه أحسن بوجوده وبالحاجة إليه، في كل موقف يقفه من الناس والأشياء، ويتعلم أن ما أنعم الله به عليه من قدرة محدودة هي من فيض قدرته، سبحانه تلك القدرة المطلقة.

* إن التأمل في كل صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وفي كل اسم من أسمائه والشعور بالاحتياج إلى مدده في كل مجال من مجالات الحياة، هو الذي يملأ النفس إحساسا بوجوده، ويوقظ الروح على هذه الحقيقة الكبرى، وينبعث فيها الراحة والأطمئنان والرضى، والشوق إلى لقاء الخالق البارئ المصور

سبحانه وتعالى.

(١) سورة البقرة: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: ٢٩.

(٣) سورة الروم: ٥٤.

(٤) سورة الأنفال: ٢.

* ولا يربى الروح مثل تدبير صفات الله تعالى في مخلوقاته من خلال كتابه الكريم؟ وعلى سبيل المثال فإن التدبير في قوله تعالى: «إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت، ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى توفكون، فائق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون، وهو الذى أنشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعناب والزيتون والرومان مشتبهها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»^(١).

[ب] التأسيس الشرعي لوجوب قوة الإحساس بوجود الله تعالى

إن التدبير في هذه الآيات وحدها -مع أن أمثالها في القرآن الكريم كثير- يملأ النفس إحساسا عميقا بوجود الله تعالى من خلال ما يشاهد الإنسان من مظاهر قدرته تعالى:
ولنتدبر ما يلي:

١ - فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي. من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى فلقه الحب والنوى، والجنين في كل مكان منها يشغل حيزا ضيقا منها.

(١) سورة الأنفال: ٢.
(٢) سورة الأنعام: ٩٥-٩٩.

* أما باقى جسم الحبة أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية، وعندما يتنبه الجنين ويبدأ فى الإنبات تتحول هذه المواد المكتنزة إلى حالة صالحة لتغذية الجنين ويبدأ فى النمو، وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحبة الثانية من طور الإنبات إلى طور البادرة، فيبدأ النبات فى الاعتماد على غذائه من الأملاح المذابة فى ماء التربة التى يمتصها الجذير، مع تكون الأوراق الخضراء من مواد وكربوايدراتية كالسكريات والنشويات فى وجود ضوء الشمس، وعندما تتم دورة حيات النبات تتكون الثمار ويدخلها الحب والنوى من جديد.

وتلك هى دورة الحياة والموت، وهى معجزة الكون وسر الحياة نفسها، والسمات الرئيسة فى هذه الدورة هى:

* أن الماء «وثانى أكسيد الكربون» و«التروجين» والأملاح غير العضوية فى التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وأنواع معينة من البكتريا إلى مواد عضوية هى مادة الحياة فى النبات والحيوان.

أما فى الشق الثانى من هذه الدورة فتعود هذه المواد إلى عالم الموت فى صورة نفايات الأحياء ونواجى أيضا وتنفسها.

* ثم فى صورة أجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لعوامل التحلل «البكتيرى» والكيمائى التى تحيلها إلى مواد غير عضوية بسيطة مهيأة للدخول فى دورة جديدة من دورات الحياة. وهكذا فى كل لحظة من الزمان يخرج الخالق القدير حياة من الموت، وموتنا من الحياة، وهذه الدورة المتكررة لاتتم إلا فى وجود كائن أودعه الله سر الحياة كبذرة النبات مثلاً.

* والآية الكريمة تذكر بالمعجزة الأولى وهى خلق الحياة من مادة الأرض الميتة، ثم تكرار الدورة.. وهكذا جاء إخراج الحى من الميت سابقاً لإخراج الميت من الحى، وهذا هو الإعجاز بعينه.

* ولنتدبر قوله تعالى في هذه الآيات:

٢ - «فالق الإصباح وجعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم»..

* فقدره الله تبارك وتعالى تشق غبش الصبح بضوء النهار، ليسعى الأحياء إلى تحصيل أسباب حياتهم، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس، وجعل الله تعالى سير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس موافقت عباداتهم ومعاملاتهم.

* فالقمر يعكس ضوء الشمس نحو الأرض من أجزاء سطحه المرئية والمضيئة فتظهر الأهلة. فإذا كان القمر في الاقتران -أي بين الشمس والأرض- فهو في المحاق، ويبدأ ميلاد الهلال الجديد لجميع سكان الأرض، وإذا كان في الاستقبال أي الجهة المقابلة للشمس بالنسبة للأرض يظهر بدرًا ثم يأخذ في التناقص حتى الاقتران الثاني، وتتم الدورة الاقترانية أي الشهر العربي... ودورة القمر هي التي علمت الناس حساب الشهور.. ودورة الشمس هي التي علمت الناس حساب الأيام والسنين.

ولنتدبر قوله تعالى:

٣ - «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون».

«فقد كانت الأجرام السماوية منذ فجر حضارات البشر هي المعالم التي يهتدى بها الإنسان في سفره برًا وبحرًا، ويستفاد من رصد الشمس والقمر والنجوم الثوابت على الأخص في تعيين موقع المسافر وتحديد اتجاه غايته، ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والجوية فنانًا دقيقًا يعتمد عليه، وذلك

باستخدام آلة السدس وما إليها وبالرجوع إلى الجداول الخاصة بذلك، بل إن رجال الفضاء في الآونة الأخيرة قد استعانوا بالشمس والنجوم في تحديد اتجاهاتهم في بعض مراحل أسفارهم.

وتستخدم بعض مجموعات النجوم كذلك في تحديد الزمن، مثل مجموعة الدب الأكبر، وبذلك تم تعرف الإنسان على المكان والزمان بالنجوم، كما تقرر الآية الكريمة على أوسع معنى.

ولنتدبر في قوله تعالى:

٤ - «وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعتاب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون».

توضح هذه الآية الكريمة فى النباتات كيفية خلق تلك الثمار وكيف نشأت، ونمت فى أطوارها المختلفة، حتى وصلت إلى طور نضجها الكامل بما تحويه من مركبات مختلفة من السكريات والزيوت و«البروتينات» والمواد الكربوهيدراتية والنشويات، كل هذا يتكون فى وجود الشمس عن طريق المادة الخضراء مادة اليخضور التي توجد عادة فى المجموع الخضري للنباتات وخاصة الأوراق، فهى المصنع الذى تتكون فيه تلك المركبات ومنها توزع على باقى أجزاء النبات بما فيها البذور والثمار، علاوة على أن الآية الكريمة تقطع بأن ماء المطر هو المصدر الوحيد للماء العذب على الأرض، وطاقة الشمس هى مصدر طاقات الأحياء جميعا.

* ولكن النباتات هى التى تستطيع اختزان طاقة الشمس بوساطة مادة

اليخضور، وتسلمها للإنسان والحيوان في المواد الغذائية العضوية التي كونتها.

* وقد كشف العلم عن حقيقة باهرة تدل على وحدة الخالق وهي أن مادة «الهيموجلوبين» اللازمة لتنفس الإنسان وكثير من أنواع الحيوان وثيقة الصلة بمادة اليخضور، فذرات «الكربون» و«الأيدروجين» و«الأكسوجين» و«التروجين» تكتنف ذرة الحديد في جزيء «الهيموجلوبين» بينما هي بنفسها تكتنف ذرة «المغنيسيوم» في جزيء اليخضور.

كما أنه قد اتضح من البحوث الطبية أن مادة اليخضور عندما يتمثلها جسم الإنسان تندمج في خلاياه فتقويها وتساعد على القضاء على جراثيم الأمراض، فتتيح لأنسجة الجسم فرصة الدفاع ومكافحة الأمراض.

ولتدبر قوله تعالى:

هـ - «يأيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فلإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج»^(١).

فالآية الكريمة تقول للناس: إن كنتم في شك من بعثنا لكم بعد الموت ففى خلقكم الدليل على قدرتنا على البعث، فقد خلقناكم - أى خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام - من تراب، ثم جعلنا منه نطفة حولناها بعد مدة إلى قطعة دم متجمدة، ثم جعلناها قطعة من اللحم مصورة فيها معالم الإنسان، أو

(١) سورة الحج: ٥.

غير مصورة لنبيين لكم قدرتنا على الإبداع والتدرج في التكوين، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم نرعاكم لتبلغوا تمام العقل والقوة، ومنكم بعد ذلك من يتوفاه الله، ومنكم من يمد له عمره حتى يصير إلى الهرم والخرف فيتوقف علمه وإدراكه للأشياء.

ومن بدأ خلقكم بهذه الصورة لانعجزه إعادتكم.

وهناك أمر آخر يدل على قدرة الله على البعث، وذلك أنك أيها الإنسان ترى الأرض قاحلة يابسة، فإذا أنزلنا عليها الماء دب فيها الحياة وتحركت وزادت وارتفع سطحها بما تخلله من الماء والهواء، وأظهرت من أصناف النباتات ما يروق منظره ويبهج حسنه ويتهيج المرء لرؤياه.

* تلك الآيات الخمس التي ذكرنا، وغيرها في القرآن الكريم كثير، تؤصل بالدليل الشرعي وجوب الإحساس بوجود الله تعالى، بل قوة الإحساس بوجوده سبحانه وتعالى، عند تأمل الإنسان لأي مفردة من مفردات الكون الذي يعيش فيه.

* ومن قوى إحساسه بوجود الله تعالى صفت روحه وامتلاء قلبه إيماناً، وتخلص عقله من شوائب الشرك والكفر والضلال، واستقامت حياته على المنهج الذي كلف الله به عباده، فحصل بذلك على سعادة الدنيا والآخرة.

وما النتيجة لهذا الإحساس القوي بوجود الله؟

إن التربية الإسلامية للروح على هذا النحو من قوة الإحساس بوجود الله تعالى تجعل الإنسان لا يتلقى عن غير الله سبحانه ولا يخضع إلا له، ولا يرضى بمنهجه - الذي أتمه وأكمله وأنزله على خاتم رسله محمد ﷺ - بديلاً.

* إن هذا التلقى عن الله وحده دليل على صدق إحساسه القوي بوجود الله تعالى، وعلى تذكره الدائم لله ومنهجه. ومالم يفعل ذلك، فإن الله تبارك وتعالى يصفه بأنه عندئذ يكون قد ظلم نفسه إذ حاد بها عن الحق وعن الهدى، ونسى أو تناسى ما يحيط به من الدلائل والبيّنات، ومثل هذا لا تفلح فيه آيات ولا بينات قال الله تعالى:

«ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقرا، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبدا»^(١).

* وكل هذه الآيات التي تعمق الإحساس بوجود الله تعالى من يتجاهلها أو يتناساها يعرض نفسه للفتنة إذ يحيطه الله تعالى بهذه النعم فلا يتعظ ولا يستجيب، فإذا هو موضع لعذاب الله وعقابه، قال الله تعالى:

«فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين»^(٢).

* ومن ألهمته نعم الله عليه عن الإحساس بوجوده والإيمان به كان من المستدرجين، فقد روى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي بأسانيدهم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الله تعالى يعطى العباد ما يشاءون، على معاصيهم فإنما ذلك استدراج لهم».

* ومن أعرض عن الله تبارك وتعالى وعن ذكره ومنهجه وأدلته وبراهينه،

(١) سورة الكهف: ٥٧.

(٢) سورة الأنعام: ٤٤ - ٤٥.

توعده الله تعالى بعقوبات ثلاث، فقد روى عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «عقوبة المعصية ثلاثة: ضيق المعيشة، والعسر في الشدة، وأن لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله تعالى»^(١).

وقد قال الله تعالى يتوعد هذا المعرض الناس بعقوبتين إحداهما دنيوية والأخرى أخروية:

«ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حسرتي أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى»^(٢).

والضنك: الضيق والشدة،

والعمى: سقوط الحجة،

وتنسى: أى عاملناك معاملة من ينساك ليكون الجزاء من جنس العمل.

وعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، ولذلك قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة».

وبعد:

فتلك نتيجة الإحساس القوى بوجود الله تبارك وتعالى وهي التلقى عنه وحده سبحانه وتعالى، والروح التي تربى على ذلك تسعد في الدنيا والآخرة.

(١) ذكر ذلك الحديث فخر الدين الرازي في التفسير الكبير: ١١٣/٢٢ مرجع سابق.
(٢) سورة طه: ١٢٦ - ١٢٩.

ثانيا: الشعور بمراقبة الله تعالى للناس

إن الروح عندما تشعر بمراقبة الله تعالى لها، تستقيم على صراطه وتسعد بطاعته وتستبشر برضاه ومغفرته.

* وقد خلق الله تعالى هذه الروح وطالب عبده بأن يركبها، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١).

- والفلاح: الظفر وإدراك البغية، في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة وهي:

البقاء،

والغنى،

والعز،

والعلم.

وفي الآخرة: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل.

وفي ذلك كله فلاح الروح بقربها من الله، وهذا القرب يستدعي أن تشعر هذه الروح بمراقبة الله تعالى لها.

- وزكّاها: أى طهرها بالطاعات وعمل الخير، بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والثوبة.

- وقد خسر من أخفى فضائل نفسه وأمات استعدادها للخير.

(١) سورة الشمس: ٩ - ١٠.

[أ] معنك مراقبة الله تعالى لنا

* ومراقبة الله تعالى لنا - فيما نقول وفيما نعمل - تعني أنه سبحانه وتعالى، قد أوضح لنا من خلال المنهج ما نقول وما نفعل، ويسر لنا معرفة الشروط والآداب لكل قول وعمل، بأن أرسل إلينا الرسول الخاتم ﷺ ليفصل لنا المنهج، ثم أعطانا الله تعالى الحرية والإرادة في أن نطيع أو نعصى، ثم أخذ يراقبنا ليحاسبنا على ما قدمنا من قول أو عمل، ثم يجازينا على الخير خيرا وعلى الشر بمثله.

* ومراقبة الله تعالى لنا تعني حبه لنا وحرصه على خيرنا في الدنيا والآخرة، إذ لو تركنا دون مراقبة ومتابعة، فإن أرواحنا تغفل أو تفتقر، وتبتعد عن التزكية وتهمل الأخذ بالمنهج، فمن رحمته بنا أنه يراقبنا للالتزم.

* والذي يشعر بمراقبة الله تعالى يحاسب نفسه أولا بأول، ويلزم نفسه بما يجب أن يلتزم به من أمر ونهي، بحيث يستعمل أعضائه السبعة:

- العين،

- والأذن،

- واللسان،

- والبطن،

- والفرج،

- واليد،

- والرجل.

يستعملها جميعا فيما أحل الله أو أمر، ويمنعها جميعا عما حرم الله أو منع.

ومن معاني مراقبة الله تعالى لنا، أن يجعلنا أهلاً لذكره والعمل بمنهجه، وعلى استحياء أو خوف من أن يرانا على غير ذلك.

والمعيار الذي يصحح للمسلم عمله دائماً هو أن يسأل نفسه تلك الأسئلة التي سنذكر بعد قليل، ويحاول أن تكون إجابته عليها مرضية لله، فإنه بذلك يصحح عمله.

وهذه الأسئلة هي:

- لماذا أقوم بهذا العمل؟

والإجابة يجب أن تكون: لأن الله أمر به أو ندب إليه.

- وهل أقوم بهذا العمل لله؟

والإجابة يجب أن تكون: نعم له لا لغيره.

- ولماذا أترك هذا العمل؟

والإجابة يجب أن تكون: لأن الله تعالى حرمه أو كره فيه.

- وهل أترك هذا العمل من أجل الله؟

والإجابة يجب أن تكون: نعم من أجله لا من أجل غيره.

- وكيف أقوم بهذا العمل؟

والإجابة يجب أن تكون: أقوم به على الكيفية التي شرعها عليها والقدر والكم الذي أمر به.

- وهل راعيت في القيام بالعمل شروطه وآدابه؟

والإجابة يجب أن تكون: نعم.

* ومن تصحيح العمل وتسديده ما جاء في السنة النبوية المطهرة عن الصفات التي يجب أن يكون عليها العمل ليستكمل الإنسان بها الإيمان، ما رواه الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه:

لا يخاف في الله لومة لائم،

ولا يرائي بشيء من عمله،

وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخرة والآخرة أثر الآخرة على الدنيا».

* إن توفر هذه الصفات الثلاثة في العمل دليل على أن الإنسان يشعر بأن الله تعالى يراقبه.

* ومن أصدق الضوابط للشعور بمراقبة الله تعالى لنا، أن يوقن الإنسان أن الله تعالى قد جعل لكل شيء قدرا، وجعل لكل شيء سببا، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، وأنه سبحانه قد وضع لكل قول أو صمت ولكل عمل أو ترك شروطا وآدابا، وأنه سبحانه يرضى عن عبده الطائع.

إذا أيقن الإنسان بهذه الحقائق جاء قوله وصمته وعمله وتركه موافقا لما شرط الله تعالى، ولما وضع من آداب، فكان ذلك من علامات شعوره بأن الله تبارك وتعالى يراقبه ويتابعه. وليكن رائده في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(١) فله تعالى في كل أمر حدود يجب أن تراعى وتلتزم فهو سبحانه الرقيب الحسيب المجازي.

* ومن معاني مراقبة الله تعالى لنا، أن يجد الإنسان نفسه ملزما بأن يتفقد

(١) سورة الطلاق: ٢.

كل أمور حياته، فلا يخرج بها عن فائدة تعود عليه في دينه أو دنياه أو كليهما.
- فقد روى الإمام أحمد بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول
الله ﷺ قال: «لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلاث:

- تزود لمعاد،

- أو مرمة لمعاش،

- أو لذة في غير محرم»

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وأخرجه الحاكم في مستدركه.

[ب] تأصيل هذه المراقبة بالنصوص الإسلامية

الآيات القرآنية الكريمة الدالة على أن الله تبارك وتعالى يراقبنا كثيرة نذكر
منها مايلي:

- قال الله تبارك وتعالى:

«ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»^(١).

- وقال جل شأنه:

«يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، والله يقضى بالحق والذين يدعون
من دونه لا يقضون بشيء»^(٢).

وقال عز من قائل :

«ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسي شيئا، وإن كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسين»^(٣).

(١) سورة ق: ١٨.

(٢) سورة غافر: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

وقال عز وجل:

﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور
حليم﴾^(١).

- وقال جل وعلا:

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله، وكفى
بالله حسيبا﴾^(٢).

- وقال سبحانه وتعالى:

﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما﴾^(٣).

- وقال الله تعالى:

﴿... واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾^(٤).

- وقال سبحانه:

﴿وكفى بالله حسيبا﴾^(٥).

- وقال عز من قائل:

﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾^(٦).

- وقال جل شأنه:

﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج

(١) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٤.

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) سورة النساء: ٦.

(٦) سورة النساء: ٨٦.

فيها وهو معكم أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير»^(١).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالة على هذا المعنى، وهى عشرات بل مئات، وحسبنا بالآيات التى تختم بقوله تعالى: «سميع» أو «بصير» أو «عليم». تلك آيات القرآن الكريم التى أصلت مراقبة الله لعباده. وأما الأحاديث النبوية الشريفة المؤصلة لمراقبة الله تعالى لعباده فأكثر من أن أحصيتها فى هذا الكتاب، ولكن أذكر منها مايلى:

- روى الترمذى والنسائى وابن ماجه بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيام من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة قال الرب: انظروا هل لعبدى من تطوع؟ فيكتمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك».

- وروى أحمد والطبرانى بسنديهما عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شىء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

- وروى النسائى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء».

- وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول

(١) سورة الحديد: ٤.

الله ﷻ: «نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال أين الأمة الأُمى نبيها،
فنحن الآخرون الأولون».

— وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن
ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه».

— وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى رضى الله قال: قال
رسول الله ﷻ: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا
غانبا، إنكم تدعون سميعا، قريبا وهو معكم».

— وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله
ﷻ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقال له: ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا
وولدا، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن
أنك ملاقى يومك هذا؟ فيقول: لا فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتي».

* وملاك المراقبة — أى شعور العبد بأن الله يراقبه — جاء فى الحديث
الصحيح الذى رواه أهل السنن وهو حديث تعليم جبريل عليه السلام لنا: ما
الإيمان وما الإسلام وما الإحسان، فقد جاء فيه عن الاحسان: «أن تعبد الله
كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

* والشعور بأن الله تعالى يراقبنا يحدث فى المؤمن نتائج بعينها، كلها خير له
بإذن الله تعالى، فما هذه النتائج.

[حـ] نتائج الشعور بمراقبة الله للناس

إذا شعر المؤمن بأن الله تبارك وتعالى يراقبه فإن ذلك يحدث فى نفسه نتائج

طيبة تحسب له بإذن الله تبارك وتعالى:

ومن هذه النتائج ما نشير إلى بعضه فيما يلي:

الأولى: الإخلاص:

ويقتضى الإخلاص تطهير الباطن والظاهر من الإنسان.

* فتطهير الباطن بطرد الشك والتردد، والنفاق والرياء، وكل رذيلة تخفى على الناس في الإنسان، لأن الله تعالى مطلع عليها، ولا تخفى عليه خافية.

* وتطهير الظاهر: إنما يكون بالاستجابة لكل ما أمر الله به، والانتهاز عن كل ما نهى عنه، قال الله تعالى: ﴿وَبِأَبْكَ فَطْهَرُ، وَالرَّجَزُ فَاهْجُرُ﴾^(١).

وهذه الآية توحى لنا بضرورة طهارة الظاهر «الشياب» وضرورة طهارة الباطن «الرجز فاهجر».

والنتيجة الثانية: الاستسلام للوحي.

* ويقتضى هذا الاستسلام لوحى الله على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، اليقين بصحة كل ما جاء في هذا الوحي - الكتاب والسنة - واليقين بأنه لا يتناقض مع العقل بحال، العقل السليم من الشطط، والفطرة السليمة من الزيف والانحراف.

* ومن جعل الوحي مصدره لا يضل أبداً، ولا يفتن عن شرع الله بقوانين الناس وأنظمتهم، التي وضعها عقولهم مستقلة عن وحي الله.

والفتنة بالعقل ضلال وضياح، كما أن إهمال العقل ضلال أيضاً وكيف يهمل وهو مناط التكليف؟

(١) سورة المدثر: ٤، ٥.

- ولقد فتن بالعقل كثيرون من الناس ففضلوا ما توصل إليه العقل على ما جاء به الوحي!!

- وفتن عن الوحي آخرون ففضلوا الوجد والكشف والباطن على وحي الله تعالى.

- وفتن بالعقل آخرون فقالوا: إذا تعارضت السياسة مع الشرع قدمت السياسة على الشريعة.

وكل هذه الطوائف قد ضلت فيما ذهبت إليه.

- وقد كان ذلك شأن بعض الناس قديما، ولا يزال ذلك شأن بعضهم حديثا في المجتمع المسلم.

* في الماضي: نعى الإمام ابن القيم على هؤلاء فتنّهم عن الوحي والشريعة فقالوا: «... هؤلاء يقولون: لكم النقل -أي الشرع- ولنا العقل، والآخرون يقولون: أنتم أرباب الظاهر ونحن أهل الحقائق، والآخرون يقولون: لكم الشرع ولنا السياسة.

فيا لها من بليّة عمّت فأعمت، ورزية رمت فأصمت، وفتنة دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون، وأهوية عصفت فصمت منها الأذان وعميت منها العيون، وعطلت لها والله معالم الأحكام»^(١).

وفي الحاضر: نستطيع أن نقول لأهل زماننا بعد الإمام ابن القيم بما يقرب من سبعة قرون هجرية:

إنكم تقولون لنا: لكم النقل ولنا العقل، مع أن النقل لا يعارض العقل.

(١) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ٧٣/٢ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

وبعضكم يقول: لكم الشريعة ولنا السياسة، والسياسة جزء من الشريعة وإحدى مفرداتها في التعامل مع الناس.

وبعضكم يقول: لكم الرجعية ولنا التقدمية، وما كان دين الله ليرضى بالرجعية والجمود والنكوص والعيش في الماضي وإهمال الحاضر، وهو الدين الكامل التام الذي رضي الله للبشرية كلها ديناً حتى يوم القيامة أى انتهاء المستقبل الدنيوى للبشرية.

وبعضكم يقول: لكم عالم الغيب ولنا عالم الواقع، ولولا الإيمان بالغيب ما تهذب سلوك ولاستقام عمل ولا رغب فى جنة ولاخيف من نار. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والنتيجة الثالثة: هى الاستقامة.

إن من شعر أن الله يراقبه استقام على منهج الله والتزم أن يقوم بكل ما أمر الله به، وأن يمتنع عن كل ما نهى الله عنه، وبهذا يسلم المجتمع من عيوبه وآفاته، ومن فاسقيه وفاسديه وأهل البدع والأهواء.

ثالثاً: مراقبتنا نحن لله تعالى

من الضروري للإنسان المؤمن أن يراقب الله تعالى في كل ما يقوم به من قول وعمل وصمت وترك.

* ولا ترقى روح المؤمن وتنشف وتصفو من الأكدار إلا بأن تراقب الله تعالى كما يراقبها سبحانه وتعالى. إنها إن تفعل فقد مارست الإحسان بشقيقه اللذين أوضحتهم السنة النبوية المطهرة في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب... إلى أن قال... «قال أخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...».

* وسوف نحاول في هذه الصفحات أن نوضح معنى مراقبة الإنسان لربه سبحانه وتعالى، ونؤصل هذا المعنى بالنصوص الإسلامية ثم نرصد النتائج المترتبة على مراقبتنا لله تعالى والله المستعان.

(أ) معنى مراقبة الإنسان لربه.

إذا راقب الإنسان ربه تركت فيه هذه المراقبة أحسن الآثار، لأنها تولد في نفسه حب الله وحب التقرب إليه، وتعلمه أن يخاف الله ويخاف معاصيه.

ومعنى هذه المراقبة أن يحسن الإنسان نيته وأن يطهرها من كل ما يغضب الله، وإذا حسنت النية حسن العمل، وعندئذ يقبل الله منه ويرضى عنه، والنية أساس في العمل الصالح، فقد روى البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل

امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه».

وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا».

* ومن معاني مراقبة العبد لربه سبحانه وتعالى أن لا يأتي من العمل إلا ما يحبه الله ويرضى عنه، والقاعدة العامة في ذلك هي أن الله تعالى يحب أن يجد عبده حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه، والأحاديث النبوية النبوية التي توضح ما يحب الله تبارك وتعالى كثيرة، ومن أهمها فيما نحن بصدده ما يلي:

- روى الطبراني في الأوسط بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها».

- وروى أبو داود بسنده عن يعلى بن أمية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى حيي يحب الحياء والستر».

- وروى البيهقي بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

- وروى الإمام أحمد بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى».

- وروى الترمذى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء».

- وروى النسائي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير».

- وروى الإمام مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه».

* ومن معاني مراقبة الإنسان لربه أن يسرع بالندم والتوبة إن أتى عملاً أخطأ فيه أو خالف فيه أمر الله، وكل بني آدم خطاءون ولكن خير الخطائين التوابون.

والتوبة قد طالبنا الله تعالى بها لأنه يعلم ضعفنا وسرعة وقوعنا فى الخطأ، فقال تعالى: «وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»^(١) وقال جل شأنه: «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار»^(٢).

- وروى البخارى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة».

كل تلك من معاني مراقبتنا لله تبارك وتعالى، وهى كلها معاني مؤصلة شرعاً وقامت عليه الأدلة من النصوص الإسلامية على النحو الذى سنبينه فيما يلى.

[ب] تأصيل مراقبتنا لله تعالى بالنصوص الإسلامية

إن رأس مراقبتنا لله تعالى هى تقواه وخوفه، فإذا حدث ذلك دل على أن مراقبتنا لله تعالى قائمة فى حياتنا، ودل على فعالية هذه المراقبة وقدرتها على

(١) سورة النور: ٣١.

(٢) سورة النحر: ٨.

تحسين السلوك وتقويم الخلق.

* والنصوص الإسلامية التي تعزز هذا، وتوضح لنا أن الأصل أن نراقب الله ونتقيه ونعمل ما يرضيه، كثيرة نذكر منها ما يلي:

- قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(١) وما يكون ذلك إلا بمراقبة الله تبارك وتعالى.

- وقال عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»^(٢).

- وقال عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^(٣).

- وقال عز من قائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(٤).

- وقال سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَبُذِلَ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»^(٥).

- وروى الترمذي بسنده عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من طال عمره، وحسن عمله».

وبعد: فتلک هي بعض النصوص الإسلامية التي تؤصل وتؤكد وجوب مراقبة

(١) سورة الحشر: ١٨.

(٢) سورة التحريم: ٦.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

(٤) سورة المائدة: ٣٥.

(٥) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

العبد لربه سبحانه وتعالى، وما أوجب الله تعالى ذلك إلا لما فيه من إصلاح
للإنسان في معاشه ومعاده. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فما تلك الفوائد أو تلك النتائج لمراقبتنا لله تعالى؟

[حـ] نتائج مراقبتنا لله تعالى

إن من راقب الله تبارك وتعالى في قوله وفعله، قاده تلك المراقبة إلى الحذر
من الوقوع في الخطأ، وإلى وقاية نفسه من كل ما يغضب الله تعالى، في عمله
كله.

النتيجة الأولى: أن تربية الروح على ذلك تولد فيها التقوى، وتقوى الله

تعالى مفتاح كل خير ومغلاق كل شر.

— أما أنها مفتاح الخير، فلأن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض﴾^(١) وذلك من الخير في الدنيا.

ويقول جل شأنه: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم﴾^(٢)
وذلك من خير الدنيا والآخرة.

ويقول جل وعلا: ﴿قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم، للذين أحسنوا في
هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب﴾^(٣) وذلك من خير الدنيا كذلك.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾^(٤)

١ (١) سورة الاعراف: ٩٦.

٢ (٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

٣ (٣) سورة الزمر: ١٠.

٤ (٤) سورة النحل: ١٢٨.

ذلك من خير الدنيا والآخرة، فمعية الله أفضل وأرجى لكل خير.

* ويقول جل شأنه: «لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد»^(١) وهذا من خير الآخرة.

والآيات القرآنية التي تثبت للمتقين النجاح والفلاح والفوز بخير الآخرة كثيرة.

* إن من ربيت روحه على تقوى الله تعالى ربح الدنيا والآخرة. تلك حقيقة مؤكدة في النصوص الإسلامية من الكتاب الكريم والسنة النبوية المظهرة.

والنتيجة الثانية: أن تربية الروح على هذه التقوى تولد في النفس الشعور بأن للإيمان والتقوى حلاوة، وأن مراقبة الله تعالى هي التي تعطى هذا الشعور.

وقد قرر أسلافنا من العلماء أن من راقب الله في سره حفظه الله في كل حركاته في سره وعلايته، ومن حفظه الله في حركاته في السر والعلن ذاق طعم الإيمان وحلاوته، ومن راقب الله رضى به رباً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبهذا الإسلام العظيم ديناً، ومن رضى بذلك عرف طعم الإيمان بل ذاقه.

- روى الإمام مسلم بسنده عن العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسلاً».

- وروى النسائي بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،

(١) سورة الزمر: ٢٠.

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله.
وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار».

ورواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجة.

والنتيجة الثالثة:

أن تربية الروح على مراقبة الله تعالى، تحمل الإنسان على الإحسان فى كل عمل يقوم به، ولكل إنسان يتعامل معه، لأن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء.

- روى مسلم بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».

- وروى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانياً، ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

- وروى الطبرانى فى الكبير عن عبد الرحمن بن أبى قراد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحببتكم أن يحبكم الله تعالى ورسوله، فأدوا إذا أئتمتم وصدقوا إذا حدثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً،

ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب».

- وروى ابن النجار^(١) بسنده عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك».

- وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا نصح لسيدته، وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين».

* ومحصلة هذه النتائج أن يكون الإنسان محسناً، أي جامعاً لمعنى الإحسان الذي ورد في الحديث النبوي الشريف الذي كان حواراً بين جبريل عليه السلام، والنبى ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.... الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

* هذه المراقبة للإنسان هي التي تربي روحه تربية إسلامية، فإذا ضمت إلى الشعور بأن الله يراقب الإنسان، كان في هذه وتلك سعادة الإنسان في دنياه وآخرته لأنه بهما سيكون على المنهج وعلى الصراط المستقيم.

١- ابن النجار هو محمد بن محمود بن الحسن أبو عبد الله محب الدين بن النجار (٥٧٨-٦٤٣هـ) مؤرخ حافظ للحديث من أهل بغداد، رحل إلى مصر والشام وفارس والحجاز، ومن كتبه: الكمال في معرفة الرجال. والذرة الثمينة في أخبار المدينة. ونزهة الوري في أخبار أم القرى. وهو غير ابن النجار محمد جعفر، وابن النجار محمد بن أحمد.

رابعاً: التقرب إلى الله بالنوافل

سبق أن قلنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب «دعائم التربية الروحية» إن من هذه الدعائم أداء الفرائض والإكثار من أداء النوافل... إلخ ما قلناه هناك.

ولكننا هنا نتحدث عن أهم الصفات في سمت المؤمن أي الصفات التي تميزه عن غيره من الناس عموماً كالمشركين والكافرين وتميزه عن المسلمين غير الملتزمين من العصاة والمقصرين، وذلك أن المؤمن له طابعه وسمته اللذين أوضحتهما آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

* ولا يربى الروح ويصفيها من شوائبها وأدرانها مثل التقرب إلى الله تعالى، وتوثيق الصلة به سبحانه وتعالى.

وسوف نحاول توضيح المعنى للتقرب إلى الله بالنوافل، ثم نؤصل هذا المعنى بالنصوص الإسلامية، ثم نرصد نتائج هذا التقرب إلى الله بالنوافل في الإنسان المؤمن، والله سبحانه هو المستعان.

[أ] مهنك التقرب إلى الله بالنوافل

سبق أن قلنا: إن النافلة هي الزيادة على الفرض أو الواجب، وأن من رحمة الله بنا وحبه لنا أن جعل لنا من جنس كل فريضة نافلة لنزداد بأدائها قرباً إليه تبارك وتعالى، وفصلنا ذلك في مكانه من هذا الكتاب.

* ومعنى التقرب إلى الله بالنوافل أن الإنسان قد أطاع الله بأداء الفرائض، ثم أتاح لنفسه الفرصة بالتقرب إليه بأداء ما هو أزيد من الفرائض والواجبات حباً في الله تعالى، ورغبة في الحصول على رضاه، وهذا المعنى واضح تماماً في الحديث النبوي الشريف.

- روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
إن الله تعالى قال: «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى
عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى
بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى
يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه،
وإن استعاضنى لأعيضه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض
نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته».

* ومن معانى التقرب إلى الله بالنوافل، الإقبال عليه سبحانه بما هو محبوب
من الأعمال، إذ النافلة الزيادة من الأمر المحبوب. قال الله تعالى مخاطبا النبى
ﷺ: «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا»^(١)
- والتهجد: الصلاة فى أثناء الليل،
- والنافلة الزيادة من الأمر المحبوب،
- والمقام المحمود هو ما ادخره الله تعالى لنبىه من شفاعته يوم القيامة .

- فقد روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن الناس
يصيرون يوم القيامة جُثًا -أى جماعات- كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان
اشفع، حتى تنتهى الشفاعات إلى النبى، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» .

- روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله قال: قال رسول الله ﷺ:
فى قوله «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» « قال هى الشفاعات » .
* ومن المعروف أن نافلة قيام الليل بالنسبة لرسول الله ﷺ واجب، وبالنسبة
لسائر المسلمين سنة يتقرب بها الإنسان إلى ربه سبحانه وتعالى .

(١) سورة الإسراء: ٧٩ .

* ومن معاني النافلة أنها باب واسع للحصول على رضا الله تعالى وثوابه، وأن أعمالاً كثيرة من الخير يقوم بها المسلم فتحسب له نافلة يغفر الله بها ذنوبه، كالوضوء والصلاة والمشي إلى المسجد، وصلاة الضحى، والصلاة مع الجماعة بعد أداء الفريضة أحياناً - كما سنوضح هذا ببعض الأحاديث النبوية الشريفة.

- فقد روى مسلم بسنده عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة».

- روى مسلم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، ألا فصل الصلاة لوقتها ثم اتهم، فإن كانوا قد صلوا، فقد أحرزت صلاتك، وإلا صليت معهم فكانت تلك نافلة».

- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة، ومن مشى إلى صلاة تطوع - وهي صلاة الضحى كما في سنن أبي داود - فهي كعمرة نافلة».

- وروى النسائي بسنده عن يزيد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وإذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة».

* ومن معاني النافلة أنها عمل صالح يجبر النقص في الفرائض إن وقع فيها نقص.

- روى الحاكم بسنده - في الكُنَى - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما افترض الله تعالى على أمتي الصلوات الخمس، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يسألون عنه الصلوات الخمس، فمن كان ضيع شيئا منها، يقول الله تبارك وتعالى: انظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صلاة تميمون بها ما نقص من الفريضة؟ انظروا في صيام عبدي شهر رمضان، فإن كان ضيع شيئا منه فانظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صيام تميمون بها ما نقص من الصيام، وانظروا في زكاة عبدي، فإن كان ضيع شيئا فانظروا هل تجدون من صدقة تميمون بها ما نقص من الزكاة، فيؤخذ ذلك على فرائض الله، وذلك برحمة الله وعدله، فإن وجد فضلا وضع في ميزانه، وقيل له: ادخل الجنة مسرورا، وإن لم يوجد له شيء من ذلك أمرت به الزبانية فأخذوا بيده ورجليه ثم قذف به في النار».

[ب] تَأْكِيلُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ

نحاول في هذا المجال أن نذكر من النصوص الإسلامية ما يدل على أن التقرب إلى الله بالنوافل عمل محبوب يزيد من أجر من يقوم به.

وقد سبق أن قلنا إن النوافل من جنس الفرائض، فهي:

ذكر لله تعالى،

وصلاة،

وصيام،

وزكاة،

وعمرة،

وفى التقرب إلى الله بكل نافلة من هذه النوافل وردت بعض النصوص الإسلامية، ونذكر منها في هذا المجال ما يقوم مقام الشاهد والمثال.

ففي ذكر الله وردت أحاديث كثيرة جدا نذكر منها:

- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

- وروى ابن ماجه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني، وتحركت بي شفثاه».

- وروى البيهقي بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن لكل شيء صقالة (أى ما يصقله ويجلوه)، وإن صقالة القلوب ذكر الله، وما من شيء أنجي من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع».

* وفي نوافل الصلاة وردت أحاديث نبوية عديدة نذكر منها ما يلي:

- روى النسائي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ومن ثابر على ثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة دخل الجنة: أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر».

- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من صلى العشاء الآخرة في جماعة، وصلى أربع ركعات قبل أن يخرج من المسجد كان كعدل ليلة القدر».

- وروى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة الليل مشهودة محضرة، وذلك أفضل».

* وفي نافلة الصيام، نذكر من الأحاديث النبوية ما يلي:

- روى عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وسأله رجل فقال: أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان؟

فقال له: ما سمعت أحداً يسأل عن هذا إلا رجلاً سمعته يسأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده، فقال: يا رسول الله أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: «إن كنت صائماً بعد شهر رمضان فصم اخرم، فإنه شهر الله، فيه يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على قوم آخرين».

- وروى النسائي بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال:

قلت يا رسول الله: لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم».

- روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله».

* وفي نافلة الصدقات، نذكر من الأحاديث النبوية ما يلي:

- وروى الترمذى بسنده عن سعيد بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها يمينه فيريها لأحدكم كما يرى أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد، وتصدق ذلك فى كتاب

الله: «ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات» «ويمحق الله الربا ويربى الصدقات».

- وروى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتُجبروا».

- وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما، قال:

قال رسول الله ﷺ: «ليق أحدكم وجهه النار، ولو بشق تمر».

* وفى نافلة العمرة نذكر ما يلى:

- روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له أجر إلا الجنة».

- وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ

قال: «جهاد الكبير، والضعيف والمرأة، الحج والعمرة».

-- وروى البزار بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم».

* هذه النصوص الإسلامية هى التى أصّلت موضوع التقرب إلى الله

بالنوافل، ولو شئنا أن نستقصى هذه النصوص لما وسعنا هذه الصفحات.

ج- نتائج التقرب إلى الله بالنوافل

التقرب إلى الله تعالى له نتائج طيبة تعود على الفرد وعلى المجتمع، بل على

الأمة الإسلامية كلها، والتقرب إلى الله إنما يكون بأداء الفرائض والنوافل كما سبق أن أوضحنا.

* والنوافل جميعاً سنّها رسول الله ﷺ وحبب المسلمين في أدائها، وحدث أن الله تبارك وتعالى يثيب عليها أحسن الثواب.

* وإذا عادت النوافل على الفرد بالفائدة الدنيوية والأخروية، فقد استفاد المجتمع الذي يعيش فيه، والأمة الإسلامية التي ينتمي إليها.

* ونستطيع أن نحدد من فوائد التقرب إلى الله بالنوافل فائدتين كبيرتين هما:

الفائدة الأولى:

الحصول بأداء النوافل على ثواب الله تعالى، وليس هناك شك في ذلك، لأن النبي ﷺ أخبر بذلك في كثير من أحاديثه الشريفة التي نذكر منها ما يلي:

- روى الترمذي بسنده عن عمرو بن عوف رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحارث يوماً: «أعلم يا بلال، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: أعلم أن من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضها الله ورسوله، كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً».

- وروى ابن حبان في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل عمل شرّة (أى نشاط)، ولكل شرّة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك».

- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتى تترك، ومن سنَّ سنةً سيئةً فعليه إثمها حتى تترك، ومن مات مرابطاً جرى عليه عمل المرباط حتى يبعث يوم القيامة».

- وروى البيهقي بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد». وفي رواية للطبراني في الكبير «..... فله أجر شهيد».

- وروى الحاكم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طيباً، وعمل في سنة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة» قالوا: يا رسول الله: إن هذا في أمتك اليوم كثير، قال: «وسيكون في قوم بعدى».

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب: الصمت.

* وما دامت النوافل التي يتقرب بها العبد إلى الله سنناً نبوية - كما أوضحنا - فإن الجزاء الحسن على أدائها وعد من رسول الله ﷺ فيما أخبر به عن الله تعالى.

والفائدة الثانية:

التعرض لرحمة الله ومغفرته وتأييده ونصره، وهذه الفائدة أهم من سابقتها، وذلك أنها تعود على الفرد والمجتمع، وعلى الأمة الإسلامية كلها.

* والمجتمع المسلم يعاني دائماً من أعدائه وكذلك الأمة المسلمة، ومواجهة هؤلاء الأعداء وما يزيفون به على الناس من باطل.. ويحتاج المسلمون في ذلك

إلى رحمة الله ومغفرة الذنوب، لأن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه كما قال ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

ويحتاجون إلى تأييد الله ونصره في هذه المعارك، وما لم يحفظوا بهذا التأييد من الله فلن يجدى عليهم كثرة عدد ولا تقدم عدة وآلة عسكرية.

* ولا يمكن المسلمين من الانتصار على عدوهم مثل التقرب إلى الله تعالى بالتوافل، فإذا تقرب المسلمون إلى الله بالتوافل وسألوا الله النصر بالأسحار وهم يتهجدون أجايبهم الله تعالى إلى ما طلبوا.

— فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حين يضىء الفجر».

وأخرجه البخارى، ومعظم أصحاب السنن . .

* وإذا جاهد المسلمون أعداءهم، واتبعوا فى الجهاد شروطه وسننه كان نصر الله قريبا منهم بل محققا لهم، ما داموا مخلصين فى جهادهم فى سبيل الله ومن أجل تمكين دينه.

— قال الله تعالى: «وليتصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز»^(١) فهذا وعد من الله لعباده الصالحين بالنصر.

— وقال جل شأنه: «وكان حقل علينا نصر المؤمنين»^(٢). فهذا وعد من الله

(١) سورة الحج: ٤٠.

(٢) سورة الروم: ٤٧.

للمؤمنين بالنصر كذلك.

- وقال عز وجل: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون»^(١).

* ولقد وعد الله المتقربين إليه بالجهاد في سبيله أن ينصرهم بل يعطيهم غنائم أعدائهم، ومن مات منهم في سبيله غفر الله له.

- روى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «المجاهد في سبيلي هو على ضامن، إن قبضته أورثته الجنة وإن رجعته، رجعته بأجر أو غنيمة».

- وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة...».

وبعد:

فإن تربية الروح على حب النوافل والتقرب إلى الله بها بعد أداء الفرائض، هى التى تقرب المسلم من ربه، وتجعله عرضة لرحمة الله تعالى، يغنيه، ويستجيب له ويؤيده وينصره.

(١) سورة الصافات: ١٧١ - ١٧٣.

خامساً: الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم

التقرب إلى الله تبارك وتعالى بحب الناس وحب الخير لهم عبادة له سبحانه وتعالى، واستجابة لما أمر به وحبب فيه.

* وقد جاء الإسلام بما يؤكد أن المؤمنين إخوة، ولا يربط الإخوة شيء مثل الحب، ولا يدعم هذه الإخوة في الإسلام مثل التواد والتحاب في الله.

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) وللأخوة حقوق وواجبات يغلفها الحب المتبادل بين المسلمين^(٢).

- وروى الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

* وفي وجوب الخير، جاء قول الله تعالى يخاطب المؤمنين، قال تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

فماذا تعنى بالإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم؟

[أ] معنى الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم:
إن حب الناس عموماً وحب المؤمنين منهم على وجه الخصوص من

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) انظر للمؤلف: فقه الأخوة في الإسلام. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) سورة الحج: ٧٧.

صحيح ما دعا إليه الإسلام، وحب فيه رسول الله ﷺ.

أما حب الناس عموماً فمطلوب لكي توجه إليهم الدعوة، وأما حب المؤمنين على وجه الخصوص فلن يكون بينهم تعاون على البر والتقوى، ولما بين المؤمنين من أخوة تستوجب الحب في الله.

* وقد كان الحب الذي ربط بين المهاجرين والأنصار مضرب المثل في تاريخ البشرية كلها، ولقد وصف الله تبارك وتعالى هذا الحب في قوله تعالى عن الأنصار:

«والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»^(١).

- روى البيهقي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء، لا يحبه إلا الله».

- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل».

* ومن معاني الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم، أن الله تبارك وتعالى يجزي محب الخير والدال عليه أحسن الجزاء.

- روى البيهقي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله».

(١) سورة الحشر: ٩.

- وروى أبو داود بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
«ما من أمرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ويتهك فيه من حرمة، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، ويتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» .

- وروى النسائي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» .

- وروى مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه» .

* ومن معاني حب الناس وحب الخير لهم، التعاون معهم على البر والتقوى، ورفض التعاون معهم على الإثم والعدوان.

- قال الله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب»^(١) .

- وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
«كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، ودل الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» .

- وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
«من نفس عند مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر

(١) سورة المائدة : ٢٠ .

مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» .

- وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيك» .

* ومن معاني حب الناس وحب الخير لهم أن يكونوا رحماء فيما بينهم، فذلك مما دعا إليه الإسلام وحبب فيه، والرحمة بين المسلمين صدقة امتدحها الله تعالى في الرسول ﷺ وأصحابه، فقال تبارك وتعالى:

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»^(١) .

- وطالب رسوله ﷺ بأن يكون رحيمًا بالمؤمنين فقال تعالى:

«فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك»^(٢) .

- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» .

[ب] تأصيل حب الناس وحب الخير لهم :

النصوص الإسلامية التي تؤصل وجوب حب الناس وحب الخير لهم كثيرة. نذكر منها مايلي:

- روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» .

(١) سورة الفتح : ٢٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

- وروى الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالى لهم منابر من نور يغطهم النيران والشهداء» .

- وروى الإمام مسلم بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاوئين فيّ، والمتبازلين فيّ» .

- وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجرة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطع الله» .

- وروى الترمذى بسنده عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردى البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» .

- وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يقوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يارب: وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبيدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم: استطعنتك فلم تطعمني، قال: يارب: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبيدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت

أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يارب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟» .

– وروى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: متى الساعة؟ قال: ما أعددت لها؟ فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب» .

قال أنس: «فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك» .
* حب الناس وحب الخير لهم ينبغي أن يكون نابعا من حب الله ورسوله، فحب الله ورسوله هو الإيمان وهو الإسلام وهو الالتزام بالمنهج وهو الذي يؤدي إلى حب الناس وحب الخير لهم، وتلك حقيقة أساسية في الدين قامت على تصديقها النصوص الإسلامية.

– قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين»^(١) .
– وقال الله تعالى: «والذين آمنوا أشد حبا لله»^(٢) .

– وقال جل شأنه: «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره»^(٣) .

(١) سورة المائدة : ٥٤ .

(٢) سورة البقرة : ١٦٥ .

(٣) سورة التوبة : ٢٤ .

- وقال عز وجل: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾^(١).

وبعد فتلك هي النصوص الإسلامية التي تؤصل وجوب حب الناس وحب الخير لهم.

* وإذا كان حب الناس وحب الخير لهم قد تأيد بهذه النصوص من الكتاب والسنة، فما نتائج هذا الإقبال؟

هذا ما نحاول الحديث عنه بإيجاز في الصفحات التالية، والله المستعان.

[ج] نتائج الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم

لهذا الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم نتائج ثلاثة، نحاول أن نتحدث عنها بإيجاز فيما يلي:

النتيجة الأولى:

أن يقبل الناس على منهج الله ونظامه، مستجيبين لما يطالبهم به هذا المنهج من إيمان وإسلام واستقامة على طريق الحق، وتعامل مع الناس بالحسنى.

* إن حب الناس وحب الخير لهم هو الذى يهتدى به لهم قبول الحق واتباعه، لأن هذا الحب لهم يرقق قلوبهم ويشعرهم بما يضمرة لهم الإسلام والمسلمون من خير.

* وإن الدعوة إلى الله لا تثمر ولا تؤتي أكلها بمثل ما تتقدم بحب المدعوين وحب الخير لهم، إذ من أوليات الدعوة إلى الله ومسلماتها، الموعظة والقول اللين، والرفق ومعونة من يحتاج إلى عون، وغوث من يحتاج إلى إغاثة. فتلك من الدعائم الخلقية التي يقوم عليها الإسلام كله، والدعوة إلى الله بوجه خاص.

(١) سورة المائدة: ٥٦.

* والنصوص الإسلامية المؤيدة لذلك أكثر من أن تحصى هنا، وقد أوردنا بعضها في الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

* ولا يقبل الناس على الإيمان والإسلام والالتزام بالمنهج إلا إذا شعروا أن الدعاة يحبونهم ويحبون الخير لهم، ولا يستطيع الدعاة إلى الله أن يصلوا إلى قلوب الناس إلا إذا أحبوا الناس، وأحبوا الخير لهم.

والنتيجة الثانية :

أن يستطيع الناس الذين قدم لهم هذا الحب، وهذا الخير، أن يساهموا مع الدعاة في بناء الحضارة الإسلامية التي تتميز بأنها حضارة إنسانية، لا تعرف تمييزاً بين جنس وجنس من الناس، ولا بين لون ولون.

* وإن الإسهام في الحضارة الإسلامية الإنسانية ليتيح للناس أحسن الفرص لكي يعيشوا حياة إنسانية كريمة، تلائم تكريم الله تعالى للإنسان وتفضيله على كثير مما خلق.

* والحضارة الإسلامية تقوم على مرتكزات جوهرية نستطيع أن نذكر منها ما يلي :

- ١ - احترام الإنسان وتقديره، وتقدير حرياته جميعاً،
- ٢ - احترام العقل وإطلاقه من إسار التقليد،
- ٣ - وتقدير العلم والاهتمام به، والمضي في طريقه إلى أقصى مدى يستطيع أن يصل إليه عقل الإنسان.
- ٤ - وتشجيع الإنسان على أداء واجباته ومعونته في ذلك ما أمكن.
- ٥ - واعتبار الأسرة وحدة المجتمع، وتنقية العلاقات الاجتماعية من الشوائب والسلبيات.

٦ - وإقرار العدل والإحسان والشورى.

٧ - وحسن التعامل مع غير المسلمين.

٨ - والاستمرار في تربية الإنسان تربية مستمرة من المدرسة إلى المسجد إلى المجتمع كله حتى يلقى الله.

٩ - وحسن التعامل مع مفردات الكون الذى يعيش فيه، والذى سخر الله له كل ما فيه.

١٠ - والعمل لما بعد الموت.

* وهذا بالإضافة إلى أن لب الحضارة الإسلامية هو الإيمان بالله تعالى والإسلام له والالتزام بمنهجه.

والنتيجة الثالثة :

هى الإسهام فى التمكين لدين الله فى الأرض بإقامة دولة الإسلام التى تطبق شرع الله على عباد الله، وهذا التمكين لدين الله فى الأرض تسبقه استعدادات كثيرة، ومراحل عمل متعددة وما لم يشعر الناس بأنهم محبوبون، وبأن الخير يقدم لهم لوجه الله تعالى، فلا يستطيعون الإسهام فى التمكين لدين الله.

* والعمل من أجل الإسلام يحتاج إلى عاملين على كل مستوى من مستويات العمل ومراحله :

- فهو محتاج إلى طوائف من الناس يفهمون الإسلام فهما صحيحا بعيدا عن الغلو فى الدين وبعيدا عن التفريط فيه، ولا يتم هذا على صورته الصحيحة إلا إذا شعر هؤلاء الناس أنهم يحملون عبئا فى الوصول إلى التمكين، ليعرفوا

من خلال ذلك مكانهم ومكانتهم.

وكيف يحملون هذا العبء ما لم يقبل الدعاة عليهم: يحبونهم في الله ويسدون إليهم والخير دون أن يطلبوا، وليس هذا تفضلا من الدعاة ولا تبرعا، وإنما هو واجبهم الذي أوجبه عليهم الدعوة وحفرهم إليه هذا الحب الإنساني العظيم.

- وهو محتاج إلى طوائف من الناس يشاركون في العمل من أجل الإسلام كل بما يستطيع، إذ الفقه الصحيح للعمل من أجل الإسلام يقتضي الإيمان بأن كل فرد من المسلمين والمسلمات على نفرة من نعر الإسلام عليه أن يجاهد حتى لا يؤتى الإسلام من قبله.

ولا يغنى من ذلك الواجب إلا من عجز عن الإسهام بشيء

- والعمل من أجل الإسلام - أي للوصول إلى التمكين - محتاج إلى طوائف من الدعاة، يشاركون في جمع الناس على الحق وتبصيرهم بما يجب عليهم.

وهؤلاء الدعاة لن يهبطوا من السماء دعاء، ولا يمكن أن تنشق عنهم الأرض، وإنما هم أفراد لديهم الاستعداد أو قد توسم فيهم الاستعداد، ويحتاجون مع ذلك إلى إعداد وتربية، وتنمية مواهب ورعاية قدرات، وتدريب على أعمال الدعوة إلى الله.

والدعوة إلى الله ليست مجرد خطب أو محاضرات وإنما هي مجموعة أعمال متشابهة يفتنى بعضها إلى بعض ولا يستغنى بعضها عن بعض، ولا يصلح لها إلا من استبان مواهبه، وأبدى استعدادا للمواصلة حتى يتكون لديه فقه الدعوة وفقه الدعاة وفقه المدعوين^(١).

(١) انظر للمؤلف: فقه الدعوة إلى الله - كتاب موسع في فقه الدعوة والدعاة والمدعوين، نشر دار الوفاء ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

- والعمل من أجل الإسلام محتاج إلى طوائف من الحركيين وإلى طوائف من التربويين، وإلى طوائف من القادة^(١).

* والعمل من أجل الإسلام - أى الوصول إلى التمكن - محتاج إلى برامج فى الدعوة وفى إعداد الدعاة وفى التربية، وفى فقه التمكن نفسه، بل إلى ما ندعو اليه مسبقاً، وهو فقه المحافظة على التمكن والاستمرار فيه.

* والعمل من أجل الإسلام محتاج إلى تنسيق بين العاملين من أجل الإسلام فى جميع الأقطار الإسلامية لتحقيق أهداف ضرورية يبدو لنا منها الآن ما يلى :

- تبادل الآراء وتعميق الحوار بين العاملين للوصول إلى أنضج الخطط وأنسب المناهج وأسلم وأدق وسائل التربية.

- وتبادل الخبرات، برصد الأخطاء والتعرف على أسبابها والعمل على تلافى تكرارها، ولكى يبدأ التالى من حيث انتهى الأول وهكذا.

- والتعاون على تذليل العقبات ومواجهة التيارات المعادية بالأسلوب الإسلامى الراشد البعيد عن الغضب والانفعال، والذى يعلم العاملون فيه علم اليقين أن الإسلام بعيد كل البعد عن المهاترات والتنازير بالألقاب.

- والتعاون على تكثيف الجهود من أجل المضى فى الطريق مع التواصل بالحق والتواصى بالصبر، والتعاون على البر والتقوى. وحاجة العمل من أجل الإسلام إلى تضافر وتجميع القوى ليست محل جدل أو خلاف، ما كانت كذلك ولن تكون، لأنها من البديهيات التى لا يختلف عليها العقلاء.

(١) انظر فى ذلك للمؤلف : فقه المسؤولية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٥ هـ.

- والتعاون على توظيف الطاقات والإمكانات في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، بحيث يحدث هذا التوظيف تكاملاً يسد الثغور ويغطي الاحتياجات، وليس بالضرورة أن تكون الأقطار في طاقاتها سواء، ولكن الضروري هو أن توظف هذه الطاقات بحيث تكون خطوة على طريق العمل من أجل الوصول إلى التمكين.

وبعسد :

فتلك هي تربية الإسلام للروح لتستطيع الإقبال على الله بالعمل الصالح المتضمن حب الناس وحب الخير لهم، لتحقيق هذه النتائج الثلاثة التي ذكرنا. ومن لم تترب روحه من الأفراد والجماعات على ها النحو، فهيهات أن يستطيع الإسهام بشيء في العمل من أجل الإسلام.

ولعل بقاء الخطى أو بعد الهدف يسبب القصور أو التقصير في تربية الروح هذه التربية.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

سادسا : الثقة فى الله وفى بره بنا واستجابته لنا

وتلك صفة من أهم صفات المؤمنين وسماتهم التى تميزهم عن غيرهم من الناس.

* وهذه الثقة فى الله لآتأتى إلا نتيجة لحب العبد لربه، وهذا الحب لله - كما أوضحنا آنفا - واجب شرعى لا يكون الإيمان إلا به، ذلك ما أكدته النصوص الإسلامية الكثيرة، ومنها:

- ما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.....»

* ووسيلة حب الله ورسوله هى القراءة فى المصحف لمعرفة الحلال والحرام والالتزام بالمنهج .

- روى البيهقى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى المصحف» .

* وهذا الحب لله عز وجل يصقل الروح ويجلو عنها الشوائب التى تعكر صلتها بالله تعالى، ويخلصها من الشرك والأغيار ويصلها بخالقها جل وعلا لأنها فى الأصل نفخة منه تعالى.

* وليس من حب الله تعالى تلك الشطحات ولا هذه التوهمات التى تخرج بأصحابها عن نصوص الشريعة وما علم منها بالضرورة كأولئك الاتحاديين والحلوليين ومن إليهم ممن أسقطوا عن أنفسهم التكاليف الشرعية عندما أحبوا الله وعائنه - كما يزعمون- فهذا ضلال لا يمكن أن يكون حبا لله تعالى، وفيه هذه المخالفات.

هذه الثقة هي التي جاءت نتيجة لهذا الحب لله تعالى، فما معنى هذه الثقة في الله تعالى؟ وما النصوص المؤيدة لها؟ وما نتائجها؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه بإذن الله تعالى فيما يلي:

[1] معنى الثقة في الله تعالى:

* الثقة في الله - كما أوضحنا - تعني محبته سبحانه وتعالى، وهذه الثقة يجب أن يترتب عليها اتباع منهج الله والالتزام بكل ما فيه، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). فلا تكون ثقة في الله دون حب له سبحانه، ولا يكون حب دون دليل عليه، وأقوى الأدلة وأولاها بالقبول اتباع رسول الله ﷺ فيما جاء عن ربه من أحكام وأداب وأخلاق.

* ومن معاني الثقة في الله - أي حبه - أن يلجأ المسلم إلى الأسباب التي تقوى هذه الثقة وتزكيها وتعمق حب الله الذي تولدت عنه، ومن هذه الأسباب - كما قال أسلافنا رضوان الله عليهم - ما نورد بعضه للتذكير، فيما يلي:

- القراءة في المصحف الشريف قراءة تدبر، والعمل بما فيه،
- وأداء الفرائض والتقرب إلى الله بأداء التوابع،
- والتأمل والتدبر فيما يحيط الله تبارك وتعالى به الإنسان من نعم، حتى يمكن الوصول إلى منزلة شكر النعمة،
- والتأسي بالمعصوم ﷺ في قوله وفعله وكل أمره،
- ومصاحبة الصالحين وأهل التقوى والاستفادة منهم،

^(١) سورة آل عمران: ٣١.

- والتخلى عن كل قول أو عمل أو صمت أو ترك يغضب الله تبارك وتعالى لمخالفته ما جاء به الإسلام .
- * ومن معاني الثقة في الله الاتصاف بصفات أخير سبحانه وتعالى أنه يحبها في أصحابه، ومنها :
- تقوى الله، فقد قال تبارك وتعالى : ﴿إن الله يحب المتقين﴾^(١) .
- والتوكل على الله، فقد قال سبحانه : ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾^(٢) .
- والتطهر المعنوي والمادى من كل ما يغضب الله تبارك وتعالى، مع التوبة سريعا عن كل ذنب، قال الله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾^(٣) .
- والعدل وهو القسط الذي أخبر الله تعالى أنه يحب أصحابه، فقال تعالى: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾^(٤) .
- والإحسان بكل معنى من معاني التي تحدثنا عنها آنفا، قال الله تعالى: ﴿والله يحب المحسنين﴾^(٥) .
- والجهاد في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾^(٦) .
- والصبر، قال الله تعالى : ﴿والله يحب الصابرين﴾^(٧) .

- (١) سورة آل عمران : ٧٦ .
- (٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .
- (٣) سورة البقرة : ٢٢٢ .
- (٤) سورة الحجرات : ٩ .
- (٥) سورة آل عمران : ١٣٤ .
- (٦) سورة الصف : ٤ .
- (٧) سورة آل عمران : ١٤٦ .

- * ومن معاني الثقة بالله التخلي عن الصفات التي أخبر الله سبحانه أنه لا يحبها فيمن اتصف بها من الناس، وهي كثيرة ومن أبرزها مايلي:
- العدوان على حقوق الله أو حقوق العباد، قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾^(١).
- والظلم: ظلم الناس وظلم النفس، قال جل وعلا: ﴿والله لا يحب الظالمين﴾^(٢).
- والفساد والإفساد، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿والله لا يحب الفساد﴾^(٣).
- والخيانة بكل أنواعها كخيانة الأمانة وخيانة العهد وكفران النعمة، فقد قال عز وجل: ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾^(٤).
- والاستكبار والتكبر على الحق وعلى الخلق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾^(٥).
- والاختيال والتفاخر والمباهاة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾^(٦).
- والإسراف في كل شيء، وهو التجاوز في أي عمل يقوم به الإنسان، فقد قال عز من قائل: ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾^(٧).
- * إن التخلي عن هذه الصفات- التي لا يحبها الله تبارك وتعالى- هو ثقة

(١) المائدة : ٨٧ .

(٢) سورة آل عمران : ٥٧ .

(٣) سورة البقرة : ٢٠٥ .

(٤) سورة الحج : ٣٨ .

(٥) سورة النحل : ٢٣ .

(٦) سورة لقمان : ١٨ .

(٧) سورة الأعراف : ٣١ .

فيه سبحانه نابعة من حبه وحب ما يحبه، وبفض ما يفضه سبحانه وتعالى .

* ومن معاني هذه الثقة في الله تعالى التي تترتب عليها الثقة في بره بخلقه، وأنه يحبهم وما شرع لهم ما شرع من الدين إلا برأ بهم، والله تبارك وتعالى قد سمى نفسه البر، قال جل ذكره: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وذلك أن من كان على ثقة في بر الله به استجاب لما أمره به ولما نهاه عنه، واعتبر تلك الاستجابة من بر الله به ورحمته له .

* ومن معاني الثقة في الله تبارك وتعالى، اعتقاد المؤمن أن الله تعالى سوف يستجيب له إذا دعاه، وهذا من شروط الإيمان بالله تبارك وتعالى، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢)، وقال جل شأنه: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٣) .

* إن الروح التي تربى على هذه الثقة في الله تعالى، وفي بره بخلقه واستجابته لدعوات عباده الصالحين، هي الروح التي تعرف طريق الإيمان وتلتزم بالبيعي فيه وتتحمل ما يعترضها في هذا الطريق من عقبات، وثقة من أن الله تبارك وتعالى سوف يستجيب لها وللحق، الذي تدعو إليه، فينصرها في كل معركة تخوضها، بالطريقة التي يختارها سبحانه وتعالى، وفي الوقت الذي يراه مناسباً.

* إن التربية الإسلامية للروح تستهدف الوصول بها إلى هذا المستوى من الإيمان بالله والثقة فيه .

فكيف نؤصل هذه الثقة في الله المتولدة عن حبه سبحانه وتعالى؟

هذا ما سنحاوله الآن في هذه الصفحات والله المستعان .

(١) سورة الطور : ٢٨ .

(٢) سورة غافر : ٦٠ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٩ .

[ب] تأصيل هذه الثقة بالنصوص الإسلامية :

قدمنا أن الثقة في الله تعالى نابعة من حبه سبحانه وعن رغبة الإنسان في التقرب إليه بما يحب وعن التوكل عليه بكل حال.

والنصوص الإسلامية الدالة على وجوب هذه الثقة في الله تعالى - ليصح الإيمان ويسلم الإسلام - كثيرة نذكر منها مايلي:

غير أننا ننبه قبل سرد هذه النصوص أن الثقة بالله هي الاطمئنان إليه تعالى والسكون إليه والتوكل عليه وتفويضه سبحانه وتعالى في كل أمر، مع ضرورة الأخذ بالأسباب التي دعا إليه سبحانه وتعالى، حتى لا تتحول الثقة والتوكل إلى تراخ وتواكل.

- ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

- وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

- وقوله جل وعلا: ﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣).

وهذه الآية الكريمة خطاب لأم موسى عليه السلام، إذ لولا ثقتها في الله تبارك وتعالى لما ألقته بوليدها في الماء تتجاذبه أمواجه.

- وروى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا

(١) سورة المائدة: ٢٣.

(٢) سورة الأنفال: ١٢.

(٣) سورة القصص: ٧.

له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» .

- روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله» .

- وروى الطبراني في الأوسط بسنده عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر» .

- وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني» .

- وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء» .

- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن عثمان بن أبي العاصي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له، إلا زانية تسمى بفرجها أو عشاراً»^(١) .

وبعد: فتلك بعض النصوص التي توجب الثقة بالله وحسن الظن به، واليقين بأنه يستجيب لدعواتنا برا بنا وحنانا علينا مادامنا مؤمنين نعمل الصالحات.

(١) العشار : من يأخذ على السلع مكساً .

[ج] نتائج هذه الثقة في الله تعالى :

من كان على ثقة في الله تعالى، وعلى ثقة في حبه لله وبر الله تعالى به واستجابته لدعائه، فإنه بهذه الثقة يحصل على خيرى الدنيا والآخرة.
* ولهذه الثقة في الله تعالى نتائج جليلة نستطيع أن نذكر منها مايلي :

النتيجة الأولى :

من وثق في الله تعالى أحسن التوكل عليه، وتفويض أمره إليه، والتسليم في كل ماأمر به، وماينهى عنه وما يحب فيه ومايغض.
* وإذا أحسن الواثق في الله التوكل عليه وفق في أمره كله، وكان أمامه كل عسير سهلا، وكل عمل ناجحا.

- وروى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا».

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن البزاء بن عازب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «يافلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، أمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت، فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبحت خيرا» .

* ومن كان من الله بهذه الرعاية كل مصدر خير لنفسه، ولأهله ولذويه وجيرانه وللمجتمع الذى يعيش، إنه إنسان يحسن الأخذ بالأسباب، ويحسن أن يقول عند كل موقف «حسبنا الله ونعم الوكيل» .

والنتيجة الثانية :

أن من كان على ثقة بالله وفى حبه لله، وبر الله تعالى به أكثر من الدعاء، ودعاء الله باب مفتوح لخيري الدنيا والآخرة، وهو عبادة لله تعالى بل مع العبادة.

- روى الترمذى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء».

- وروى الترمذى أيضا بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين».

- وروى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الدعاء مع العبادة».

* والواقع فى الله تعالى لا بد أن يثق فى أنه سبحانه سوف يستجيب دعاءه، بل عليه أن يوقن بذلك.

- روى الترمذى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه».

- وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كف عنه من سوء مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».

* ومن ترك دعاء الله أغلق على نفسه باب الرحمة والقبول، وأصبحت الدنيا همه وشاغله، ونسى الله فى شدته ورخائه، ومن كان كذلك خسر كثيرا فى دنياه وآخرته وتعرض للخذلان.

– روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ
«من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته
الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق
عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له» .

والنتيجة الثالثة :

أن من كان على ثقة بالله، رجا منه تعالى الخير، واستعان به على كل ما يريد
من حق وخير، وقرب بذلك من الله تعالى، وتعلم أدب الاستعانة بالله تعالى
واتبعه .

– روى الطبراني في الكبير بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال، قال
رسول الله ﷺ : «استعينوا على إجماع الخواص بالكتمان، فإن كل ذى نعمة
محسود» .

– وروى النسائي بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ : «إن الدين يسر، ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا،
واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» .

* إن من أحسن الاستعانة بالله كفاء مؤونة أمره كله، بشرط أن يأخذ
بالأسباب.

– روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول
الله ﷺ : «يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله
تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن
الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله

لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،
رفعت الأقلام وجفت الصحف» .

* هكذا يربي الإسلام الروح على حب الله والثقة فيه، وفي بره بخلقه،
واستجابته لدعاء الصالحين من عباده .

سابعاً : الرضا بقضاء الله وقدره

الرضا بقضاء الله وقدره نابع عن الإيمان، أى الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وقد ثبت ذلك فى السنة النبوية الصحيحة.

– روى الإمام مسلم بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً غفر الله له ما تقدم من ذنبه» .

– وروى الترمذى بسنده عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً» .

* قال الأسلاف من العلماء تعقيباً على هذين الحديثين الشريفين: هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهى .

وقد تضمننا مايلى:

– الرضا بربوبيته سبحانه وتعالى، والرضى بألوهيته سبحانه،

– والرضا برسوله نبياً ورسولاً، والرضى بكل ما جاء به محمد ﷺ،

– والانقياد لله تعالى ولمنهجه ومأحل ومحرم،

– والرضا بهذا الدين الخاتم والأخذ بكل ما جاء فيه .

* ومن اجتمعت له هذه الصفات، استقام على الحق، وقرب بها من الله، وتأهل بهذا الإيمان أن يكون موضع رضا الله تبارك وتعالى .

وكل ذلك يؤدي إلى الرضا بقضاء الله وقدره، إذ الرضا بالله يقتضى الرضا بما يأمر به وبما ينهى عنه، وهذا يتضمن الرضا بقضاء الله وقدره.

* والرضى بالرسول ﷺ يقتضى كمال الانقياد إليه، فلا يتحاكم إلا إليه، وإلى ما جاء به من شرع ومنهاج، وهذا يقتضى الرضا بقضاء الله وقدره.

* ونحاول فى الصفحات التالية أن نلقى ضوءاً على معنى الرضا بقضاء الله وقدره، ونأصيل هذا الرضا، ونعرف نتائجه فى الفرد والمجتمع .

[١] مَعْنَى الرضا بقضاء الله وقدره :

* من معانى الرضا بقضاء الله وقدره، ألا يكره العبد شيئاً مما يجرى به قضاءؤه وقدره سبحانه وتعالى، وهو من صميم رضا الله تبارك وتعالى، ورضا الله تعالى مطلب حث عليه القرآن الكريم .

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانَ مُؤْمِنِينَ ﴾^(١) فشأن المؤمن أن يقدم رضا الله على كل عمل وكل محاولة رضا لأحد من الناس، وإلا كان أشبه فى عمله هذا بالمنافقين الذين حلفوا للمسلمين ليرضوهم، فردهم الله تبارك وتعالى إلى الحق، وهو إرضاء الله تعالى قبل كل إرضاء.

* ومن معانى الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، أنه يعنى أحد أركان الإيمان الستة المعروفة التى دار الحوار حولها بين رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام، فقد جاء فى الحديث الشريف .

- روى الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض

(١) سورة التوبة : ٦٢ .

التياب... إلى أن قال له جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت...؟

— وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بعض الوفود «فقال: «ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فقال: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء، فقال: مؤمنون ورب الكعبة».

* ومن معاني الرضا بقضاء الله وقدره أنه صفة أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام وورثتهم في الإيمان والإسلام، وذلك أن القضاء والقدر منشؤهما علم الله وقدرته، فمن أنكر القضاء والقدر، فقد أنكر علم الله وقدرته، ومن أنكر ذلك فقد كفر بالله.

يشرح ذلك ابن القيم في قوله: «إن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لتبنيهم آمنوا بالقضاء والقدر، والحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب وأوامره، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي، وصدقوا بالوعد والوعيد، فأمنوا بالخلق الذي من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة، وأمنوا بالأمر الذي من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب، فصدقوا بالخلق والأمر، ولم ينفوهما بنفى لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية، والقدرية المعارضة للأمر بالقدر، وكانوا أسعد الناس بالخلق وأقربهم عَصَبَة في هذا الميراث النبوي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»^(١).

* ومن معاني الرضا بالقضاء والقدر ما جاء على لسان يحيى بن معاذ^(٢)

(١) ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين ١١٢. ط: الميرية بالقاهرة ١٣٥٧ هـ.

(٢) إمام واعظ زاهد ت ٢٥٨ هـ. يقال: لم يكن له نظير في وقته.

عندما سئل عن الرضا فقالوا له: متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا ؟
فقال: «إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه فيقول:
إن أعطيني قبلت ..
وإن منعتني رضيت ..
وإن تركتني عذبت ..
وإن دعوتني أجبت ..»
ومن رضى هذا الرضا، فقد رضى بقضاء الله وقدره .

[ب] النصوص الدالة على الرضا بالقضاء والقدر:

لا بد من أن أفرق بين الإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بالقضاء والقدر حتى
لا تختلط الأمور على بعض القراء .

* فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة التي أشار إليها
الحديث الشريف الذي ذكرناه آنفا .

ونحن نورد أولا نصوصا دالة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، ثم نورد
بعدها نصوصا دالة على استحباب الرضا بالقضاء والقدر، ونسأل الله التوفيق .
* فمما يؤكد وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ما يلي :

- قال الله تعالى : «ونفس وماسواها فآلهمها فجورها وتقواها، قد أفلح
من زكاها وقد خاب من دساها»^(١) .

- وقال جل شأنه: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن
يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء»^(٢) .

- وروى الإمام مسلم بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال

(١) سورة الشمس : ٧-١٠ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٥ .

رسول الله ﷺ : « كل شيء يقدر حتى العجز والكيس » .

- وروى البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له : اكتب عمله ووزقه وأجله وشقى هو أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » .

- وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذا الكتاب ؟ فقال للذى فى يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل^(١) على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا، ثم قال للذى فى شماله : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا، سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أى عمل، فرغ ربكم من العباد، فريق فى الجنة وفريق فى السعير » .

- وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، فأحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله ما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(١) أى احصوا فيه وجمعوا، ولن يقلوا الزيادة.

- وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال: ردت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: «يا غلام، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، رفعت الأقلام وجفت الصحف، لو جهدت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو جهدت الأمة على أن يضررك بشيء لم يضررك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا» .

* تلك هى النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة تؤكد وجوب الإيمان بالقضاء والقدر .

* وهناك كلمات لبعض علماء المسلمين من الصحابة رضى الله عنهم، ومن كبار التابعين - رحمهم الله - تؤكد كذلك وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، نذكر منها مايلي استئناسا بفهمهم لتلك النصوص الإسلامية، وهو فهم صحيح لهذا الدين حيث كانوا أقرب إلى الرسول ﷺ وأكثر قدرة على فهم هذه النصوص.

- قال طاووس^(١) : أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كل شيء بقدر» .

- وقال أيوب السخيتاني^(٢) : «أدركت الناس، وما كلامهم إلا أن قُضى، وأن قدر» .

(١) هو طاووس بن كيسان، ولد سنة ٣٣ هـ وتوفي ١٠٦ هـ. وهو من أكابر التابعين، تفقه في الدين ورواية للحديث وزهدا وورعا وتفشفا في العيش وجرأة على الخلفاء والحكام .

(٢) هو أيوب السخيتاني ولد سنة ٦٦ هـ، وت ١٣١ هـ، وهو تابعي من حفاظ الحديث وكان نبها فقه روى عنه ثمانمائة حديث، وكان ناسكا زاهدا وسيدا فقهاء عصره .

- وقال ابن القيم: «.... فأما مقام الإيمان والهدى والنجاة، فمقام إثبات القدر والإيمان به، وإسناد جميع الكائنات إلى مشيئة ربها وبارئها وفاعلها، وأن ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس ..

وتبين أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد، وليس جلاباب الشرك، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه»^(١).

* وأما الرضا بالقضاء والقدر، فإن جمهور علماء الحنابلة يرون أنه مستحب وليس بواجب .

وقال بعض العلماء في المذهب إنه واجب، وهما قولان في مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

وقد حسم ابن القيم هذه القضية بقوله: «وسر المسألة أن الرضا بالله يستلزم الرضا بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه، ولا يستلزم الرضا بمفعولاته كلها، بل حقيقة العبودية: أن يوافق عبده في رضاه وسخطه فيرضى منها ما يرضى به ويسخط منها ما سخطه»^(٢).

ثم أفاض ابن القيم في أن المؤمن تستوى النعمة والبلية عنده في الرضا بهما لوجه، ذكرها وبلغ عددها واحدا وستين وجها.

ويقول في بعض هذه الوجوه: «ونكتة إيمانه بأن قضاء الرب تعالى خير له، كما قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن»^(٣).

(١) ابن القيم: طريق الهجرتين: ١٠٢-١٠٣ هـ - مرجع سابق .
(٢) ابن القيم: مدارج السالكين: ٢١١/٢ طبع دار الكتب العلمية لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
(٣) السابق: ٢١٥/٢.

ثم يقول: «إن من ملاء قلبه من الرضا بالقدر، ملاء الله صدره غنى وأمنا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبتة والإنابة إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضا: امتلاء قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه».

فالرضا يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله»^(١).

وبعد: فما نتائج هذا الرضا بالقضاء ؟

ذلك ما سنوضحه في الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

[ج] نتائج الرضا بقضاء الله وقدره :

إن هذه النتائج في تربية الروح أكثر من أن تحصى في هذا المجال أو في تلك الصفحات :

وعلى سبيل المثال: فإن الرضا بقضاء الله وقدره يحقق مايلي:

- يقوى الإيمان بالله ويعزز الإسلام له سبحانه وتعالى،
- ويعلم التوكل على الله وتفويض الأمر له بعد الأخذ بالأسباب،
- ويعلم الطمأنينة ويوصل إلى السكينة،
- وأنه من سعادة الإنسان، روى الترمذي بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من سعادة ابن آدم: استخارة الله عز وجل، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله».
- وأنه يصل بالنفس إلى مرحلة الإقبال على الطاعات وترك المخالفات،
- وأنه يعلم حسن الخلق في التعامل مع الله تبارك وتعالى، وفي التعامل مع الناس، وحسن الخلق قد أثنى عليه رسول الله ﷺ.

(١) السابق : ٢١٧/٢ .

روى البيهقي في السنن بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن...» .

- وقد دعا رسول الله ﷺ - وهو المغفور له- ربه أن يهني له الرضا بالقضاء، فقدر روى النسائي بسنده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين».

وبعد: فإن نتائج الرضا بقضاء الله وقدره في تربية المسلم أكثر من أن تحصى هنا.

وحسبنا أن نقول :

إن الرضا بالقضاء والقدر يقيم الإنسان على الصراط المستقيم صراط الله، ويعلمه كيف يتعامل مع نفسه - ومع ربه سبحانه ومع الناس - المعاملة التي شرعها الإسلام وسنها محمد ﷺ . وحسبنا بهذه نتائج.



الفصل الثالث :

أثر التربية الروحية ويشمل :

١ - أثر التربية الروحية فك الإنسان نفسه،

٢ - وأثرها فك الأسرة والمجتمع،

٣ - وأثرها فك العمل من أجل الإسلام.



أثر التربية الروحية

لا شك أن التربية الإسلامية للروح - على نحو ما أوضحنا في هذا الكتاب - تعطي المسلم القدرة على ممارسة حياة إسلامية صحيحة بعيدة عن الغلو والتفريط .

* فبعض المسلمين يغالون في تقدير الروح - فيزعمون أنها بالتربية والرياضة تستطيع أن تخترق حواجز الزمان والمكان - من أولئك الذين ضلوا فساءلوا بالحلول والاتحاد، وما إلى ذلك من التهويمات التي تخرج عن إطار ما شرع الله .

* وبعضهم أهمل هذه الروح مغاليا في تقدير البدن، داعين إلى الاستجابة لكل مطالبه، مفرطين بذلك أيضا فيما شرع الله لهذا البدن - الذي تسكنه الروح - من نظام .

* إن هذين التصورين للروح والبدن بعيدان عن التصور الصحيح للحياة الإسلامية الصحيحة التي ترسم هدى الشريعة الإسلامية وتقفو أثر الرسول ﷺ في التوسط والاعتدال .

إن هذا التصور الصحيح للحياة الإسلامية يرى في الروح أو النفس نفخة من روح تعالى أودعها في الإنسان يوم خلق آدم أبا البشر عليه الصلاة والسلام، وأن هذه الروح تزكو بالطاعات وتخبو بالمعاصي : «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها»^(١) .

وترى البدن صاحب حق في التعبير عن طاقاته وحاجاته وشهواته، ولكن في

(١) سورة الشمس : ٩ - ١٠ .

إطار شرعية معينة، وفي حدود ما أحل الله وما حرم، فلا يجوز حرمان هذا الجسد من التعبير عن طاقاته ولا مما أباح الله من الزينة والطيبات، «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق»^(١) و«يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين»^(٢).

* بل إن هذا التصور الصحيح للحياة الإنسانية الإسلامية يعنى - إلى جانب تربية الروح - بتربية البدن والعقل والخلق والتدين، ويربى الإنسان تربية اجتماعية وسياسية واقتصادية وجهادية وجمالية^(٣).

* هذه التربية الروحية، لها آثار عميقة في مجالات ثلاثة هي :

١ - الإنسان نفسه،

٢ - الأسرة والمجتمع اللذان يحيطان به،

٣ - والعمل من أجل الإسلام.

وسوف نوضح هذه الآثار في هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب، محاولين التركيز على الخطوط العريضة لهذه الآثار، سائلين الله تعالى العون والتوفيق.

(١) سورة الأعراف : ٣٢.

(٢) سورة الأعراف : ٣١.

(٣) تلك هي مفردات التربية الإسلامية في حلقاتها العشر التي تعد التربية الروحية أولها، ثم تتابع بإذن الله تعالى.

١ - أثر التربية الروحية فى الإنسان نفسه

إن تربية الروح على النحو الذى حددنا دعائمه وعرفنا بوسائله العملية، وأوضحنا فيه الالتزام بسمت المؤمنين، وأهم ما يميز هذا السمت من صفات سبعة أصيلة راسخة فى تربية روح المؤمنين.

* إن هذه التربية لابد أن تترك آثارا فى الإنسان نفسه، يمكن أن نشير إلى

بعضها فيما يلى :

أولاً :

تصقل الإنسان، وتخلص روحه من شوائب الشك والارتياب والتردد، وتغرس فيه الإيمان واليقين، وتقضى على التردد وتعلمه الإيجابية فى تناول أمور حياته كلها، فيصبح عضوا كاملا واعيا منتجا، لا يعرف التخاذل، ولا السلبية، ولا التواكل.

ثانياً :

تعود الإنسان حب الخير وإيثار الحق، لأنها روح موصولة بالله تبارك وتعالى، ومن كان موصولا به سبحانه وتعالى أحب الخير وأثر الحق.

ولو انصف الإنسان بهذه الصفة، فسوف يؤثر الخير لنفسه وللناس، وسوف يحب الحق ويتواصى به ويدافع عنه، ويصبر فى سبيله، وهذه الصفة من أهم الصفات التى تدعم الحياة الإنسانية كلها وتوجهها نحو الخير.

ثالثاً :

تجعل الإنسان ملتزما بالمنهج الذى اختاره الله تبارك وتعالى للبشرية كلها

ديننا، والالتزام بهذا المنهج خير تزكية لهذه الروح، وتؤدي إلى خير أنواع الاستقامة على دين الحق، ومنهج الحق. ومن شأن هذا الالتزام بالمنهج أن يهيئ للإنسان حياة إنسانية كريمة لنفسه، ولكل من يحيط به.

رابعاً :

هذه التربية للروح، تؤدي إلى القرب من الناس، وحبهم والتعاطف معهم، وتجعل الإنسان محبا للخير عموماً، وراعياً في خدمة الناس وتقديم النفع لهم، بل تؤدي به إلى مؤاخاتهم في الإسلام والتعاون معهم على البر والتقوى، وفي هذا دعم للروابط الاجتماعية الإنسانية التي جاء بها الإسلام ليقربها بين الناس، وفي هذا ما فيه من محاصرة الجريمة والتضييق على الراغبين في المعصية.

خامساً :

وهذه التربية تيسر للإنسان قدراً كبيراً من التوفيق في كل عمل يقوم به، وفي كل كلام يقوله، لأن تلك الروح بهذه التربية قد أقيمت على الله تعالى بالنوافل حتى أحبها سبحانه وتعالى، فكان سبحانه - كما جاء في الحديث القدسي - السمع والبصر واليد.. لهذا الإنسان، وأي توفيق أكبر بالنسبة لإنسان يرى بعين الله ويسمع بأذنه ويبطش بيده ويمشي برجله؟ إنه التوفيق الذي ليس كمثله توفيق.

سادساً :

وهذه التربية تعلم الروح قلة الخطأ ونذرة التجاوز لما جاء به الإسلام من أحكام وشروط وآداب، نعم : كل ابن آدم خطاء، ويستحيل أن يكون الإنسان معصوماً من الخطأ، ولكن الروح التي تربت تربية إسلامية تجعل الإنسان أقل

خطأ وأكثر تراجعاً عنه وندماً عليه وتوبة منه، وتلك ميزة تعود بالخير على الإنسان وعلى المجتمع كله، ويتناسب هذا طردياً كما زاد عدد الذين ربوا تربية إسلامية روحية.

سابعاً :

وهذه التربية تعود الروح حب المعروف وكراهية المنكر، فتجعل صاحبها يقبل على ممارسة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على اعتبار أن ذلك واجب أوجبه الشرع وحدد له شروطاً وأدباً، وجعل ممارسته من واجب كل قادر عليه من الناس، بل من أبرز أولويات العمل الذي يعود على المجتمع كله بخيرى الدنيا والآخرة.

وما ظننا بمجتمع يمارس أفراد المعروف، وينهون عن المنكرات؟

* تلك آثار التربية الروحية فى الإنسان نفسه، نراها أعظم الآثار وأقدرها على تكريم الإنسان الذى كرمه الله تعالى وفضله على كثير ممن خلق.

٢ - أثر التربية الروحية في الأسرة والمجتمع

نحن معشر المسلمين نؤمن - كما علمنا ديننا - أن الأسرة هي وحدة بناء المجتمع وتكوينه، ولا يمكن تصور مجتمع مسلم يعج باللقطاء وغير المنتمين إلى أسرة، مهما زين ذلك غيرنا من المجتمعات التي لا تدين بدين الإسلام؛ لأن دور التربية والرعاية للأطفال الذين تخلق عنهم آباؤهم وأمهاتهم - في لحظات الطيش وممارسة الفاحشة - لا يمكن أن تعوضهم هذه الدور ما فقدوه من دفء الأسرة وحنانها ورعايتها الفطرية.

* إن الإسلام عموماً والتربية الإسلامية على وجه الخصوص تقيم أكبر وزن للقيم التي يجب أن تسود الأسرة ليشب فيها الأبناء محصنين بهذه القيم.

* ونحن المسلمين نؤمن إيماناً راسخاً بأن التعبير عن الطاقة الجنسية عند الرجال والنساء لا سبيل إليه إلا بالزواج الشرعي الذي وضع الإسلام أحكامه وشروطه: الزواج بين رجل وامرأة، لا بين رجل ورجل أو رجل وبهيمة أنثى أو بين امرأة وأخرى، أو امرأة وحيوان ذكر، كما تدعو إلى ذلك بعض الدول وتشجع عليه باسم الحرية الشخصية!!!

* ومن أجل هذه الحقائق والإيمان الراسخ بها كانت تربية الروح - على النحو الذي فصلنا فيه القول في هذا الكتاب - ذات أثر فاعل في الأسرة وفي المجتمع الذي هو عدد من الأسر ذات القيم النابعة من الإسلام.

* إن التربية الإسلامية للروح تترك آثاراً عديدة نافعة في الأسرة والمجتمع، نذكر منها ما يلي :

أولاً :

بناء الأسرة المسلمة على أسس صحيحة عند تكوينها منذ البداية، لأن الزوج يختار زوجته وفق معايير إسلامية، وكذلك يفعل أولياء الزوجة عندما يتقدم إليهم راغب في الزواج، وهي معايير ثابتة في كل زمان ومكان وهي التدين وحسن الخلق، لأن تلك المعايير هي التي تمكن الزوجين من أن يشقا طريق الحياة بأمن وأمان ومودة ورحمة، وقيم إنسانية فاضلة جاء بها الإسلام وألزم بها.

ثانياً :

ورعاية أبناء الأسرة رعاية إسلامية، تنشئهم على تلك القيم التي تكفل لهم حياة عائلية طيبة تقوم على حب الخير وإيثار الحق، فضلاً عن الحب المتبادل بين جميع أفراد الأسرة، والبر بالآباء والعطف على الأبناء.

إن الإسلام يوسع مفهوم الأسرة لتشمل الآباء الأعلى من جدود وجدات، والآباء الحكيمين من أعمام وأخوال وعمات وخالات، تشمل الإخوة والأخوات وتضم الأقارب والأرحام، ثم تتسع الأسرة لتشمل المجتمع كله، وكل فرد من أفراد الأسرة الصغيرة أو الكبيرة أو الكبرى له حقوق يجب أن تؤدي له، وعليه واجبات يجب أن يؤديها، وبهذه القيم تعيش الأسرة والمجتمع أفضل حياة إنسانية.

ثالثاً :

واذا ربيت الروح تربية إسلامية انعكس ذلك على الأسرة بجميع أفرادها -عائلة ومجتمعاً- في صورة تعامل حسن يستهدف رضا الله تبارك وتعالى الذي أمر بهذا الإحسان في المعاملة، واتسعت دائرة التعامل الحسن حتى تشمل المجتمع كله ناسه وأشياءه.

ومثل هذه المعاملة الحسنة القائمة على القيم الإسلامية، من شأنها أن تغرس بين الناس الحب والوثام والتعاون، وتنزيل من طريقهم العقبات والعراقيل وأسباب الخلاف والتفرق والخصام.

رابعاً :

وهذه التربية تلزم الأسرة والمجتمع بأحكام الإسلام ونظمه وشروطه، وآدابه في كل شيء؛ في المسكن والملبس والمطعم والمشرب، وأتية البيت وأثاثه والمقيمين فيه، وزواره وجيرانه، وكل ما يتصل بهذه الأسرة من أعراف وتقاليد. وهذه الأسرة الملتزمة المنضبطة مع منهج الإسلام وأحكامه تدفع بأبنائها - وقد نشفوا في البيت تنشئة حسنة - إلى المدرسة متعلمين يحكمهم قيم فاضلة، وإلى المسجد متعبدين تقودهم إلى العبادة عقيدة تكونت تكويناً صحيحاً، وإلى المجتمع أفراداً صالحين يحبون الخير ويؤثرون الحق ويحسنون التعاون مع الناس جميعاً.

خامساً :

هذه التربية تشجع هذه الأسر كلها على حسن الجوار، لإيمانها بوصاة الرسول ﷺ بالجار التي تقتضي بزه وحب الخير له، والتعاون معه على البر والتقوى، وعلى التغلب على كل المتاعب والمشكلات، لأن التربية الإسلامية للروح تجعل المجتمع كله متآخياً في الإسلام. وفي ظل هذه القيم تستطيع هذه الأسر أن تتبادل المنافع والخدمات، وأن تتعاون في كل ما يعود عليها - أو على المجتمع كله - بالنفع والفائدة. وتلك التربية تنفي عن هذه الأسر أسباب التخاصم والتعادي، والتصور الخاطيء في تضارب المصالح، إذ الحق هو تقارب مصالح المسلمين لا تضاربها أو تعارضها.

وبحسب المجتمع المسلم خيرا وعافية، أن تتعاون فيه الأسر والأفراد على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

سادسا :

وإسهام هذه الأسر بكامل أعضائها في المشروعات التي تعود على الحي الذي تسكن فيه أو القرية أو المدينة بالخير والمنفعة، ونستطيع أن نضرب لذلك بعض الأمثلة :

- تعهد المساجد بالنظافة والنظام والرعاية،
- والمحافظة على البيئة من كل ما يلوّثها أو يسيء إلى جمالها ونظافتها،
- والمحافظة على المرافق العامة،
- ومدّ يد العون لأصحاب الحاجات من يتامى وأرامل وعاجزين عن العمل، أو باحثين عنه،
- والإسهام في بعض المشروعات الاقتصادية البسيطة التي تدرس دراسة جيدة قبل تنفيذها.

سابعا :

والتربية الإسلامية لهذه الروح تؤثر في أفراد المجتمع كله تأثيرا اقتصاديا - بالإضافة إلى التأثير الاجتماعي الذي أشرنا إليه آنفا - فيثب الأفراد على القيم التالية :

- حب الاعتدال في الإنفاق، وفي الطعام والشراب والملبس والسكن.
- والعمل على ادخار بعض الدخل لمواجهة الظروف المفاجئة، وهي غير قليلة في حياة الناس.

- ورفض الإسراف بل محاربته والوقوف ضده في أي شيء، مع ترشيد الاستهلاك في كل حال.

- وإحداث نوع من التكافل بين عدد من الأسر أو الأفراد، لزيادة القدرة على مواجهة الظروف المفاجئة.

* إن هذه التربية تمكن الأسرة والمجتمع من القدرة على مواجهة المتغيرات في أمن وأمان.

٣ - أثر تربية الروح في العمل من أجل الإسلام

التربية الإسلامية للروح تترك فيها أعظم الآثار، وتولد فيها أكبر الحوافز والدوافع على الانخراط في العمل من أجل الإسلام، بحيث يقدم كل إنسان لهذا العمل ما يستطيعه، ومالا يدخله في حرج مع نفسه أو ظروفه المحيطة به.

* وكلّ مسلم مطالب أن يقدم من أجل الإسلام كل ما في وسعه. وما يضيّع المسلمون ويقلل من شأنهم ويصيبهم بالفرقة والانقسام والفقر والحاجة مثل أن ييخل المسلم بوسعه، فلا يقدمه من أجل الإسلام، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

* والعمل من أجل الإسلام شعب عديدة وفروع كثيرة، ولا بد لكل شعبة ولكل فرع من مسهم بوقته وجهده وماله الذي يستطيع، وكل إسهام في ذلك يقرب المسلمين من غايتهم وهي أن يمكنوا لدين الله في الأرض، ويحكموا بمنهج الله ونظامه وأحكامه وأدابه ليأمنوا الظلم والاستبداد، ويمارسوا حياتهم الإنسانية الكريمة التي ارتضاها الله تعالى لهم.

* ولكي تتضح الصورة في هذه الشعب والفروع، ومن أجل أن يعرف كل مسلم ماذا عليه أن يفعل أيا كان مكانه من هذه الشعب والفروع وأيا كانت مكانته، من أجل ذلك نذكر بهذه الشعب وتلك الفروع للعمل من أجل الإسلام على النحو التالي، والله ولي التوفيق.

أولاً :

التزام المسلم بأركان الإيمان الستة، وقواعد الإسلام الخمسة، وبالعادل

والإحسان، وبممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كل ذلك في إطار العمل والتنفيذ لا مجرد الكلام والهرطقة، لأن التعبير عن الإيمان هو العمل الصالح.

ثانياً :

ممارسة الدعوة إلى الله على بصيرة، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، مع فقه لهذه الدعوة: طبيعتها وأهدافها ووسائلها ومراحلها وشروطها وأدابها.

ومعرفة لما يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله من صفات روحية وعقلية واجتماعية وسياسية، ومحاولة توفير هذه الصفات، ما وجد إلى ذلك السبيل.

ثالثاً :

ممارسة الحركة من أجل الإسلام، وهي الاختلاط بالناس وجهم وحب الخير لهم، وجذبهم إلى كل ما يرضى الله تعالى من قول وعمل، وتعليمهم الاجتماع والتعاون على فعل الخير، وتعهدهم بما يصلح لهم شئون دينهم ودنياهم، ومدّهم بما يحتاجون إليه من زاد ثقافي ومعرفي في مجالات الحياة، وكل مسلم عنده قدرة على شيء من ذلك، وليس له أن يخل به.

رابعاً :

العمل على تربية الناس وتشجيعهم على فهم الإسلام عقيدة وشرعة وعلمًا وعملاً، وتعهدهم قلوبهم وعقولهم وأبدانهم بكل ما ينميها ويحسن آداءها، ويمكنها من أداء وظائفها في الحياة على وجهها الصحيح.

خامساً :

تدريب الناس على تطبيق الإسلام على حياتهم تطبيقاً عملياً، يتناول سلوكهم الفردي والاجتماعي، ولا يدرّب على ذلك أسلوب كأسلوب القدوة النابعة من المعصوم عليه السلام.

وهذا التدريب هو الذي يمكن الناس من أن يعدوا أنفسهم لتحمل أعباء الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وليردوا عن الإسلام والمسلمين تلك الهجمات التي توجه إليهم، ولا يملكون أن يفعلوا تجاهها شيئاً. إن تكوين المجاهد وإعداده عمل من أهم ما تستهدفه التربية الإسلامية في كل حين، وباستمرار.

سادساً :

إسهام كل مسلم بما يستطيع من جهد أو وقت أو عمل أو علم أو مال، ليشترك في التمكين لدين الله في الأرض، حتى يحقق المسلمون أكبر أهدافهم بذلك، وهو أن يحكم الناس بمنهج رب الناس سبحانه وتعالى.

وكل مسلم قادر على ذلك أو على بعضه، لو تأمل وتدبر في شئونه، حاضره ومستقبله وعرف ماذا يستطيع، لتقديم ذلك بنفس راضية تحس بالواجب وتحرص على أدائه، حسية وتقرباً إلى الله تبارك وتعالى.

ومادام كل مسلم قادراً على شيء، فما يعنى مسلم من تقديم هذا الشيء للعمل من أجل الإسلام.

سابعاً :

الاستمرار في المحافظة على التمكين بعد الوصول إليه، كي لا تحدث انتكاسة

أو انهزام وسقوط، كما حدث في فترات من تاريخ المسلمين.
ومعنى ذلك أن كل مسلم يجب أن يعتبر نفسه على ثغرة من ثغور الإسلام،
ما يليق به ولا يجوز له أن يؤتى هذا الدين من قبله.
وبعد : فتلك أهم مفردات العمل من أجل الإسلام، لكل مسلم من
المسلمين فيها نصيب وإسهام.
ولا تفعل التربية الإسلامية للروح ما هو أهم من أن يؤدي المسلم واجبه في
هذه المجالات.
والله يقول الحق ويهدي إلى سواء السبيل.

الختامة

نختم هذا الكتاب - كما بدأناه - بحمد الله الذى هدانا لهذا وما كنا
لنتهدى لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق. ونصلى ونسلم على
خاتم أنبيائه محمد المبعوث هدى ورحمة ومعلما ومربيا للإنسانية كلها.
ونسأل الله تعالى أن نكون بهذا الكتاب - وبغيره من كتب هذه السلسلة -
قد أسهمنا بشيء فى التعريف بدين الإسلام، وتبصير الناس بالخير الذى جاء
به، وحفزهم على التمسك بالحق وتواصيهم به، وعلى الصبر من أجله.
ومسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

* * * *

ثبت موضوعات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٥
بين يدي هذه السلسلة	٧
المحفل إله هذا الكتاب «التربية الروحية» ويشمل :	١٧
١ - مفهوم التربية الإسلامية	١٨
٢ - دلالة وصف التربية بأنها إسلامية	٢١
٣ - أهداف التربية الإسلامية	٢٧
٤ - وسائل التربية الإسلامية	٤٨
٥ - مصادر التربية الإسلامية ومراجعتها	٥٣
٦ - ميادين التربية الإسلامية	٥٧
٧ - منهج التربية الإسلامية	٧٠
التربية الروحية وتتناول :	٧٩
التمهيد	٨١
الفصل الأول : مفهوم التربية الروحية ويشمل :	٨٧
١ - التداخل بين معاني القلب والعقل والروح	٨٩
٢ - ما هي الروح؟	٩٥
٣ - لماذا تربي الروح؟ وكيف تربي؟	٩٩
الفصل الثاني : دعائم التربية الروحية ويشمل :	١٠٣
١ - الأذكار والأوراد والأدعية	١٠٥

١٢٦	٢ - التربية العملية للروح وتشمل :
١٢٩	أولاً : أداء الفرائض
١٤٠	ثانياً : الإكثار من أداء النوافل
١٤٤	ثالثاً : ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٤٩	رابعاً : محاولة الوصول إلى الإحسان
١٥٣	خامساً : الممارسة لأعمال الدعوة
١٦٠	سادساً : ممارسة الاجتماع على ذكر الله تعالى بقيام الليل ..
١٦٨	سابعاً : زيارة القبور
١٧٥	٣ - التزام سمى المؤمنين
	وبشمل أهم صفات المؤمنين وهي :
١٨٢	أولاً : قوة الإحساس بوجود الله تعالى وفيه :
١٨٣	أ - كيف يقوى الإحساس بوجود الله تعالى في المسلم ؟
	ب - التأصيل الشرعي لوجوب قوة الإحساس بوجود الله تعالى
١٨٦	عند المسلم
١٩٤	ثانياً : الشهور بمراقبة الله تعالى للناس وفيه :
١٩٥	أ - معنى مراقبة الله تعالى لنا
١٩٨	ب - التأصيل الشرعي لمراقبة الله تعالى لنا
٢٠٩	ج - نتائج مراقبتنا لله تعالى
٢١٣	ثالثاً : التقرب إلى الله بالنوافل وفيه :
٢١٣	أ - معنى التقرب إلى الله بالنوافل
٢١٦	ب - تأصيل التقرب إلى الله بالنوافل
٢١٩	ج - نتائج التقرب إلى الله بالنوافل

٢٢٤ وفيه :	رابعاً : الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم
٢٢٤ أ - معنى هذه الإقبال	
٢٢٧ ب - تأصيل حب الناس وحب الخير لهم	
٢٣٠ ج - نتائج هذا الإقبال على الله بحب الناس وحب الخير لهم ..	
		خامساً : الثقة في الله وحده يوم بنا واستجابته لنا
٢٣٦ وفيه :	
٢٣٧ أ - معنى هذه الثقة	
٢٤١ ب - تأصيل هذه الثقة بالنصوص الإسلامية	
٢٤٣ ج - نتائج هذه الثقة	
٢٤٧ سادساً : الرضا بقضاء الله تعالى وقدره وفيه :	
٢٤٨ أ - معنى الرضا بالقضاء والقدر	
٢٥٠ ب - تأصيل هذا الرضا بالنصوص الإسلامية	
٢٥٤ ج - نتائج هذا الرضا بالقضاء والقدر	
٢٥٧ الفصل الثالث : أثر التربية الروحية ويشمل :	
٢٦١ ١ - أثرها في الإنسان نفسه	
٢٦٤ ٢ - أثرها في الأسرة والمجتمع	
٢٦٩ ٣ - أثرها في العمل من أجل الإسلام	
٢٧٣ الخاتمة	
٢٧٥ ثبت موضوعات الكتاب	

قائمة بأعمال المؤلف

أولاً : فقه الفكر الإسلامى وقضاياها

- ١ - مع العقيدة والحركة والمنهج، نشر دار الوفاء بمصر
- ٢ - الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى، نشر دار المنار بالقاهرة.
- ٣ - الغزو الصليبي والعالم الإسلامى، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية بمصر.
- ٤ - المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، نشر دار المنار بالقاهرة.
- ٥ - التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطرق التغلب عليه، نشر دار الوفاء بمصر.
- ٦ - التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث «دراسة»، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٧ - السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نشر دار عكاظ بالسعودية.
- ٨ - نحو منهج بحوث إسلامى، نشر دار الوفاء بمصر.

ثانياً : فقه التربية الإسلامية

- ٩ - تربية الناشئ المسلم، نشر دار الوفاء بمصر.
- ١٠ - فقه الأخوة فى الإسلام، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ١١ - منهج التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار الوفاء بمصر.
- ١٢ - وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار الوفاء بمصر.

ثالثاً : سلسلة التربية فـ القرآن الكريم

١٣ - التربية الإسلامية في سورة المائدة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٤ - التربية الإسلامية في سورة النور، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

رابعاً : سلسلة مفردات التربية الإسلامية

١٥ - التربية الروحية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

خامساً : فقه الدعوة الإسلامية.

١٦ - فقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر.

١٧ - فقه الدعوة الفردية، نشر دار الوفاء بمصر.

١٨ - المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر.

١٩ - التوثيق والتضعيف بين الأحدثين والدعاة، نشر دار الوفاء بمصر.

٢٠ - عالمية الدعوة الإسلامية، نشر دار الوفاء بمصر.

٢١ - فقه المسغولية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

سادساً : سلسلة

فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا

٢٢ - فهم أصول الإسلام، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية

٢٣ - الإخلاص في مجال العمل الإسلامي، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٤ - ركن العمل أو منهج الإصلاح الإسلامي، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٥- ركن الجهاد أو الركن الذى لا تخيا الدعوة إلا به، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

سابها : فح الأظب الإسلام

٢٦- جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه، نشر دار عكاظ بالسعودية.

٢٧- مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه، نشر دار عكاظ بالسعودية.

ثامنا : فح الدراسات الأدبية

٢٨- القصة العربية فى العصر الجاهلى، نشر دار المعارف بمصر.

٢٩- النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، نشر دار عكاظ بالسعودية.

تاسعا : كتب معدة للنشر :

١ - التربية الإسلامية فى سورة آل عمران.

٢ - التربية الإسلامية فى سورة النساء.

٣ - التربية الإسلامية فى سورة الأنفال.

٤ - التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب.

٥ - باقى سلسلة مفردات التربية الإسلامية وهى : التربية الخلقية، والتربية العقلية، والتربية البدنية، والتربية الدينية، والتربية الاجتماعية، والتربية السياسية، والتربية الاقتصادية، والتربية الجهادية، والتربية الجمالية.

٦ - باقى سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا وهى :

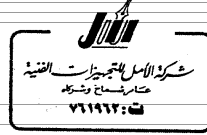
التضحية، والطاعة، والتجرد، والثبات، والأخوة، والثقة.

٧ - المدخل إلى التربية الإسلامية.

٨ - التربية الإسلامية في المدرسة.

٩ - التربية الإسلامية في المجتمع.

* * * *



رقم الإيداع ١١٤٢٦ / ١٩٩٤ م

الترقيم الدولي

I . S . B . N . 977 - 265 - 109 - 2

مطابع دار الطاعة والنشر الإسلامية
المطبع من رصفان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٨٣٢١٤ : لاكس : ٣٢٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ط. ابن خلدون : ١١٨١٣٧

